الدعوة الإسلامية

في مواجهة

المذاهب الفكرية المعاصرة

تأليف

الدكتور: محمد عبد العزيز داود

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

والدعوة بالزقازيق

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك يحق الحق ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سار على هديهم إلى يوم الدين

أما بعد :

فيشهد العالم المعاصر تيارات فكرية متعددة ونظريات ومذاهب متفاوته ومتباعدة وألوانا من الثقافات تتنافس وتتصارع على اثبات وجودها وبسط سلطانها يدعمها مايشهده العصر الحديث من ثورة فى الإتصالات والعلاقات وطفرة لم تعرفها البشرية من قبل فى نقل الأفكار والمعلومات واختصار الزمان وتقارب المكان وذلك من خلال التقدم الكبير فى وسائل المواصلات وأجهزة الإعلام . وقد أدى هذا إلى العديد من المشاكل والنتائج التى لم تواجه الأجيال السابقة ومن ذلك :

١ - إنعدام العزلة :

فلقد أصبح من المستحيل الانعزال عن العالم والانغلاق بعيدا عن التيارات والمذاهب التى يموج بها العالم كما لم يعد مقبولاً عقليا وضع الأيدى على الأعين والأصابع فى الآذان عن الأحداث والتطورات التى تحدث فى الدنيا بأسرها ويتابعها الإنسان ويتفاعل معها طوعا أو كرها من خلال الضغط الإ[illegible] الذى [illegible] الإنسان ويلاحقه حتى

مخدعه ومن ثم أصبحت العزلة أمراً لا يقدر عليها الأفراد ولا الشعوب .

إن المسلم في هذا العصر أصبح يجد نفسه أمام خضم هائل من الأفكار والمذاهب وبحر متلاطم من النظريات والفلسفات العلمية والسياسية والاقتصادية والنظم الاجتماعية وفدت من الغرب تحت جنح ظلام الجهل بالإسلام والبعد عن شرائعه وعلى أسنة رماح الاحتلال العسكري والغزو الفكري ينفث سمومه لفيف من المستشرقين والمبشرين ملأ الحقد قلوبهم على الإسلام والبعض الأخر نبت خبيث نبت في ديار الإسلام على أيدي أبنائه الذي رضعوا لبان الفكر الغربي وتربوا على موائد الاستعمار والتبشير والاستشراق ومكن لهم في الأقطار الإسلامية فتبوأ أسمى المناصب وتسنموا منازل القيادة والتوجيه ولاسيما في مجالات التربية والتعليم والسياسة والاقتصاد والإعلام .

٢- ضعف الولاء

إن ولاء المسلم يكون لعقيدته ورابطة الدين هي أسمى الروابط قال تعالى :[1]

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

ولقد ساق القرآن الكريم نماذج عديدة قدم فيها الولاء للعقيدة على رابطة الأنساب والأرحام والمصاهرة .

وقد لوحظ في هذا العصر ضعف ولاء المسلم لدينه وأصبح الولاء لما يدين به الشخص من مذاهب فكرية أو نظريات اقتصادية وغدت رابطة القومية والوطنية وتراب الأرض يدعى إليها ويحمل الناس عليها وقد يقضي السياسي والمفكر طوال عمره لا يذكر

---

(١) سورة المائدة آية : ٥٥ . ٥٦

الإسلام بكلمة بينما يتحمس لما يدين به من مذهب أو رأى ، ولقد شهدت الأقطار الإسلامية خلال عقود من هذا العصر نماذج عديدة لرواد هذا الفكر تسربت أفكارهم إلى ساحات العلم وميادين المعرفة فأفرزت أجيالا تنظر إلى الدين من طرف خفى وتدفع به إلى هامش الحياة بحيث لا يتجاوز عتبات المسجد ويصبح عادة لا عبادة وفيما روحية وأحوالا شخصية بينما المذاهب والنظريات تصول وتجول وتبث دعاياتها وتحمى أتباعها وتقيم الدنيا وتقعدها إذا ما تعرض نظام سياسى أو مذهب فكرى لنقد أو معارضة .

لهذا فقد عقدت العزم - بتوفيق الله أن أتناول بعض النظريات العلمية والمذاهب الفكرية سواء الوافد من الخارج أم الناشئ من الداخل لتحقيق الأهداف التالية :

١- كشف زيف هذه المذاهب وتصادمها مع فطرة الإنسان التى فطر الله الناس عليها .

٢- تحصين المسلمين من هذه الأفكار الضالة وكشف غشاوة العقول لمن فتنوا بها وتربوا على موائدها .

٣- إبراز ما فى الإسلام من عظمة وتألق وتشريعات تعصف بتلك المذاهب الباطلة .

هذا وإذا كانت بعض هذه النظريات قد عفا عليها الزمن وكشفت عن سوأتها الأيام ولفظتها ساحات البحث العلمى وسقطت غير مأسوف عليها فى ميادين المجتمعات التى دانت بها ، كالشيوعية والداروينية ، والفرويدية والقومية ، إلا أن بعض أبناء المسلمين مازالوا يتشبثون بذيل الأفعى وما زالت المناهج الدراسية فى مدارس العالم الإسلامى ، وجامعاته تدرس تلك النظريات والمذاهب . لذا رأيت أن أعرض لها رغم سقوطها موضحا آثارها وكاشفا لخطرها فى مناهج التعليم وذلك من خلال رؤية إسلامية تصحح المفاهيم وتزيل الشبهات وصدق الله العظيم . (١)

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٨

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

وسيكون منهج البحث بين ثنايا هذا الكتاب - بعون الله على النحو التالى :

١- التعريف الموجز لكل مذهب موضحا الأفكار والمعتقدات ، والأهداف ، والآثار .

٢- مؤسسو هذه المذاهب وأبرز شخصياتهم .

٣- الانتشار ومواقع النفوذ .

٤- عرض تعاليم الإسلام مقترنة بكل رأى أو معتقد من هذه المذاهب .

والله اسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم

والله ولى التوفيق

د. محمد عبدالعزيز داود

أستاذ الدعوة المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

بلبيس فجر يوم عرفة المبارك

١٤١٥ هـ - ١٠/٥/ ١٩٩٥م

الباب الأول

الجذور الحضارية لقارة أوربا

الباب الأول

الجذور الحضارية لقارة أوروبا

تمهيد :

إن معظم المذاهب الفكرية المعاصرة وفدت إلى العالم الإسلامى من قارة أوروبا تحت أقنعة الاحتلال العسكرى والغزو الفكرى والاحتكار الاقتصادى والتقدم العلمى والمادى التى بهرت به الدنيا وغزت به الشعوب حتى غدت الأمم الأوروبية قبله يتوجه إليها وقدوة يقتدى بها سياسيا وفكريا واقتصاديا .

ولكى يتسنى لنا دراسة بعض هذه المذاهب فإنه ينبغى لنا أن نقف على أسس تلك الحضارة التى صدرت إلينا تلك المذاهب ، ثم نعرض لدوافع الغل الأسود والحقد الدفين ، والتآمر المستمر الذى تنفثه أوروبا سما زعافا ضد الإسلام منذ أن التقت به فى ميادين الفكر أو ساحات الوغى حيث ولت أمامه الأدبار فتقلص سلطانها الذى بسط جناحيه على جزء كبير من العالم إبان الحضارة اليونانية والرومانية القديمة وانزوت داخل حدودها تتضمد جراحها وتعيد حساباتها وتنجح فى كسر الطوق الحديدى الذى كان يعوقها عن الحركة وهو النظام الكنسى والإقطاعى فانطلقت من أسرها تستكشف قوانين الكون وتأخذ بأسباب العلم وتحاول أن تنفذ إلى أقطار السموات والأرض .

وفى الوقت الذى كانت أوروبا والعالم الجديد (أمريكا) يستيقظان من سباتهما العميق ويسابقان الزمن فى شتى ميادين العلوم والمخترعات وتتطاول أيديهما إلى العالم الإسلامى استعمارا واحتكارا أخذ العالم الإسلامى يفقد روح الجهاد والاجتهاد ويستسلم لقيادة أوروبا طوعا أو كرها قرونا عديدة حتى نشأت أجيال لم يقع بصرها إلا على حضارة

الغرب المادية ومذاهبه الفكرية .

فما تلك القارة ؟

وما سمات شعوبها ؟

وما جذورها الحضارية ؟

قارة أوروبا

جاء فى دائرة معارف القرن العشرين [١]

أوروبا أصغر أقسام الكرة الأرضية مساحة ولكن أكثرها عمرانا وأكبرها مدنية .

الموقع :

تقع شمال أفريقيا ولا فاصل بينهما إلا البحر الأبيض وتقع غرب آسيا وتكاد تفصلها عنها جبال الأورال وهى كائنة فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية يحدها شمالا المحيط المتجمد الشمالى وشرقا آسيا وجنوبا جبال القوقاز والبحر الأسود وغرب المحيط الأطلنطى .

مساحتها :

تقدر مساحة أوروبا بعشرة ملايين ك . م مربع وجوها يجمع ما بين البرودة المفرطة والحرارة المعتدلة وليس فيها تلك الحرارة الشديدة لوقوعها فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية بعيدا عن خط الاستواء .

أجناس أوروبا

الناس جميعا ينحدرون من أصل واحد قال الله تعالى : [٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

(١) محمد فريد وجدى ، جـ١ ، صـ ٧٥٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١ .

رقيبا ﴾.

فحينما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض ليتولى الخلافة وفق إرادة الله تفرق أحفاده في أرجاء المعمورة فعاشوا في بيئات ومناخات مختلفة حيث وهبهم الله أجساما وألوانا تتلاءم مع حرارة وبرودة كل قطر ومن ثم اختلفت الشعوب وتباينت الأجناس وتعددت اللغات قال الله تعالى : [١] ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ، وكان ذلك الاختلاف في الأجناس والألوان والألسنة ، من آيات الله قال تعالى : [٢] ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾

وشعوب القارة الأوروبية تنتمي لأجناس عدة أهمها :

الجنس الأبيض

الجنس المغولي

الجنس السامي (اليهود)

أولا: الجنس الابيض [٣]

وهو في مقدمة أجناس أوروبا وينقسم باعتبار صفته ولغاته إلى ثلاث طوائف :

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣

(٢) سورة الروم آية ٢٢

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ، جـ١ ، صـ ٧٥٦

١ - الأمة اليونانية اللاتينية :

وهم اليونان الخلص والذين يقطنون فرنسا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا ، وهم أمة تسودها المسيحية الكاثوليكية لغاتها متقاربة مشتقة من أصل أم هى اللغة اللاتينية .

٢- الأمة الجرمانية

الأمة الجرمانية أصلها قبائل الجرمان التى انتشرت فى القرنين الأول والثانى كقبائل رعوية فى أواسط أوروبا وشرقها وعندما قوى ساعدهم أغاروا على الامبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى وقوضوا مدينتها واندمجوا بأهل البلاد الأصليين وهم يقطنون الآن : المانيا وانجلترا والسويد والنرويج والدنمارك والنمسا ولغتهم مشتقة من الجرمانية ودينهم المسيحية ويعتنقون المذهب البروتستانتى .

٣- الأمة السلافية (١)

وهم الصقالبة الذين يرجع أصلهم إلى الجنس الآرى أو الهندى أوروبى وبمقتضى الزمن ازدادت حركة السلاف اتساعا وازداد تباعد قبائلهم فانقسموا إلى ثلاثة أقسام كبرى :

أولها : السلاف الجنوبيون أو اليوجوسلاف ويشملون : البلغار ، والصرب ، والكروات والسلوفينين .

ثانيها : السلاف الغربيون ويقطنون : بولندا وبعض ألمانيا وبوهميا وموراقيا وسلوفاكيا وتسمى عناصرهم التى تسكن هذه الجهات : البولنديون أو البوهيميون ، والسلوفاك .

---

(١) أوروبا العصور الوسطى . د. سعيد عاشور ، جـ١ ، صـ ٦٠٨

ثالثها : السلاف الشرقيون أو الروس ، ولغاتهم أصلها اللغة السلافية ويعتنقون المذهب الأرثوكسى إلا أهل رومانيا فهم كاثوليك ولقد اتخذت دول أوروبا الشرقية الشيوعية الماركسية كنظام اقتصادى منذ الحرب العالمية الثانية حتى بداية سقوط تلك الأنظمة عام ١٩٨٩ حينما قامت الثورات الشعبية تعصف بتلك الأنظمة . وانتهت بسقوط الشيوعية فى روسيا ، وانهيار دولتها .

ثانيا : الجنس المغولى (١)

أصله من آسيا الصغرى وقد أغار على أوروبا فى القرن الخامس ومن أشهر قبائله (الهرينيون) وقد بقى منها الشعب المجرى ، ومن الشعوب المغولية ، الابونيون بشمال السويد والنرويج والفلنديين بشمال روسيا والترك أقرب هذه الشعوب عهدا بأوروبا فقد أغاروا عليها فى القرن الخامس عشر من جهة شبه جزيرة البلقان وأسسوا بها دولة قوية مدت جناح سلطانها على أمم كثيرة فى أوروبا من السلافيين واللابونيين .

ثالثا: الجنس السامى (اليهود)

وهم متفرقون فى دول أوروبا ويبلغ تعدادهم فى أوروبا حوالى ثمانية ملايين ، ولهم قوة اقتصادية ومنظمات سرية يحركون بها أوروبا وأمريكا من وراء ستار وقد استطاعت الصهيونية العالمية بمؤازرة الصليبية الحاقدة والشيوعية الملحدة انتزاع فلسطين من أيدى أبنائها واستولوا على بيت المقدس وما زال الصراع قائما حتى يأذن الله بالنصر أو أمر من عنده .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، جـ١ ، صـ ٧٦٤ ، ٧٦٥ .

وبجانب هؤلاء الأجناس الذين يشكلون غالب الشعوب الأوروبية الحديثة فلقد أحاطت بأوروبا شعوب كثيرة ، ففي الجنوب كانت قبائل البربر في غرب أفريقية وشمالها وفي الجنوب الشرقي الجنس العربي .

وفي الشرق أمة الفرس .

وفي الشمال الشرقي شعوب آسيوية رعوية عبرت إلى أوروبا ، ولقد انتظمت تلك الشعوب جميعا في وحدة سياسية وإدارية خلال الامبراطورية اليونانية والرومانية مكونة بذلك دعائم الحضارة الأوروبية الحديثة .

الحضارة الأوروبية :

إن ما أحرزته أوروبا من قصب السبق في ميادين التفوق العلمي والتقدم المادي ليس وليد الانقلاب الصناعي والثورات الاجتماعية ولكنه ذو جذور حضارية ضاربة في أعماق التاريخ ويرتكز على :

١- الحضارة اليونانية .

٢- الحضارة الرومانية .

٣- الديانة النصرانية .

٤- ما استفادته أوروبا من حضارة الإسلام .

وقبل أن نلقي الضوء على معالم هذه الحضارة نقدم بين يدي القارئ مفهوم الحضارة لغويا واصطلاحيا .

معنى الحضارة [١]

الحضارة بفتح الحاء وكسرها خلاف البادية ، والحضارة الإقامة في الحضر ، والحاضر خلاف البادي .

والبداوة بفتح الباء وكسرها هي الإقامة المتنقلة في البوادي فأصل الكلمة يفيد معنى الاستقرار .

يقول ابن خلدون : [٢]

(الحضارة طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة وهكذا البداوة ولكن البداوة أقدم والبدو أصل الحضر) .

ويقول عنها أيضا :

هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه .

وعرفها دل ديورانت في كتابه قصة الحضارة بأنها (نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافي) .

ويقول قسطنطين زريق [٣]

(الحضارة : هي الصفة أو الحالة الناتجة عن انجازات رائعة يحققها مجتمع من المجتمعات فتكون مرادفة للتحضر) فالحضارة والتحضر من مقومات بناء الأمم ورفاهية الشعوب وقد قسم المؤرخون وعلماء الاجتماع التاريخ البشري إلى أنماط حضارية عبر العصر المتتابعة وأطلقوا على كل عصر تعريفا حضارياً . [٤]

---

(١) لسان العرب ، جـ١ ، صـ ٩٠٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، صـ ٣٨ ، المطبعة الأدبية ببيروت .

(٣) في معركة الحضارة ، صـ ٤٠

(٤) جغرافية العالم الإسلامي ، جـ١ ، صـ ١ ، جـ٣١ .

(كالعصر الحجرى القديم - العصر الحجرى الوسيط - العصر الحجرى الحديث - عصر البرونز - عصر الحديد - ثم عصر الانقلاب الصناعى ثم العصر الصناعى المعاصر)

والمتأمل فى أقوال هؤلاء يلاحظ أن تعصبهم دفعهم إلى إغفال عصر الحضارة الإسلامية والتى ما زالت تؤدى دورها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

الأسس التى تبنى عليها الحضارة

تقوم الحضارة على دعائم ثابتة وقواعد راسخة تتضافر جميعها لتحقق للإنسان الهدف من خلقه واستخلافه فى الأرض لينال بعد ذلك الفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة وهذه الأسس بإيجاز هى :

١- **الدين الحق المنزل على رسل الله** منذ آدم وحتى ختام الرسالات برسالة رسول الله ﷺ .

والدين صلب الحضارة وعمودها الفقرى وقلبها النابض وعقلها المفكر وأى حضارة لاتنبثق ولا ترتبط بوحى السماء فهى حضارة زائفة ما تلبث أن يصيبها الانهيار ويلحقها الزوال وحركة التاريخ خير شاهد على ذلك والقرآن الكريم يقرر سنة الله فى هذا قال تعالى : (١)

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

والدين فى الحضاره الأوربية الحديثة أمر ثانوى وكيان هامشى ولها الحق كل الحق فى ذلك إذ أن أوروبا لم تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم علمى ومادى إلا حينما تخلصت من قيود الكنيسة وطغيان رجالها كما ستوضح إن شاء الله غير أنها ارتكبت خطأ فاحشا حينما ناصبت الإسلام العداء ووقفت فى طريق المد الإسلامى نحوها بكل الوسائل بل هاجمته فى عقر داره ، ولا تكف عن التآمر ضده والاجهاز عليه .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٩ ، ١١٠

٢- اللغة :

وهى وسيلة التفاهم وأداة التخاطب والمعبرة عما يجيش فى الصدور والعقول . وكلما كانت اللغة غزيرة فى مفرداتها ومترادفاتها سامية فى معانيها مستوعبة لما يستجد من مخترعات ومصطلحات فإنها من مقومات الحضارة واللغة لا تكون كذلك إلا حينما ترتبط بعطاء عظيم يفيد البشرية ويرتقى بها من طور أدنى إلى طور أرقى ، فاللغة العربية لم تنل ما نالته من مكانة سامية وعطاء متجدد إلا حينما ارتبطت بالقرآن الكريم الذى حافظ عليها وصان قواعدها ولم يحل بها ما حل باللغات الأخرى التى كانت تواكبها منذ عرف الإنسان اللغة من الاندثار والانقطاع كاللغة اللاتينية واللغات المصرية القديمة وغيرها .

وتستمد بعض اللغات الأخرى قوتها من خلال عطاء المتحدثين بها للعلوم والمعارف كاللغة الإنجليزية .

٣- العلوم والآداب والفنون والفلسفة .

٤- الفضائل والعادات والتقاليد .

٥- العلاقات الدولية .

أما العوامل التى تساعد على إبراز معالم الحضارة فهى :

١- الظروف المناخية .

٢- التركيب الجيولوجى .

٣- الموقع الجغرافى .

٤- النشاط السكانى .

٥- الموارد الاقتصادية .

٦- أنظمة الحكم .

والحضارات ككل كائن تمر بأطوار مختلفة من حيث المولد والطفولة والشباب والنضج والشيخوخة .

ويرى اسوالدا ستينغز [١]

(إن لكل حضارة صيرورة واتجاها وزمانا ومصيرا وتاريخا وأن هذا التاريخ هو تاريخ النفس الأولية للأمة ذات الحضارة وأنه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل لأن لكل حضارة تاريخها مستقلا بذاته لا يتأثر أبدا بتاريخ حضارة أخرى وإذا ما تأثر فإنما لا يبتعد أصلا عن جوهره ، إن لكل حضارة طرازها الخاص وباستطاعة المرء أن يتلمس هذا الطراز في كل انجازاتها فنيا كان أم علميا) .

وحينما نتجه صوب الحضارة الأوروبية المادية المعاصرة نجدها امتدادا طبيعيا للحضارتين اليونانية والرومانية والنصرانية فما ملامح كل منهن هذا ما سنوضحه بإيجاز فيما يلي :

---

(١) تدهور الحضارة الغربية ، جـ١ ، صـ ١٢ ، ترجمة احمد الشويباني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

أولاً : الحضارة اليونانية

تعتبر بلاد اليونان مهد الحضارة الأوروبية القديمة وشريانا رئيسيا لنهضتها المادية المعاصرة ولقد اتسعت رقعة تلك الحضارة لتشمل المستعمرات اليونانية في أوروبا ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وسواحل البحر الأسود والشعوب التى تقع على شواطئ البحر الأبيض ومن أشهر المدن التى كانت نبع حضارة اليونان هى :

١- أسبرطة :

ولقد برز دورها فى التاريخ اليونانى منذ القرن التاسع قبل الميلاد حينما وضع دستور يحدد العلاقة بين فئات المدينة كما وضعت القوانين التى تنظم المجتمع الأسبرطى وتخلصه من الفوضى التى كانت سائدة فى بلاد اليونان هذا بجانب نظام التربية الأسبرطيه التى عملت على تنشئة الشباب تنشئه عسكرية صارمة وقاسية ولم تلبث تلك المدينة أن غدت قوة حربية كبرى مكنتها من خوض غمار الحرب ضد المدن اليونانية الأخرى والانتصار عليها .

٢- أثينا :

هى المدينة الثانية التى كان لها دور بارز فى الحضارة اليونانية القديمة وقد بدأ هذا الدور منذ القرن السادس قبل الميلاد وبلغت قمة ازدهاره حينما وضع مشرع اسمه سولون [١] دستورا شاملا لأثينا أصلح به أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما كانت رائدة الحياة الديمقراطية من خلال حكومة المدينة

ولقد تمكنت أثينا من تزعم بلاد اليونان والانتقال بها من طور الضعف إلى طور القوة العسكرية حيث تمكنت من الانتصار على الفرس عام ٤٩١ - ٤٩٠ ق م

(١) أوروبا العصور الوسطى ، د. عاشور ، جـ ١ ، صـ ١٠

ثم ما لبث أن دب الخلاف بين أثينا وأسبرطة ونشبت بينهما معارك أدت إلى أضعافهما وانهيار تقدمها ،ولقد قامت على انقاض تلك المدينتين دولة فتية هى مقدونيا بقيادة الملك فيليب المقدونى الذى استطاع توحيد بلاد اليونان عام ٣٥٧ ق . م .

ثم خلفه ابنه الاسكندر الأكبر عام ٣٣٦ ق . م

وقد نجح فى إرساء دعائم امبراطورية واسعة الأرجاء شملت بلاد اليونان ومقدونيا ومعظم أوروبا ثم اتجه بجيوشه صوب الامبراطورية الفارسية فأجهز عليها واحتل عاصمتها ثم فتح آسيا الصغرى والعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا .

وعمل على نشر الحضارة اليونانية فى الأقطار التى فتحها فأنشأ ما يقرب من عشرين مدينة نسبت إلى اسمه ومن أشهرها مدينة الاسكندرية وبوفاته عام ٣٢٣ ق . م تمزقت تلك الامبراطورية وقامت على انقاضها الامبراطورية الرومانية .

عقيدة اليونان:

سبق أن أوضحنا أن الدين هو صلب أى حضارة وعمادها فما دين اليونانيين ؟

إن أديان اليونان ما هى إلا صورة من صور أديان الجاهلية التى لم تعرف دين الله الحق المنزل على رسله .

فهى أمة وثنية تقدس الطبيعة وتعدد الآلهة .

(فلقد كان لكل أسرة فى أيام اليونان القديمة إلهها الخاص توقد له فى البيت النار التى لا تنطفئ أبدا وتقرب له القربان من الطعام والخمر ، وكذلك لكل جماعة بطنا أو عشيرة أو قبيلة أو مهنة إلهها الخاص . فهناك آلهة السماء وآلهة الأرض ، وآلهة الخصب ، وآلهة الاسلاف والأبطال والآلهة الأولمبية) [١]

---

(١) قصة الحضارة . ول ديورانت . جـ١ مجلد ٢ . صـ ٣١٩

أخلاق اليونانيين

كانت بلاد اليونان تعيش أخلاق الجاهلية بكل صورها الموغلة فى الانحراف والفساد فكما تحدث القرآن الكريم عن وأد العرب للبنات فى قوله تعالى : [١]

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

فإن المجتمع اليونانى كان يقترف هذا الجرم الجاهلى . [٢]

(فالقانون والرأى العام كانا فى الوقت نفسه يبيحان قتل الأطفال ويريان فى ذلك وسيلة مشروعة للحد من زيادة النسل ومنع تقسيم الأرض الزراعية تقسيما يؤدى إلى الفاقة ، وكان فى وسع كل أب أن يعرض طفله للموت بحجة أنه يشك فى صحة انتسابه إليه أو أنه ضعيف أو مشوه وقلما كان يسمح لأبناء الأرقاء أن يعيشوا وكانت البنات أكثر تعرضا للموت من الأولاد) .

أما عن الولوغ فى الأعراض والعلاقات الجنسية المحرمة فيذكر صاحب كتاب قصة الحضارة [٣]

" كانت أثينا تعترف بالبغاء رسميا وتفرض ضريبة على البغايا وأصبح العهر فى أثينا كما أصبح فى مدن اليونان مهنة كثير من الرواد وكان فى وسع الرجل أن يتخذ له فضلا عن زوجته خليلة يعاشرها معاشرة الأزواج وفى ذلك يقول دستين :

---

(١) سورة النحل : آية : ٥٩ .

(٢) قصة الحضارة ، جـ٢ ، مجلد ٢ ، صـ ٨ .

(٣) جـ ٢ ، مجلد ٢ ، صـ ١٠٣ .

إننا نتخذ العاهرات للذة والخليلات لصحة أجسامنا اليومية والأزواج ليلدن لنا الأبناء الشرعيين ويعتنين ببيوتنا عناية تنطوى على الأمانة والإخلاص .

وكما كان نكاح الاستبضاع [١] لدى العرب فى الجاهلية فإن اليونانيين كانوا يرون عقم الزوجة سببا كافيا لطلاقها أما إذا كان الرجل عقيما فقد كان القانون والرأى العام يجيزان أن يستعين الزوج فى هذه المهمة بأحد أقربائه وكان الطفل الذى يولد نتيجة هذا الاتصال ينسب للزوج نفسه .

هذا بجانب الشذوذ الجنسى فلقد كانت علاقة الرجل بالغلام أو الغلام بالغلام فى بلاد اليونان تمثل جميع مظاهر الغرام الروائى من عاطفة جياشة وحب عذرى ونشوة وغيرة يتفق فى ذلك عامتهم وحكماؤهم .

فإذا تكلم أفلاطون عن الحب الإنسانى فإنما يتكلم عن الحب الجنسى بين الذكران ويتفق المتجادلون فى محاوراته على نقطة واحدة أن حب الرجل للرجل أنبل وأكثر روحانية من حب الرجل للمرأة

أما أرسطو طاليس فيفسر الشذوذ الجنسى فى بلاد اليونان بخوفهم أن تزدحم بلادهم بالسكان [٢]

أما عن مسلكهم فى الحروب فيتسم بالقسوة والفظاظة " فلقد كان من الأمور المألوفة حتى فى الحروب الأهلية أن تنهب المدن المفتوحة وأن يقتل جميع الجرحى وأن يذبح جميع الأسرى ، أو من يقبض عليهم من غير المحاربين أو يتخذوا عبيدا إذا لم يفتدوا وأن تحرق البيوت وأشجار الفاكهة والمحصولات الزراعية وأن تباد الحيوانات وتتلف البذور لكى لاتزرع .

---

(١) نكاح الاستبضاع أن يقول الرجل لزوجته استبضعى من فلان رغبة فى نجابة الولد

(٢) قصة الحضارة ، جـ٢ ، مجلد ٢ ، صـ ١٠٩

أما عن معاقرة الخمر فيقول صاحب قصة الحضارة :

" أما الأثيني العادي فهو رجل شهواني وهو مغرم بالخمر ولا يستحي أن يسكر بين الفينة والفينة " .

هذه الصور القميئة من الانحراف الخلقي والسلوك الشهواني الحيواني لا تختلف عن ما هي عليه أوروبا الآن رغم تقدمها المادي وتفوقها العلمي .

الحضارة العلمية اليونانية :

بجانب هذه الأحوال الجاهلية في العقائد والعبادات فإن التاريخ الإنساني قد وعى وحفظ أسماء بعض العلماء والمفكرين اليونانيين الذي كان لهم دور بارز في مضمار الفكر وميادين المعرفة كالفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات ، والطب ، والفلك ، ومن أشهر فلاسفة اليونان : [١]

١- سقراط المولود عام ٤٧٦ ق . م

وتدور فلسفته حول الإنسان ، ومفهوم الفضيلة وتحديد منهج المعرفة وجعل موضوعاتها المعقولات الكلية وطريق معرفتها العقل لا الحواس .

٢- أفلاطون المولود عام ٤٢٧ ق . م

تتلمذ على يد سقراط منذ نعومة أظفاره تلقى عنه وتأثر به وتنحصر فلسفته في الموضوعات الرئيسية التالية : [٢]

---

(١) الفلسفة اليونانية ، د. بيصار ، صـ ٨٥ ، دار الكتاب اللبناني - بيروت

(٢) المرجع السابق ، صـ ٩٢

الاولى : نظرية المعرفة ، مراحلها وكيفية تحصيلها .

الثانية : نظرية المثل وهو بحث عن الحقيقة المطلقة وراء الطبيعة .

الثالثة : نظريته فى الطبيعة وتبحث فى ظواهر الوجود من حيث هو مادة يلازمها ملازمة ضرورية كل من المكان والزمان .

الرابعة : الاخلاق وتبحث فى واجبات الفرد نحو غيره .

الخامسة : السياسة وتبحث فى واجبات الإنسانى كعضو فى المجتمع .

٣- أرسطو طاليس المولود عام ٣٨٥ ق . م

التحق بأكاديمية افلاطون عندما بلغ الثامنة عشر وتتلمذ على يده ثم أسس مدرسة بأثينا سميت المدرسة المشائية وقد تناولت أفكاره مختلف فروع الفلسفة ولا سيما المنطق وما يتعلق بالطبيعة وما وراءها وما يتصل بالأخلاق والسياسة والفن .

٤- أبيقور المولود عام ٣٤١ ق . م

أسس فى أثينا مدرسة عام ٣٠٦ ق . م انحصرت جهودها فى البحث فى مضمار الأخلاق وبجانب هؤلاء الفلاسفة فلقد كان من علماء اليونان المؤرخ هيرودت المولود عام ٤٨٤ ق م

والطبيب أبقراط المولود عام ٤٣٠ ق . م

وهؤلاء وغيرهم من مفكرى اليونان لا ينكر دورهم فى الفكر الإنسانى غير أن هذا الفكر لا يمت بصلة إلى وحى السماء ورسالات الأنبياء ، وحينما يطلق عليهم حكماء فهو بالمفهوم الفلسفى للحكمة : حب المعرفة ، لا بالمفهوم الإسلام وهى : الإصابة فى القول

والعمل وهى هبة من الله تعالى تمنح ولا تكتسب قال تعالى : [١]

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

وهناك ثمت فرق كبير بين حكمة هؤلاء الفلاسفة الممتزجة بالوثنية اليونانية وجاهليتها وتلك الحكمة الربانية التى دعا بها إبراهيم الخليل عليه السلام كما جاء فى قوله تعالى : [٢]

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

هذا ومن الخطأ البين أن يطلق على بعضهم : المعلم الأول ، أو رواد الحكمة إن استسيغ هذا فى الفكر الغربى الملحد فلا يجوز أن ينبهر بهم بعض علماء المسلمين ويطلقوا عليهم تلك الألقاب ويكيلوا لآرائهم عبارات المديح والإطراء .

وقد حدد القرآن الكريم ، من هم المصلحون الأول ؟

ومن هم رواد الحكمة الإلهية والمعرفة الإنسانية إنهم رسل الله والتى انتهت روافدهم إلى محمد ﷺ قال تعالى : [٣]

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٢٩ .

(٣) سورة الجمعة آية : ٢ .

آثار الفكر اليوناني:

لقد انتقلت وثنية اليونان إلى النصرانية المحرفة وأصبحت جزءا من عقيدتها ومن ذلك :

العقيدة القائلة بموت الابن المقدس لتخليص الجنس البشرى ثم بعثه من الموت برعمهم ومن الطقوس اليونانية المواكب الدينية وحفلات التطهير والتضحية المقدسة والطعام العام المقدس .

ويذكر ول ديورانت : [١]

" أن ما عليه أوروبا الآن من مذاهب فكرية ترجع روافدها الأولى إلى الفكر اليونانى حيث تتزاحم الأفكار والمذاهب ، فتجد التوحيد ووحدة الوجود ، والشرك والشيوعية ، والحركة النسائية ، والبحث التحليلى لكانت والبأس لشبونيهور ، والعودة للحياة البدائية التى يقول بها روسو ومذهب نيتشه فى التحلل من القيود الأخلاقية ، ومذهب اسبنسر فى التركيب ومذهب فرويد فى التحليل النفسى

وقد وصل هذا التراث الفسلفى المنهج من أيام طاليس خلال القرون الأولى وكان هو الملهم للأباطرة الرومان وأباء الكنيسة وعلماء الدين المدرسين وملحدى عصر النهضة ومتمردى عصر الاستنارة الفرنسيين وعشاق الفلسفة فى هذه الأيام .

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ مجلد ٣ ، ص ٢١ ، ٢١١

ثانيا : الحضارة الرومانية

ترتبط أوروبا بالحضارة الرومانية القديمة والتي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق .م وذلك حينما استطاعت روما أن تنتصر على ما جاورها من المدن ولقد ظهرت كقوة عسكرية عام ٢٣٠ ق. م حينما خطت خطوتها الأولى لفتح بلاد اليونان فورثت حضارتها . ثم تعاظمت قوتها وبسطت سلطانها على أمم كثيرة وشعوب مختلفة لتكون أكبر امبراطورية عرفها التاريخ فى ذلك العصر ، حيث ضمت معظم قارة أوروبا ثم امتد نفوذها لتشمل آسيا الصغرى والبلاد الواقعة على حوض البحر الأبيض وشملت أجزاء من قارة أفريقيا وقد استمرت هذه الامبراطورية حتى القرن السابع الميلادى

عقيدة الرومان

الرومان أمة وثنية كاليونان تعدد الآلهة ويقدر بعض المؤرخين عدد آلهة الرومان بثلاثين ألف إله وكانت بعض المدن الإيطالية فيها من الآلهة أكثر مما فيها من الرجال .

" وكان التنبؤ بالغيب وزجر الطيب من الأعمال التى لا ينقطع الناس عن ممارستها والثقة العظيمة فيها وكان الأباطرة يطلبون المنجمين من البلاد يستشيرونهم فى مهام الأمور وأدخل السحر والشعوذة والخرافات والأوهام الباطلة والرقي والتعاويذ والتفاؤل والتطير وتفسير الأحلام فى نسيج الحياة الرومانية وغطيت الهيا كل بقراين الذهب والفضة وكانت الشموع تضاء أمام المذابح وقد بليت شفاه التماثيل المقدسة وأيديها وأقدامها من كثرة ما طبع عليها من قبلات " (١)

ومع تعدد الآلهة كان هناك نظام كهنوتى فالأب فى منزله هو الكاهن الذى يوقد النار للآلهة ولكن الصلوات العامة كان يرأسها جماعات من الكهنة الذين يحوطون أنفسهم بالهالة

---

(١) قصة الحضارة ، جـ٢ ، مجلد ٣ ، صـ ٣٥٣

والغموض فهم سدنة الإلهة الذين يعرفون أسرارها ويستجيبون لمطالبها وتقدم القرابين لها عن طريقهم .

وكذلك الراهبات يخترن من الفتيات اللاتى أعمارهن من السادسة والعاشرة وكن يقسمن بأن يظللن عذارى فى خدمة الآلهة ثلاثين سنة .

وقد انتقلت هذه المظاهر الوثنية إلى الديانة النصرانية التى أخذت كثيرا من عقائد الرومان وطقوسهم ولا تزال باقية حتى اليوم فنظام الرهبنة الذى طرأ على النصرانية هو نظام رومانى لا يمت إلى الحقة بصلة كما أخبر القرآن الكريم :

فى قوله تعالى : (١).

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾

أخلاق الرومان

لا تختلف أخلاق الرومان عن اليونان أو عن أى أمة تعيش فى ظلمات الكفر وغياهب الوثنية .

فلقد كانوا يتغاضون عن اتصال الرجال بالعاهرات وكانت هذه المهنة ينظمها القانون ويخضعها لإشرافه والمرأة فى المجتمع الرومانى لم تكن أحسن حالا من المرأة اليونانية فلقد كان يحرم عليها أن تظهر فى دار المحكمة ولو كانت شاهدة . وإذا مات زوجها لم يكن لها أن تطالب بأى حق لها فى ماله ، وكان له إن شاء أن يحرمها من الميراث وقد انفرد الرومان

---

(١) سورة الحديد آية : ٢٧ .

بقسوة القلوب والتعطش لسفك الدماء والتلذذ بمشاهدتها حيث تقام حلبات المصارعة يلقى فيها الأرقاء لمصارعة الوحوش ويتوافد الآلاف لرؤية مصارعهم وإن ما يدور الآن على حلبات المصارعة والملاكمة وتنقلها أجهزة التلفاز فى العالم الإسلامى ما هو إلا امتداد للمصارعة الرومانية القديمة وإن اختلفت صورها .

علوم الرومان

لقد ورثت روما الحضارة اليونانية فأبقت على علومها ومعارفها من أدب وفلسفة وخطابة وعلم وفن ومعتقدات باطلة وأخلاق ، كما عرفت علوم تقويم البلدان والطب والفلك ، أما العلم الطبيعى فلقد كان ممزوجا بالسحر والخرافات والفلسفة .

غير أن أهم ما خلفته الحضارة الرومانية شرائعها وقوانينها الإدارية التى ما زالت أوروبا تنهل منها والتى تسربت إلى بعض أقطار العالم الإسلامى مع الاستعمار الأوروبى والغزو الفكرى حتى أصبح القانون الرومانى يدرس فى كليات الحقوق ويترافع به أمام القضاء .

مما سبق تتضح خصائص الحضارة اليونانية والرومانية والتى نوجزها فيما يلى :

١- الوثنية وتعدد الآلهة .

٢- قلة التدين وانحراف الأخلاق .

٣- الايمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحواس .

٤- الميل إلى النزعات الوطنية والقومية .

٥- استعباد الشعوب واستعمارها ونهب خيراتها واستنزاف مواردها .

٦- الولوع ببعض العلوم والمعارف التى أشرنا إليها .

وقد ورثت الكنيسة كل ما لدى اليونان والرومان من عقائد امتزجت بالمسيحية وانحرفت بعقيدتها كما سنوضحه فى المبحث التالى

ثانيا : النصرانية

إن النصرانية الحقة هي رافد من روافد وحي السماء الذي أنعم الله به على البشرية ببعثه رسل الله عليهم الصلاة والتسليم من لدن آدم إلى ختم النبوة برسالة محمد ﷺ وعقيدة التوحيد هي جوهر تلك الرسالات وأساسها والإسلام هو الإطار الذي يحتويها عبر الدهور وتتابع العصور قال تعالى : (١).

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

ولقد استمرت رسالات الأنبياء تتوالى عبر مسيرة الإنسانية على فترات متباعدة أو متقاربة على أسس ثابتة ودعائم راسخة تقر بها العقول المنصفة وتلتزم بها الفطر النقية وهذه الأسس نوجزها فيما يلي :

أولا: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى

فوجود الله من الأمور التي يدركها الإنسان بفطرته وتهتدي إليه العقول بما أودعه الله في مشاعر البشر ووجدانهم من إحساس داخلي وإلهام قلبي ولقد أخذ الله العهد على البشرية منذ الأزل بالإقرار والاعتراف بوجود الخالق .

قال تعالى : (٢)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

(١). سورة الشورى آية ١٤

(٢) سورة الأعراف ١٧٢ ١٧٣

هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

وعن عياض المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات مرة فى خطبته

(ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا ، كل مال نحلته عبدا حلالا وإنى خلقت عبادى كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم) .

وجاء فى صحيح مسلم : قول الرسول ﷺ **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)** .

ولقد جاء القرآن الكريم يصور المشاعر الوجدانية والأحاسيس الفطرية التى تعبر عن الإيمان بوجود الخالق ويظهر هذا الإحساس حينما يعترى الإنسان شدة أو تنزل به نازلة أو تفاجئه ملمة أو يراجه بسؤال عن خالق هذا الكون قال تعالى : (١).

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (٢)

وقال تعالى : (٣)

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾

وبجانب هذه المشاعر الفطرية داخل النفس البشرية والتى تنطق بوجود الله فلقد أقام الحق سبحانه الأدلة على وجوده وذلك بأمرين :

---

(١) سورة لقمان آية : ٣٢ .

(٢) ختار - غداد

(٣) سورة الزخرف آية ٩

الأول : الأدلة المبثوثة فى الكون :

فلقد خلق الله الكون بنظام فريد وتناسق عجيب فأنى قلب الإنسان وجهه فى صفحات الكون يرى صنع الله الذى أتقن كل شئ

فهذا الكون بنظامه لا يمكن أن يتصور العقل أنه وجد بدون خالق فالعدم لا يخلق شيئا فمن المستحيل عقلا أن يوجد فعل بدون فاعل أو أثر بدون مؤثر .

كما لا يتصور العقل أن هذا الإبداع المعجز فى الكون والتآلف والتزاوج بين جزئياته والترتيب والتنسيق بين عناصره المحكمة والمحكومة بقوانين إلهية دقيقة قد تم عن طريق الصدفة العشوائية فالمصادفة لا يعقل أن يتولد عنها نظام إذن لم يبق إلا أن يذعن الإنسان بوجود الخالق سبحانه ، قال تعالى : (١)

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾

وإمعانا فى إقامة الأدلة على وجوده سبحانه ومنعا لكل شبهة ومظنة فقد احتوى القرآن الكريم على الكثير من تلك الآيات الكونية والتى جاء التطور العلمى والتقدم التكنولوجى بما يقرر ذلك .

" فالقرآن كون الله المقروء والكون قرآن الله المنظور "

الأمر الثانى : الإيمان بوجود الله عن طريق الأنبياء والمرسلين

سبق أن ذكرنا أن الإنسان يولد على الفطرة ومن أهم خصائصها الإيمان بوجود الله غير أن البشر خلال مسيرتهم فى هذه الحياة قد تسيطر عليهم الأهواء من شياطين الإنس

---

(١) سورة الطور آية : ٣٥ ، ٣٦ .

والجن فيهوون إلى هاوية الكفر ومنحدر الإلحاد فيحجب عنهم الايمان بوجود الله ويحول الكفر بينهم وبين آيات الله المبثوثة فى الأنفس والآفاق وبهذا يفقد الإنسان أهم خصائصه الإنسانية وهى الإيمان بوجود الله ومن ثم ينتكس إلى عالم الحيوان ، قال تعالى : (١)

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾

ولكى يقيم الله على الناس الحجة ويلزمهم بالبرهان أرسل الله إليهم الأنبيا والمرسلين وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم مبعوثون من قبل الله ليعرفوا الخلق بخالقهم ويردون البشر إلى فطرتهم

وإن من رحمة الله بالعالمين كلما انتكست عقيدتهم وسكروا لخالقهم ... من قبل

نرا قال تعالى : (٢)

﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾

ثانيا : توحيد الله سبحانه وتعالى

إن الإيمان بوجود الله عز وجل يقتضى الاعتراف والاقرار بوحدانيته وأنه سبحانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا يدٌ ولا نظير ولا شبيه له قال تعالى (٣) ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

---

(١) سورة محمد آية : ١٢

(٢) سورة النحل آية : ٣٦

(٣) سورة الإخلاص

وتوحيد الله يتحقق بأمرين :

الأول : نفى الألوهية كلها عن غير الله وذلك بأن يعتقد الإنسان بأنه لا يستحق الألوهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا كائن من كان .

الأمر الثانى : إثبات تفرده بالوحدانية واختصاصه بالعبودية ، فالاعتقاد بوجود شريك أو ابن لله لا يصدر إلا عن فكر معلول وقلب سقيم ونفس مريضة ولا يستقيم مع العقل السليم والفكر المستنير .

ولقد ذكر القرآن الكريم الأدلة العقلية والبراهين الساطعة على الوحدانية وذلك بما يلى :

أ- لو وجد مع الله شريك فى ألوهيته لفسد نظام هذا الكون قال تعالى : (١)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

أى لو كان فى السموات والأرض آلهة تسير أمرهما لا ختل نظامهما لتنازع القائمين عليهما .

قال تعالى : (٢)

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

وقد تضمنت الآية :

١- أن الله سبحانه لو اتخذ ولداً لاستلزم هذا انفصال الابن عن أبيه وذلك يقتضى التركيب المحال على الله ولأن الولد يجانس أباه ويماثله والله ليس كمثله شئ.

٢- أنه لا ينبغى ولا يتصور أن يكون مع الله آلهة أخرى لأنه لو كان معه من يشاركه فى الألوهية والخلق لحدث تنافس ومغالبة وعلا كل منهم على الآخر ليوسع دائرة ملكوته ولو كان هناك آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمته : (١)

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

وعلى هذه الأسس تبطل كل عقيدة تخالف عقيدة التوحيد ولا سيما ما يعتقده النصارى فى الثالوث :

الأب - الابن - الروح القدس ، فإن ذلك يتنافى شرعا وعقلا مع وحدة الذات الإلهية .

مما سبق يتضح أن وجود الله ووحدانيته هما صلب وجوهر الديانات السماوية كلها :

ثالثا: الايمان بالغيب

من الأسس التى تقوم عليها جميع الرسالات السماوية الإيمان بالغيب وهو :

كل ما لا يدركه العقل أو الحواس ولا يعرف إلا عن طريق الوحى وإخبار الأنبياء .

والإيمان بالغيب دعامة كل دين وجوهر كل ملة وشريعة وهو الفيصل بين المتدين وغير المتدين وهو المميز للإنسان عن سائر المخلوقات التى تشاركه الحياة على ظهر هذه الأرض ، فهو يسمو بالإنسان عن الحيوان ، ويغرس فى نفسه الأمل فلا يقرب اليأس إلى

---

(١) سورة الإسراء : ٤٣ .

قلبه ولا يتمكن القنوط من نفسه إن أخفقت أماله فى الدنيا اعتقد بأن ما عند الله خير وأبقى .

والإيمان بالغيب يولد فى نفس المسلم معان كثيرة كالعزة والترفع عن الدنايا والإيمان بالقضاء والقدر والشجاعة والإقدام والصمود فى مواجهة ما يعتريه عبر مسيرة حياته من شدائد أو محن لأنه مؤمن ومعتقد فى الجزاء العادل يوم القيامة ولقد ذكر القرآن الكريم أن الإيمان بالغيب من الصفات الملازمة للمؤمنين قال تعالى : (١)

﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

والإيمان بالغيب يقتضى التصديق بالأمور التالية :

١- الإيمان بالملائكة .

٢- الإيمان بالجن .

٣- الايمان بالحياة البرزخية .

٤- الإيمان بيوم القيامة وما فيه .

رابعا: الايمان بالرسل

الرسول والنبى بشر من بنى آدم اصطفاه الله وأيده بالمعجزات الدالة على صدقه ، قال تعالى : (٢)

---

(١) سورة البقرة ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٢) سورة الحج آية : ٧٥ .

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾

والتصديق بالرسل وعدم التفرقة بينهم من أسس الإيمان فى كل الأديان ومما يجب الإيمان به أنهم جميعا دعوا بدعوة الإسلام فكلما خفت نور الإيمان فى القلوب وتمكن الشرك فى النفوس واستبد الإنسان بأخيه الإنسان وانتهكت الأعراض واستبيحت المحرمات أرسل الله الرسل والأنبياء على فترات زمنية متقاربة أو متباعدة أو معاصرين لبعضهم ، فيحررون عقل الإنسان وفكره من مظاهر الكفر والشرك ويهذبون مشاعره ويقومون سلوكه بالعبادات وبمكارم الأخلاق ويوقظون فى الإنسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها وذلك من خلال دعوة الإسلام التى جاء بها رسل الله .

فالإسلام بمعنى الاستسلام والخضوع والانقياد لله هو دعوة المرسلين جميعا واختلاف الشرائع يرجع إلى اختلاف الزمان والمكان والبيئات وفق أحوال المرسل إليهم .

وإن المتتبع لقصص الأنبياء فى القرآن الكريم يجد أن الإسلام هو أساس كل رسالة وجوهر كل شريعة ومعالم كل ملة يرى ذلك واضحا فيما يلى :

١- نوح عليه السلام

يحذر قومه من مغبة الأعراض عن دعوة الإسلام قال تعالى :[١]

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

٢- ابراهيم عليه السلام :

يعلن فى جلاء تام أنه مسلم ويحمل أبناءه وأحفاده أمانة تبليغ الإسلام ، قال

---

(١) سورة يونس آية ٧٢ .

تعالى (١)

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

٣- على درب ابراهيم الخليل سار يعقوب عليه السلام فأوصى أبناءه بالإسلام وهو يجود بأنفاسه الأخيرة قال تعالى : (٢)

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾.

٤- موسى عليه السلام :

يخاطب قومه بالإسلام ويحرك مشاعرهم نحوه قال تعالى : (٣)

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ بل إن فرعون وهو يغرق وتتقاذفه الأمواج ويبتلعه اليم يصرخ بكلمة الإسلام لعلها تكون طوق نجاة له ، قال تعالى : (٤)

---

(١) البقرة آية : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢

(٢) البقرة آية : ١٣٣

(٣) سورة يونس آية : ٨٤

(٤) سورة يونس آية : ٩٤ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

٥- وعيسى عليه السلام :

حينما أحس من قومه الكفر واشتم فيهم رائحة الخيانة والغدر استوثق من حواريه وأنصاره من معه ؟ ومن ضده ؟ قال تعالى : (١)

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

على هذا الدرب كانت دعوة الأنبياء والمرسلين جميعا ومن سار على هديهم من ذوى الفطر السليمة والقلوب النقية والعقول الواعية فى كل زمان ومكان .

وقد قيل لقسيس أسلم : (٢)

كيف تخرج من المسيحية وتدخل الإسلام ؟

فقال : ما خرجت من المسيحية ولكنى أدركت أصولها وسرت فيها إلى أقصى مداها فالإسلام امتداد لكل الأديان السماوية الصحيحة فسرت إليه .

هذه بعض من نصوص قرآنية كثيرة تظهر أن الإسلام هو الدين الذى اختاره الله للإنسانية من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء ﷺ فالنصرانية فى فجر تاريخها وإبان بدء دعوتها على لسان عيسى عليه السلام كانت امتدادا لرسالات بنى اسرائيل السابقة ومهدة ومبشرة برسالة سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٢

(٢) المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية . صـ ٣٧٥

قال تعالى : (١)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

ومع ما لحق بالتوراة والانجيل من تحريف وتبديل فإن بعض النصوص فيهما قد صانها الله لتكون بصيص نور يدل على الحقيقة وسط دياجير التشويه والتزوير .

فمما جاء في العهد القديم (التورارة) .

" جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير وتلألأ من جبل فاران " .

ويذكر العلماء أن هذا إشارة إلى التجليات الثلاث فالمجيء من سيناء إيماء إلى رسالة موسى عليه السلام والإشراق من ساعير إشارة إلى رسالة عيسى عليه السلام والتلألأ من فاران دلالة على رسالة محمد ﷺ وهذا نفس ما توحي به سورة التين في قول تعالى :

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾

فلقد أقسم الله بهذه الأماكن الثلاث التي شهدت وحي السماء على رسل الله الثلاثة

ولقد جاء في انجيل متى الإصحاح ٢١ ، قول عيسى عليه السلام لقومه .

« ما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤن قد صار رأس الزاوية من عمل الرب كان هذا عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم .

إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره »

وهذا ما يشير إليه ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (٢)

---

(١) سورة الصف آية : ٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ١ ، صـ ٥١ .

" مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنه فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين "

وجاء فى انجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ - ٢٤

" إن المرأة السامرية قالت ليسوع : أباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون : إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن تسجدوا فيه .

فقال لها يسوع (عيسى عليه السلام) .

" يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون لله ، الله روح والذين يسجدون له فالبروح والحق ينبغى أن يسجدوا "

مما سبق يتضح أن رسالات الأنبياء تخرج من مشكاة واحدة وأنها تدفقت فى شريان البشرية عبر تاريخها حتى بلغت تمامها وكمالها وأوج عظمتها بالرسالة الخاتمة المهيمنه على جميع الرسالات والناسخة لكافة الشرائع السابقة ، قال تعالى : (١)

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

فالهيمنة على الكتب السابقة كما قال ابن عباس : (٢)

" أى مؤتمنا عليها " .

---

(١) سورة المائدة آيه ٤٨

(٢) تفسير القرطبى . صـ ٦ ٢ ٢ الشعب

" وقيل حكما على ما قبله من الكتب "

وقال سعيد بن جبير :

" القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب " .

وهيمنة الإسلام على الشرائع السابقة تكون بما يلى :

١- تصحيح ما انحرف منها ولا سيما ما يتعلق بأمور العقيدة .

٢- تطهير سير الأنبياء والمرسلين مما لحق بهم من افتراءات وردت فى التوراة والإنجيل المحرفتين مما يتنافى وعصمة الأنبياء .

٣- نسخ الإسلام لبعض التشريعات التى جاءت بها تلك الأديان .

٤- إن القرآن الكريم قد أعاد الأديان السابقة ولا سيما اليهودية والنصرانية إلى النهج القويم والصراط المستقيم اللذين انحرفا عنهما اتباعهما وذلك بالتصديق بالإسلام واتباع شرائعه ، قال تعالى :[١]

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ .

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

حقيقة النصرانية بعد عيسى عليه السلام

إذ ما أردنا أن نقف على حقيقة النصرانية ونتعرف على الانجيل الذى أوحاه الله إليه :

" فإننا نواجه تاريخا غامضا ونصوصا لا تمت بصلة إلى وحى السماء قد انقطع سندها وانفرط عقدها وجهل رواتها .

واختلف عليها أتباعها ، وألفينا أنفسنا أمام وثائق متناقضة ومتعارضة وعقائد مزيفة وباطلة ، لقد امتدت إلى النصرانية أيد كثيرة بالمحو والإثبات وتعرضت عبر تاريخها للتحريف والتبديل يقول دل بورانت [١]

" إن الأناجيل الأربعة التى وصلت إلينا هى البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرا كانت فى وقت ما منتشرة بين المسيحيين فى القرن الأول والثانى ، واللفظ الدال على الإنجيل فى اللغة الإنجليزية القديمة :

(أخبار طيبة)

وترجع أقدم النسخ من الأناجيل إلى القرن الثالث الميلادى أما النسخ الأصلية فيبدوا أنها كتبت بين عامى ٦٠ ، ١٢٠ م ، ولعلها تعرضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء النقل ولعلها تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى إليها الناسخ والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون قط شيئا من العهد الجديد بل كان ما يأخذونه من العهد القديم ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحى قبل عام ١٥٠ م وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر وأن فيها نقطا تاريخية مشكوك فى صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشك والشبهة " .

---

(١) قصة الحضارة دل بورانت جـ٣ مجلد ٣ صـ ٢٧ ٢٨

ويكاد يجمع المؤرخون وعلماء الأديان على أن ما لدى النصارى من عقائد لا تمت بصله إلى ما جاء به عيسى عليه السلام وإنما هى مزيج من الوثنية اليونانية وبقايا النصرانية التى وضع أصولها بولس الرسول ومن سار على نهجه .

وهو يهودى الأصل واسمه شاول من طائفة الفريسيين وهى طائفة يهودية كان لها شأن كبير فى الامبراطورية الرومانية وقد عاصر عيسى عليه السلام غير أنه لم يلتق به ولم يتلق عنه بل كان يضمر العداوة لأتباعه وأنزل بهم شتى ألوان التعذيب والاضطهاد وبعد رفع عيسى عليه السلام دخل النصرانية بشكل مفاجئ ومريب وأصبح من كبار دعاتها وأصبح ذلك الرجل اليهودى أحد القديسيين الذين نزل عليهم روح القدس وعظم تأثيره حتى صار معلما لمرقس ولوقا ، وهما من كتاب الأناجيل الأربعة وفكرة أن عيسى ابن الله لم تعرف قبله * فهو الذى بشر بها ومزج بين الوثنية الرومانية والديانة النصرانية ، وبذر بذور الخلاف حول طبيعة عيسى عليه السلام ، فتاريخ الكنيسة فى عصورها الأولى يرتبط ببولس أكثر من ارتباطه بعيسى عليه السلام .

وعن أثره فى المسيحية يقول ول ديورانت : [١]

" كانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية ثم أصبحت فى تعاليم بولس نصف يونانية وأصبحت فى المذهب الكاثوليكى نصف رومانية ثم عاد إليها العنصر اليهودى والقوة اليهودية حين دخلها المذهب البروتستانتى " .

وقد قتل بولس فى اضطهادات نيرون عام ٦٦ أو ٦٧ م

---

(١) قصة الحضارة ، جـ٣ ، مجلد ٣ ، صـ ٢٤٨ .

(*) بمعنى أنها لم تعرف فى النصرانية التى جاء بها عيسى عليه السلام .

امتزاج النصرانية بالوثنية

سبق أن أوضحنا عقائد اليونان والرومان ، وبجانب تلك العقائد كان العالم أجمع يسبح فى بحار الوثنية يقول الدكتور أحمد شلبى [١] :

" قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عددا من الآلهة منها . أبلور عند الإغريق ، وهيركوليس عند الرومان ، ومترا عند الفرس وأدونيس عند السوريين ، واوزيرس وحوريس وايزيس عند المصريين ، وبعل عند البابليين وكلها تشترك فى العقائد الآتية :

كلهم ولدوا فى كهف أو جحر تحت الأرض .

كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل البشر .

كلهم ينعتون بالمخلص أو المنقذ أو الوسيط .

كلهم قهروا يقوى الشر والظلام .

كلهم ألقى بهم فى المدافن والنيران .

كلهم هبوا من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى السماء .

كلهم أسسوا خلفاء ورسلا ومعابد .

يراجع المسيحية د. احمد شلبى

وعن امتزاج الوثنية بالمسيحية يقول صاحب كتاب قصة الحضارة : [٢]

" إن المسيحية لم تقض على الوثنية ولكنها تبنتها ذلك أن العقل اليونانى عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوات الكنيسة وطقوسها وأصبحت اللغة اليونانية قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة والطقوس المسيحية وانتقلت الطقوس اليونانية إلى طقوس القداس الخفية " .

---

(١) المسيحية ، صـ ١٦٩ .

(٢) جـ٣ ، مجلد ٣ ، صـ ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وعن تأثر النصرانية بالوثنيات المعاصرة يقول :[١]

" فجاءت من مصر أراء الثالوث المقدس ويوم الحساب وخلود الإنسان ومنها جاءت عبادة أم الطفل والاتصال الصوفى بالله ذلك الاتصال الذى أوجد الافلاطونية الحديثة واللا أدرية وطمس معالم العقيدة المسيحية ، ومن مصر أيضا استمدت الأديرة نشأتها ، ومن سوريا أخذت تمثيلية أودنيس وربما كانت تراقيا هي التى بعثت للمسيحين بطقوس موت الإله ونجاته . ودين هذا شأنه لابُدّ وأن أن يتنازع رجاله وتتباعد عقائده وتتعدد مذاهبه وقدأحصيت عام ١٨٧م عشرون شيعة مختلفة من المسيحيين وصلت فى عام ٣٨٤م إلى ثمانين فرقة تختلف فى أصل العقيدة ولسنا بصدد البحث فى عقائد النصارى فهذا - يحمد الله وتوفيقه - كتب فيها علماء أجلاء عبر التاريخ الإسلامى كشفوا حقيقة النصرانية وتصادمها مع العقل والعلم وأماطوا اللثام عن التضارب بين الأناجيل تضاربا يستحيل على العقول المنصفة تصديقه . "

هذا بجانب جم غفير من علماء النصارى اهتدوا إلى الحقيقة واعتنق بعض منهم الإسلام ومن بقى منهم على دينه لم يطمس الحقيقة بل وقف بعضهم فى جانب العقل والعلم واستمر البعض على ضلاله وعمايته وأننا سوف نتناول النظام الكنسى الذى ارتبط بأوروبا وجثم على أنفاسها منذ القرن الأول الميلادى وحتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م ولم تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم علمى وتطور صناعى إلا حينما أسقطت النظام الكنسى وكذا الإقطاع وكان من شعار الثورة الفرنسية :

" اقضوا على آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" ، وكانت المذاهب الفكرية إحدى عوامل هدم الكنيسة كما سنوضح بين ثنايا هذا الكتاب .

---

(١) المرجع السابق ، صـ ٢٧٦ .

(*) إن مفهوم الحساب وخلود الإنسان من المعتقدات السماوية الصحيحة إلا إذا كان يقصد الحساب وخلود الإنسان وفق التصور المصرى القديم .

أوروبا والنصرانية

إن أوروبا لم تعرف دين الله الحق المنزل على عيسى عليه السلام ولكنها عرفت النصرانية من خلال بعض بقايا تعاليم عيسى عليه السلام التى المحرف بها بولس الرسول وأمثاله الذين صاغوها صياغة تمزج بين تعاليمها وما عليه الرومان من عقائد وثنية .

لقد وصلت طلائع النصرانية إلى روما عاصمة الدولة الرومانية عام ٤١ م وكان من أوائل روادها القديس بطرس وبولس اللذان قتلا على يد نيرون عام ٦٤ م .

وخلال القرن الأول الميلادى انحصرت تعاليم النصرانية فى قضايا : التثليث ، الصلب والفداء ، التعميد - العشاء الربانى - الكنهوت أما سائر التعاليم الأخرى ، فقد انبثقت من عادات وتقاليد الوثنية الرومانية وغيرها .

لقد صاحب فجر المسيحية الأول تنازع فرقها وانقسام طوائفها فى عام ١٨٧ م وصلت شيع النصارى إلى عشرين شيعة مختلفة بلغت عام ٣٨٤ إلى ثمانين فرقة ، كما سبق أن ذكرنا .

وظلت النصرانية دينا مضطهدا من قبل الدولة الرومانية حتى اعتراف الامبراطور قسطنطين لها كدين رسمى عام ٣١٣ م وانتقل بها من روما إلى القسطنطنية .

ويعلل ول ديورانت أسباب اعتناق قسطنطين النصرانية فيقول : (١)

" لقد كان قسطنطين يأمل أن يكون ملكا مطلق السلطان هذا النوع من الحكم يستفيد لا محالة من تأييد الدين له وقد بداله أن النظام الكهنوتى وسلطان الكنيسة الدينى يضمنان نظاماً روحيا يناسب نظام الملكية ولقد كان قسطنطين يحمل بين جنبيه شخصية مزدوجة تعتنق المسيحية وتعمل على ازدهار الوثنية فلقد حبا المسيحين بكثير من التسامح على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم وهو المنصب الامبراطورى فى

---

(١) قصة الحضارة ، جـ١ ، م ٣ ، صـ ٣٩٤

الديانة الرومانية الوثنية ، ثم إن العملة فى أيامه ضربت على وجه منها علامة الصليب وعلى الوجه الآخر شعار الوثنية عبادة الشمس "

ومنذ أصبحت النصرانية دينا رسميا أخذت الكنيسة تفرض سطوتها وتبسط رهبتها على أوروبا واستحدثت نظاما كهنوتيا يغاير تماما ما جاء به عيسى عليه السلام .

النظام الكنسى

إن المتأمل فى تاريخ المسيحية يلاحظ أن الكنيسة بمفهومها فى العصور الوسطى وحتى الآن لا تمت بصلة إلى ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام والذى كان ينحصر فى الوعظ والدعوة إلى التوبة والتبشير بالآخرة وانتزاع الإنسان من المادية التى أغرقتهم اليهود فيها وانتشاله من الوثنية التى كانت تحميها دولة الروم .

وإن الأناجيل المتداولة الآن لا تحمل بين نصوصها نصا صريحا يعبر عن الكنيسة بمفهومها لدى النصارى الآن .

ولا يوجد سوى ما ذكر فى انجيل متى الإصحاح ١٦ / ١٨ / ١٩

أن عيسى عليه السلام قال لبطرس كبير الحواريين :

أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات .

فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماء " .

ومن خلال هذا النص هيمنت الكنيسة على مصائر رعاياها وأعطت لرجالاتها قداسة خاصة ونصبوا أنفسهم وسطاء بين الله والناس وأنشأت الكنائس :

والكنيسة اسم سريانى معناه : مجمع

أما الكلمة اليونانية المستعملة فى العهد الجديد فإنها تعنى : (مجمع المواطنين) .

وقد نظمت الوظائف الكنيسة الكاثوليكية على النحو التالى :

١- البابا :

وهى كلمة شرقية محضة وأول من تسمى بها أسقف الاسكندرية وقال المحققون إنها كلمة غريبة الأصل مترجمة من كلمة بطريرك الأعجمية وقيل إنها يونانية الأصل مأخوذة من كلمة باباس ومعناها الأب وتطلق على الحبر الأعظم فى روما وتطلق على بابا الاسكندرية

والبابوية نظام كنسى يركز السلطة العليا التى هى باسم الله فى يد البابا وقصر حق تفسير الكتاب المقدس عليه وعلى المجلس البابوى ولقد بلغت البابوية فى القرون الوسطى شأنا كبيرا وفرضت هيمنتها على ملوك أوروبا ونبلائها يقول البابا نقولا الأول :

" إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل بطرس الرسول أولى رئيس لها وأن أساقفة روما ورثوا سلطان بطرس فى مسلسل مستمر متصل ولذلك فإن البابا يمثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما ومحكومين .

وقال البابا ارنست الثالث عام ١١٩٨ - ١٢١٦ م [١]

" إن الخادم ويقصد به البابا - الذى أقامه الله على شعبه إنما هو نائب المسيح وخليفة بطرس فهو القائم بين الله وبين عباده دون الرب وفوق البشر وهو يحكم على الجميع ولا يحكمه أحد " .

كما أعلن البابا غريغورس السابع ١٠٧٣ - ١٠٨٥ م [٢]

" إن الكنيسة هى صاحبة السيادة فى العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة

---

(١) معالم تاريخ العصورالوسطى . محمد رفعت محمد حسونه ص ١٤٨

(٢) معالم تاريخ العصور الوسطى محمد رفعت محمد حسونه . ص ١٣٧

وتمد هى ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ وأن البابا له مركز فذ فى العالم فهو الذى يولى الأساقفة ويخلعهم وله الحق فى خلع الأباطرة "

٢- الكاردينال :

هو عضو أعلى هيئة تساعد البابا فى إدارة الكنيسة الكاثوليكية والمجلس الاستشارى ويلى البابا وهم الذين يختارون البابا من بينهم .

٣- البطريرك :

وهو مشتق من كلمة يونانية ، ومعناها (رئيس العشيرة) ثم أصبح يطلق على رئيس إنطاكيا والاسكندرية وهو رئيس الملة وخليفة المسيح والقيم على الدين والمقيم لمراسيمه .

٤- المطران :

كلمة يونانية مأخوذة من كلمة (متروبوليس) ومعناها المدينة الأم .

والمطران هو أسقف المدينة الأم والمتقدم على الأساقفة فى المجامع باعتباره الأسقف للمدينة الأم .

٥- الأسقف : كلمة يونانية معناها الرقيب أو الناظر .

٦- القسيس : يقوم بالتعليم وإقامة الشعائر .

٧- الشماس : هو مساعد القس والأسقف فى الخدمة .

٨- الراهب : هو الذى انقطع عن الدنيا وحبس نفسه للعبادة .

ومع تقلص سلطة الكنيسة بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م فإن نظامها ما زال حتى الآن يبسط سلطانا روحيا لأعلى أوروبا فحسب ولكن على المسيحيين فى أنحاء العالم .

ولقد استطاعت النصرانية من خلال هذا النظام ومن خلال المجامع المقدسة التى كانت تعقد على فترات متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى أن تبسط سلطانها على أوروبا وعلى بعض الأقطار فى آسيا .

فانتشرت إبان العشرين سنة الأولى فى سوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ودخلت روما عام ٦٤م ولقد ساعد اضطهاد الرومان خلال الثلاثة قرون الأولى على انتشارها وتعاطف الناس معها ولاسيما وأنها لم تصطدم بمعتقداتهم الوثنية بل قننت تلك المعتقدات وأدخلتها فى صلب النصرانية ثم زاد انتشارها عقب إعلان ميلانو عام ٣١٣م .

فدخلت الجزر البريطانية فى القرنين الثانى والثالث الميلادى وفى القرن الرابع اعتنقها أهل إيرلنده ، وفى القرن الثامن وصلت النصرانية إلى المانيا وفى التاسع إلى البلدان الاسكندنافية : السويد والنرويج ، أما فى القرن التاسع والعاشر فاعتنقها الروس .(١)

أما النصرانية فى البلاد العربية فدخلت عن طريق الرومان عام ٣٤٣م إلى نجران وانتشرت فى اليمن عن طريق الأحباش ، وحاولوا الانطلاق بها إلى أنحاء الجزيرة العربية فكانت حادثة الفيل . كما انتشرت فى مصر وشمال أفريقيا إبان فجرها .

ومنذ أن غدا للكنيسة دولة وصولة إذ بها تنسلخ من تعاليم عيسى عيه السلام وتمارس ألوانا من الظلم وصنوفا من الطغيان وتعقد تحالفا مع النظام الإقطاعى أدخل الرعية فى كهف مظم من التخلف والقهر والظلم تجرعت أوروبا علقمه قرونا عديدة ومن صور الطغيان ما يلى :

أولاً : الطغيان الروحى

إن الرسالات السماوية من لدن آدم وحتى محمد ﷺ تقوم على الإقناع العقلى بالبراهين الواضحة والأدلة الساطعة المستمدة من وحى السماء التى تحيى فى الإنسان

---

(١) أطلس الكتاب المقدس ، تأليف هـ . هـ رولى ، طبعة دار النشر المعمدانية ببيروت .

أسمى المشاعر وتعيده إلى فطرة الله التى فطر الناس عليها كل ذلك فى إطار الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، قال تعالى : (١)

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

فالأديان السماوية ليست سيفا مسلطا على رقاب العباد تدعوهم إلى الدين مرغمين وتلزمهم بأحكامه كارهين ، قال تعالى : (٢)

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

وقال تعالى : (٣)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

وأنبياء الله ورسله لم يمارسوا طغيانا روحيا على أتباعهم ولم يحيطوا أنفسهم بهالة من القداسة والغموض ولم تكن أشخاصهم صفوات الله وسلامه عليهم أجمعين مغلفة بالأسرار التى تخفى عن الأعين بل أن حياتهم جميعا كتاب مفتوح يقرأه الناس فى سهولة ووضوح وكانوا عليهم الصلاة والسلام يدفعون عن أشخاصهم أى غلو ولو كان مستترا بغلاف الحب ويؤكدون فى أقوالهم وأفعالهم أنهم بشر رسل ، يشاركون البشر فى الطبائع السليمة والفطر النقية ويؤدون من الأعمال ما لا تنفر منه العقول المستقيمة ويجرى عليهم ما يجرى من سنن الله فى خلقه فى كل شئون الحياة غير أنهم رسل الله يتلقون وحيه ويبلغون شرعه دون ما طمع فى مال أو تطلع إلى رئاسة أو زعامة ، جرى هذا على ألسنة

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) سورة يونس آية ٩٩

رسل الله أجمعين كما تحدث القران عنهم

أما أرباب النحل الباطلة وأصحاب الأديان الموضوعة والعقائد الزائفة فيحيطون أنفسهم بالغموض والأسرار لتضفى عليهم هالة من التقديس الزائف تلقى فى روع رعاياهم الخوف منهم والاستسلام لهم كما قال تعالى فى شأن فرعون : (١)

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾

وما ملابس الكهنة فى الأديان القديمة وزى القساوسة والرهبان والطيلسان والصلبان والمعابد والمباخر والتراتيل إلا صورة من صور الإرهاب الدينى والضغط النفسى على الناس .

ولقد انخرطت المسيحية فى عقد تلك النحل الباطلة حيث انقطعت صلاتها بالدين الحق المنزل على عيسى عليه السلام وانفلت زمام رجالاتها فاتسعت الهوة بينهم وبين ما أنزله الله فمارسوا طغيانا روحيا على رعاياهم وابتدعوا من العبادات والطقوس ما يوقع أتباعهم فى قبضتهم ولايفلتون من أيديهم وحينا يحاولون الإفلات فإن الهلاك ينتظرهم ومحاكم التفتيش تتعقبهم وأوامر الطرد من رحمة الله تحل عليهم

ويا ويل من صبت عليه جام غضبها وأبعدته عن ساحتها فإنه يعيش منبوذا طريدا وإذا مات تنزلت عليه اللعنات وربما نبش قبره وحرق جثمانه .

ولقد طوقت الكنيسة رعاياها بطقوس تلازمهم طوال حياتهم .

فالطفل لايعد مسيحيا حتى يعمد بالماء المقدس . والتعميد لايتم إلا على يد الكاهن ثم تظل حياته مرتبطة به من خلال :

الاعتراف - الزواج - صكوك الغفران - العشاء الربانى - مراسيم الدفن .

وقد استغلت الكنيسة بلاهة رعاياها وسذاجة أتباعها ولاسيما وأن الوثنية الرومانية ما زالت تجرى فى عقول أممها فزيفت دين الله الحق المنزل على عيسى عليه السلام

(١) سورة الأعراف آية ١١٦

وشرعت الأحكام التي لاتمت بصلة إلى وحي السماء وأعطت لرجالها حق التشريع ومنحتهم العصمة فيما يقررون من أحكام . ومن ذلك

١- ما قرروه فى شأن عيسى عليه السلام

إن عيسى عليه السلام شأنه شأن جميع الأنبياء لاينفرد بأمر خاص سوى معجزة خلقه من غير أب أما ما عدا ذلك فهو بشر رسول يجرى عليه ما يجرى على الأنبياء جميعا

غير أن الكنيسة انحرفت فى تفكيرها واختلفت فيما بينها على طبيعته عليه السلام وعقدت المجامع المقدسة لفرض آرائها التى لا تمت إلى الدين الحق بصلة ، وهذه المجامع هى :

١- **مجتمع نيقية الأول عام ٣٢٥م** : حيث تقرر فيه أن المسيح إله وحاربوا كل من يقول بخلاف ذلك ولاسيما « آريوس » الذى أعلن :[١]

« أنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور وهو من العلو بحيث لاصلة له بشاتا بأى شئ له نهاية وهو فريد لاشبيه له أزلى لابداية له ، ثم بين عقيدته فى المسيح عليه السلام ، فيقول : إن المسيح خلقه الأب خلقا فهو إذن غير أزلى وهو مخلوق مثل باقى المخلوقات وهو ليس مساويا للآب فى الجوهر بل على العكس تتغير طبيعته مثل أى مخلوق » .

٢- **مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م** .

حيث تقرر فيه أن الروح القدس الله فى مواجهة مقدنيوس القائل : " إن الروح القدس ليس بإله ولكنه مصنوع "

---

[١] موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٥

٣- **المجمع الثالث المنعقد بأفسس عام ٤٣١م .**

تقرر فيه أن للمسيح طبيعتين إحداهما للاهوتية والأخرى ناسوتية فى مواجهة مقالة :[نسطور] أن المسيح ليس بإلـه ولكنه متحد مع الإبن بالألوهية والتقديس " .

٤- **المجمع الرابع الخلقدونى عام ٤٥١م**

تقرر فيه أن الطبيعتان منفصلتان إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٥- **المجمع المسكونى الخامس** : تقرر فيه أن المسيح ذو طبيعة واحدة .

٦- **المجمع المسكونى السادس** : يقرر أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان وفعلان .

٧- **المجمع المسكونى السابع** : تقررت عبادة الصور والتماثيل ووضعها فى الكنائس .

وهكذا يبدو التناقض والتضارب فى عقيدة النصارى بشأن عيسى عليه السلام ، ولقد مارست تلك المجامع عبر تاريخها طغيانا روحيا وأقامت محاكم التفتيش تكفر وتحرق وتعذب من ترى تعذيبه بلا رحمة ولا هوادة .

٢- قضية الصلب والفداء

تتلخص تلك العقيدة : [١]

أن العالم من عهد سقوط آدم فى الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ولكن الله من فرط محبته وقبض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد ليخلص العالم .. لهذا صلب ورضى الله صلبه وهو ابنه ودفن بعد الصلب ولكن قام بعد ثلاثة أيام من قبره

---

(١) النصرانية للشيخ أبو زهره . صـ ١٠٦ .

هذه العقيدة تضاربت الأناجيل تضاربا بسقطها ولقد نفى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى (١)

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ .

هذا الاعتقاد وما يتعلق به من أحكام كتقديس الصليب وحمله يمثل صورة الافتئات والافتراء والزور والبهتان الذى مارسته الكنيسة عبر تاريخها وألبست الباطل ثوب الحق وحملت رعاياها على ذلك قسرا .

٣- الختان :

وهو من سنن الفطرة وكان فى شريعة عيسى عليه السلام كما فى الشرائع السابقة .

يقول لوقا ٢ : ٢١

" ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الصبى سمى يسوع كما سماه الملاك من قبل " .

فنقض بولس هذه الشريعة مشايعة للرومان الذين كانوا لا يختتنون فقال فى رسالته لأهل رومية ٢ / ٢٥ / ٢٩

" إن الختان هو ختان القلب وليس الختان ما كان ظاهرا فى اللحم " وقد حرم الختان فى المجمع الأورشليمى عام ٥٠ م وكان بولس على رأس هذا المجمع " .

٤- الطلاق وتعدد الزوجات أمر مقرر فى شرائع الأنبياء جميعا ولم يرد نص فى الإنجيل يحرم الطلاق أو يمنع تعدد الزوجات وإنما حرم ذلك بحكم كنس بابوى .

(١) سورة النساء آيات ١٥٦ - ١٥٨

٥- **الزواج** سنة من الفطرة حث عليه الأنبياء جميعا وكانو قدوة فى تطبيق هذا الأمر الشرعى الفطرى عبر تاريخهم لم ينقض إلا على أيدى رجال الكنيسة حيث ابتدعت بدعة الرهبنة والانقطاع عن الحياة واللجوء إلى الأديرة والصوامع ، ولقد أدت هذه البدعة إلى نتائج سيئة فأصبحت الأديرة مسرحا لإتيان الفاحشة .

٦- **عبادة الصور والتماثيل** التى انتقلت من الوثنيات المعاصرة وغدت من صلب العقيدة النصرانية ولم تعد الصور والتماثيل قاصرة على المسيح عليه السلام وأمه البتول بل تمادت الكنيسة فى طغيانها وانحرافها وتجرأت على الله سبحانه وتعالى وصورته كما تصور المخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٧- اختلاق المعجزات والخرافات

إن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره على يد النبى أو الرسول تأييدا له وتحديا لأعدائه أما غير هؤلاء من البشر فلا شأن للمعجزة بهم قد يظهر الله على أيدى بعض أوليائه أنواعا من الكرامات تكريما لهم ، ولقد توسعت النصرانية فى شأن المعجزات وخوارق العادات فأجرتها على أيدى قديسيها ورهبانها ومزجت بين أساطير اليونان القديمة وبين ما لديها من خوارق من العادات .[١]

" واتسع نطاق المعجزات حتى أصبحت مكانة رجل الدين وقداسته مرهونة بما يظهر على يديه من الخوارق وما يتعاطى من الشعوذات وكان باستطاعته أن يترقى منصبه بالقيام بأى عمل تجهل العقول الساذجة علته الحقيقية مدعيا أن ذلك هبة من الروح القدس له .

---

(١) العلمانية ، سفر الحوالى ، صـ ١٠٥ ، ١٠٦

وكانت خوارق الكنيسة وشعوذتها تتراوح بين الرؤى المنامية ذات التهويل المبالغ فيه وبين التكهن المتكلف بالمغيبات وحوادث المستقبل وبين تحمل الأساليب واستجداء الوسائل لشفاء الأمراض المستعصية يتبع ذلك أمور أخرى كتعليق التمائم والرقى والتميمات المجهولة واستعمال اشارة الصليب وتعليق صور القديسيين ومحاربة الشياطين وطرد الأرواح الشريرة وصد الكوارث والأوبئة واستنزال النصر فى الحروب وغير ذلك " .

وما زالت الكنيسة مستمرة فى ادعاء المعجزات لرجالاتها وكلما انفض رعاياها عنها اختلقت معجزة وإذا ما أرادت إحداث فتنة فى مجتمع ما زعمت ما لا يتصور عقليا كخرافة تجلى العذراء التى تلوح بها بين الحين والحين . وقد بلغ الطغيان الروحى قمة سطوته وغاية جبروته وتسلطه وذلك من خلال مهزلة صكوك الغفران التى لم يعرف لها تاريخ الأديان مثيلا ، فقد منح رجال الدين النصرانى لأنفسهم حق غفران الذنوب وإعطاء صكوك الغفران وكان لتلك الصكوك تسعيرة معروفة فالمغفرة من جريمة الزنا تكفر بمائة وخمسين دونقا والمغفرة من جريمة القتل بثمانمائة دونقا .

وقد عقد المجمع الثانى عشر المعروف باسم مجمع لاتيران عام ١٢١٥ م وأعطى للكنيسة حق الغفران للمذنبين وأصدرت صورة الصك التالى : [١]

" ربنا يسوع يرحمك يا " ويكتب اسم الذى سيغفر له) ويشملك باستحقاقات آلامه الكلية المقدسة وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وأمسح جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة وارفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسيين ، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر

(١) النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ، صـ ١٦٧

اللذين كانا لك عند معموديتك حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس .

وقد أفرطت الكنيسة فى بيع هذه الصكوك بل ومنحتها لكل من اشترك فى الحروب الصليبية ضد المسلمين . (١)

ولقد جاء الإسلام العظيم يبطل تلك الافتراءات ويمزق تلك الأستار الزائفة التى تسترت الكنيسة خلفها . ويمزق توب الباطل حتى انكشفت سوأة الكنيسة أمام رعاياها وتنزل القرآن الكريم وحيا يتلى على مسامع الكون يردده المسلمون فى كل مكان ويتقدمهم فى كل جهاد فحق الحق وأزهق الباطل ، قال تعالى : (٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، جـ١٥ ، صـ ٦٦

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٧٧ - ٨٠

وبين القرآن الكريم أن قهر الناس وابتزاز أموالهم وبيع المغفرة والجنة لهم أمر غير مقبول ولا معقول قال تعالى : (١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

ولم يستطع الطغيان الروحى للكنيسة من الصمود أمام الإسلام فلقد انهزمت أمامه فى ميادين الكفر وساحات الوغى وتقلص سلطانها الزائف أمامه وطويت أجنحتها على ممالك كثيرة كانت تدين بالنصرانية ومن ثم استيقظت أوروبا أمام تلك الهزائم فحطمت هذا الطغيان الروحى وذلك من خلال الثورات على الكنيسة كما سيأتى :

ثانياً : الطغيان العقلى والعلمى

أن التفكير والبحث العلمى يجدان فى الدين الحق ملاذا آمنا وملجأ حصينا فالدين لا يتصادم مع الحقائق العلمية والسنن الكونية فخالق الكون ومنزل الوحى إله واحد ومن ثم فإن هناك توافقا وتناسقا بين الدين والعلم والإسلام خير دليل على ذلك فلم يحدث عبر تاريخه المتألق العظيم أى صراع أو تنافر بينه وبين العلم الحق الذى يتجه إلى أعماق هذا الكون يكتشف سننه ، ويسير أغواره ولقد تحددت صلة الإسلام بالعلم منذ نزول أول آيات الوحى على رسول الله سيدنا محمد ﷺ فى قوله تعالى : (٢)

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٩١ .

(٢) سورة العلق : آيات ١ - ٤ .

وأقسم الله تعالى بأحد حروف الهجاء وهى النون وبالقلم وبما يسطر به ، قال تعالى : [١]

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ .

ويوجد فى القرآن الكريم ستمائة آية تتناول العلم وأدواته وحقائقه فليس ثمت خوف على الدين الحق من العلم ولا يضيق العلم ذرعا بحقائق الوحى الالهى ، ولا سيما إذا كان هذا العلم لا يرتدي رداء الإلحاد ولا يستغل لانحراف الإنسانية عن فطرتها وأبعادها عن خالقها ، ولهذا نرى جماً غفيراً من كبار مفكرى النصارى يعتنقون الإسلام .

أما الأديان المحرفة والعقائد الباطلة فترى فى العلم كشفا لحقيقتها وتعريتها أمام من ينخدعون بها فتعمل على مصادرة كل رأى والحجر على كل فكر .

" ولقد ارتكبت الكنيسة خطائين فادحين " .[٢]

الأول : تحريف حقائق الوحى الإلهى وخلطها بكلام البشر مما ترتب على ذلك تسرب الخرافات الوثنية والمعلومات البشرية إلى كثير من تعاليم المسيحية إذ جعلتها الكنيسة عقائد إلهية تدخل فى صلب الدين وصميمه وعدت الكفر بها كفرا بالوحى والدين .

والثانى : فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلا فى دائرة اختصاصها وقد نشأ عن ذلك ضيق صدر الكنيسة بما يخالف تعاليمها الممزوجة وإصرارها الأعمى على التشبث بها فكان الامتداد الطبيعى للطغيان الدينى طغيانا فكريا عاما وحاسبت الناس لا على معتقدات قلوبهم فحسب بل على نتائج قرائحهم وبنات أفكارهم .

---

(١) سورة القلم : آية ١ ، ٢

(٢) العلمانية ، د. سفر الحوالى ، ص ١٤٦ .

ففرضت الكنيسة على الآراء العلمية والأفكار العقلية طغيانا رهيبا فاحتكرت لنفسها حق تفسير الكتاب المقدس وابتدعت فى عقيدة النصرانية قضايا تتصادم مع العقل : كعقيدة التثليث والصلب والفداء ، والاستحالة من خلال العشاء الربانى ، والاعتراف ، وصكوك الغفران ، والتعميد ، وعبادة الصور والأيقونات ، كما وضع رهبانها آراءً عن الكون أوجبوا على العقول التسليم بها تسليما مطلقا وعقدت المجامع المقدسة لفرض الآراء التى لا تمت إلى دين الله الحق والعلم الصائب بصلة لصبغ تلك الآراء بصبغة القداسة .

وقد ساعد على ذلك الطغيان الفكرى الجهل المطبق الذى كانت أوروبا تسبح فى ظلماته فلم يكن ثمت جامعات ودور علم ومدارس إلا ما تسمح به الكنيسة وتبسط سلطانها عليها .

يقول برنتين : (١)

" إن أكثر أصحاب الوظائف العلمية حتى فى أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى أنواع المنظمات الدينية وكانوا جزءا من الكنيسة حيث إن الكنيسة بدرجة لا تكاد نفهمها اليوم تتدخل فى كل لون من ألوان النشاط البشرى وتوجهها وبخاصة النشاط العقلى .. ولقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم فى الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية فكانت الكنيسة منصة المحاضرة والصحافة والنشر والمكتبة والمدرسة والكلية " .

ولقد أنشأ البابا جريجورى التاسع عام ١٢٣٣ م محاكم التفتيش وقد مارست تلك المحاكم شتى أنواع الاضطهاد الفكرى ومن واجباتها مراقبة المطبوعات والمدارس وتقرير الكتب التى يسمح بتداولها وإحراق الكتب التى لا تتفق مع آراء الكنيسة .

(١) أفكار ورجال قصة الفكر الغربى ، تأليف جرين برنتن ، ترجمة محمود محمود ، صـ ٢٣١ .

" ولقد أوقفت الكنيسة على مخالفيها عقوبة الحرمان (القطع والشلح) بطريقة فردية شخصية أى ضد فرد معين مقصود بالذات وعندئذ يصبح هذا الشخص منبوذا مطرودا من المجتمع المسيحى فلا يسمح بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى زوجته وأولاده وهناك عقوبة الحرمان الجماعى التى توقع على المجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليما أو مملكة بأسرها وفى هذه الحالة تغلق الكنائس أبوابها فى ذلك المجتمع ويضرب رجالها عن تأدية أعمالهم فلا يجد الناس أحدا يقضى مصالحهم المرتبطة بالكنيسة كمراسيم التعميد والزواج والشعائر . (١)

ولقد اشتد الصراع الفكرى بين الكنيسة والعلماء فى القرنيين السادس والسابع عشر الميلادى حينما بدأ العلماء يدرسون ظواهر الكون ويتوصلون إلى القوانين العلمية وبعض مظاهر السنن الكونية مما يتصدم مع ما يعتقده رجال الدين ومن ثم بدأ الصراع بين العلم والنصرانية وتساقط علماء ومفكرون صرعى طغيان الكنيسة وفى ذلك يقول المؤرخ لورنتى الذى أتيح له البحث فى أرشيفات محاكم التفتيش .

" إن المحكمة وحدها قذفت إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس وأصلت أكثر من مائتين وتسعين الفا عقوبات أخرى تلى الأعدام فى عقوبتها " (٢)

وقد سودت صحائف تاريخ أوروبا بعلماء ومفكرين حوكموا وصودرت كتبهم وبعضهم أحرق ومنهم من نبش قبره بعد وفاته وإحراقه ومنهم : (٣)

---

(١) أوروبا العصور الوسطى ، عاشور ، جـ٢ ، صـ ٢١٧ .

(٢) قصة الاضطهاد الدينى فى الإسلام والمسيحية ، د. توفيق الطويل ، صـ ٧٩

(٣) بين العلم والدين ، اندرويكسون وايت ، ترجمة اسماعيل مظهر ، صـ ٧٩ ، ٨٠ .

١- جاليلو :

الذى حوكم عام ١٦١٥ م فى روما لأرائه حول دوران الأرض واكتشاف بعض الأفلاك السيارة وصدر الحكم بسجنه مما اضطره إلى التراجع عن آرائه وأجبر على أن يجثو على ركبتيه أمام البابا أربان الثامن ويقول :

أنا جاليليو فى السبعين من عمرى سجين جاث على ركبتى وبحضور فخامتك وأمامى الكتاب المقدس الذى ألمسه الآن بيدى أعلن أنى لا أشايع بل ألعن واحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور .

٢- اسحاق نيوتن :

مكتشف قانون الجاذبية ومن أشهر علماء الطبيعة بانجلترا عوقب من قبل الكنيسة على آرائه .

٣- كوبر نيكوس :

لم يفلت من قبضة الكنيسة الا يتدارك المرت له وقد ظلت اللعنة تطارده وهو فى قبره وصودرت كتبه وأحرقت وحرم على اتباع الكنيسة الإطلاع عليها .

٤- جيور دانوبرونو

ألقى فى سجون محاكم التفتيش لمدة ستة أعوام فى روما ولم تكتف الكنيسة بهذا العذاب بل قامت بعمل بربرى ، إذ أحرقته حيا وذرت بقاياه .

هذا قليل من كثير يسرد وقائع اضطهاد الفكر ومصادرة الرأى وعلى الجانب الآخر لأوروبا كان الإسلام فى الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط والقسطنطنية ، وأقطار آسيا وأفريقيا يتألق بشتى أنواع العلوم والمعارف ويرفع شأن العلم وقدر العلماء ويتلألأ التاريخ بعلماء مسلمين كان لهم الأثر فى نهضة أوروبا كما سيأتى إن شاء الله .

ثالثا : الطغيان السياسى

أن ما بين يدى المسيحية من نصوص تبعدها عن ساحة الحكم وأروقة السياسة فهى تردد دائما ما جاء فى الإنجيل :

" اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله "

غير أنها منذ اعتراف قسطنطين بها عام ٣١٣ م أخذت تفرض سطوتها وتزاحم الملوك والأباطرة فى سلطانهم بل أعطت لنفسها الحق فى تعيين الملوك وخلعهم . ولقد شهد تاريخ أوروبا صراعا بين سلطات البابوات والملوك وكان صراعا داميا مريرا ولقد سبق أن أوردنا النصوص التى توضح محاولات الكنيسة للهيمنة على تقاليد الأمور وتوجيه أعنة السياسة لبسط نفوذها وتحقيق أطماعها بل استطاعت من خلال الطغيان الروحى والسياسى أن تجر أوروبا فى حملات صليبية ضد المسلمين استمرت زهاء ثلاثة قرون وما زالت الكنيسة تسعر نيران الحروب وتأجج صدور حكام العالم ضد المسلمين .

وقد استمر الصراع السياسى فى أوروبا بين الكنيسة والملوك لم يحسم إلا بالثورة على الكنيسة وتقليم أظافرها وإبعادها عنوة عن ساحة السياسة وذلك فى أعقاب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

رابعاً : فساد رجال الدين

لقد تأثر رجال الدين فى بداية المسيحية بالنصوص التى تدعو إلى الزهد فى الدنيا والإعراض عن متاعها والتقشف فى المأكل والملبس والعكوف عن الزواج .

ولكن ما لبثوا منذ أن تفتحت لهم الدنيا وأغدقت عليهم الأموال وبسطوا سلطانهم على رعاياهم أن انحرفوا وانغمسوا فى الملذات والشهوات ، ولقد سودت صحائف الكنائس والأديرة بفضائح الجنس والرشاوى بل شمل الفساد بعض البابوات الذين كانوا يلقون فى

روع أنهم أنه خلفاء المسيح على الأرض .

ومن أراد أن يقف على فساد الكنيسة فليراجع كتاب قصة الحضارة لول بورانت

ولقد ساندت الكنيسة كل أنواع الظلم السياسى والاستبداد الاجتماعى وباركت شتى أنواع الاضطهاد الذى كان يمارسه رجال الإقطاع من الأمراء والنبلاء حتى كانت الثورة الفرنسية والتى كان شعارها " أقضوا على آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " .

مما سبق يتضح دور الكنيسة فى تأخر أوروبا وانحطاط شأنها واستمر هذا قرونا عدة حتى أشرقت شمس الإسلام على العالم وبدأت أوروبا تتصل بالإسلام بصورة مباشرة أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى وكان لهذا الاتصال الدور الكبير فى الثورة على الكنيسة وتقليم أظافرها التى مزقت بها صدر أوروبا وعقلها مما سنوضحه فى المبحث التالى إن شاء الله .

اتصال أوروبا بالإسلام:

إذا ما أردنا أن نتحدث عن اتصال أوروبا بالإسلام وتأثرها بحضارته فإنه ينبغي أن نذكر أولا بداية اتصال المسيحية بالإسلام ومعرفتها به والذي من خلاله كان موقف النصارى عموما وأوروبا خاصة من الإسلام موقفا عجيب ومتناقضا ، ففي الوقت الذي ناصبته العداء ونفثت غلها الأسود وحقدها الدفين وعدوانها المستمر منذ غزوة مؤته وإلى الآن وفي نفس الوقت أقتبست من حضارته واستيقظت على شمس علومه ومعارفه .

لقد عرفت المسيحية الإسلام ورسوله ﷺ من خلال بشارة عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى : [1]

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سورة الصف آية ٦

هذا بجانب العهد والميثاق الذي أخذه الله على جميع الأنبياء بالإيمان والتصديق والنصرة لرسول الله ﷺ ، قال تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران آية ٨١

ولم تقتصر تلك المعرفة على عيسى عليه السلام والأنبياء من قبله ولكن عرفها اتباع الديانتين اليهودية والنصرانية ولا سيما أحبارهم ورهبانهم قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

---

(١) البقرة آية ١٤٦

الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وهذا ما شهد به بحيرا الراهب وورقة بن نوفل وغيرهم

١- أما الاتصال على المستوى الرسمى والشعبى بالمفهوم المعاصر فقد بدأ منذ فجر الإسلام حينما ضيقت قريش الخناق على المسلمين فأشار عليهم ﷺ بالهجرة للحبشة قائلا لهم : [1] إن بأرض الحبشة ملكا لايظلم عنده أحد فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه " .

فكانت طلائع الهجرة الأولى للحبشة عشرة من صحابة رسول الله ﷺ ومع بعضهم زوجاتهم وكان على رأس المهاجرين عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية ابنة رسول الله ﷺ

ثم تتابع المسلمون فى هجرة ثانية وعلى رأسهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ . وحاولت قريش إرسال سفرائها للنجاشى لإيغار صدره على المسلمين وطردهم من بلادهم ، وحدث لقاء بينه وبين جعفر بن أبى طالب شرح له حقيقة الإسلام ومعتقداته فى عيسى عليه السلام وقرأ عليه وعلى أساقفته سورة مريم . فبكى ثم قال لهم : [2]

" إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما " .

فكان هذا أول اتصال مباشر بين النصرانية والإسلام ومكث المسلمون فى أرض الحبشة حتى العام السابع من الهجرة ومما لا ريب فيه إن بقاءهم قرابة الخمسة عشر عاما قد ترك اثارا بين نصارى الحبشة ؟

وكان من أهمها إسلام النجاشى . ولقد أرسل إلى مكة وفدا من القسيسين يقدر عددهم بسبعين رجلا وفى رواية بعشرين .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير . جـ٣ . صـ ٧٩ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ صـ ٣٥٦

" فعن سعيد بن جبير عن سبب نزول قوله تعالى

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ الآية [٢]

قال سعيد نزلت فى سبعين من القسيسين بعثهم النجاشى فلما قدموا على النبى ﷺ قرأ عليهم سورة " يس " حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا فنزلت فيهم ...

ولقد ساق محمد بن اسحاق مثل هذا فى سيرته وعرض لموقف قريش حينما أعلن القساوسة إسلامهم . [٣]

وفى المدينة تم اتصال بين المسيحية والإسلام وذلك حينما قدم وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ فأكرم وفادتهم وقام على خدمتهم ودارت محاجة بينهم وبين رسول الله ﷺ غير أنهم لم يذعنوا ويرضخوا للإسلام فنزلت آية المباهلة . قال تعالى : [٤]

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

ودعاهم ﷺ للمباهلة وتشاوروا فيما بينهم فقالوا للعاقب وكان ذا رأى فيهم [٥]

" يا عبدالمسيح ما ترى ؟ فقال والله قد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبى مرسل وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم

---

(١) سورة القصص آيات ٥٢ - ٥٥

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٨٨

(٣) راجع السيرة النبوية لابن إسحاق ، ابن هشام ... ص ٣٩

(٤) آل عمران آية ٦١

(٥) البهل اللعن يقال بهله الله أى لعنه

ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا الف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفها وهو يقول : " إذا أنا دعوت فآمنوا " [١]

فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلاتباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة .

فقالوا : يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونبقى على ديننا .

وهكذا عاد وفد نصارى نجران يعلنون اعترافا مباشرا بالإسلام وأعطاهم ﷺ عهدا وأمانا .[٢] ولقد تأكد هذا العهد في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من خلال رسائل أرسلوها لأهل نجران ومن المعاهدات التي توضح علاقة المسلمين بالنصارى تلك المعاهدة التي أمضاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أسقف بيت المقدس حينما فتحها المسلمون عام ١٥ هـ وقدم رضي الله عنه لتسلم مفتاح المدينة المقدسة .

بدأت دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة تنطلق إلى خارج حدود الجزيرة العربية وذلك من خلال الرسائل التي بعث بها ﷺ في العام السادس إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام ومن ملوك النصارى الذين أرسل إليهم :

هرقل امبراطور الروم والمقوقس عامل هرقل على مصر والنجاشي ملك الحبشة .[٣]

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٦٨

(٢) راجع الخراج لأبي يوسف ص٧٢ الطبعة السلفية

(٣) هذا النجاشي غير النجاشي الذي أسلم في صدر الإسلام

وقد لوحظ على هؤلاء أنهم ردوا على رسول الله ﷺ ردا مهذبا كريما وحمل السفراء هدايا بعضهم إلى رسول الله ﷺ كالمقوقس بخلاف ما حدث من كسرى حينما ثارت ثائرته ومزق الكتاب وهدد وتوعد وأرسل إلى عامله فى اليمن ليأتى له برسول الله عليه الصلاة والسلام .

ولعل رد ملوك النصارى الذى يحمل بين ثناياه اعترافا غير مباشر بالإسلام لما وجدوه من صفاته ﷺ وبما تحمله كتبهم عن قرب بعثته ولهذا قال هرقل لأبى سفيان حينما كان بالشام أثناء قدوم رسول الله ﷺ وسأله هرقل عن صفاته وأحواله فلما أخبر عنها قال هرقل : (١)

" فلئن كنت صدقتنى عنه ليغلبنى على ما تحت قدمى هاتين ولوددت إنى عنده فأغسل قدميه "

أما المقوقس فقال لحاطب بن أبى بلتعة رسول النبى ﷺ . (٢)

" قد كنت أعلم أن نبينا قد بقى وكنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله - فأراه قد خرج فى الصرب فى أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ولا أحب أن يعلم بمحاورتى إياك " .

وهكذا كانت بداية الاتصال بين الإسلام وملوك النصارى وما حملتهم ردودهم ينبئ عن مستقبل مشرق للإنسانية تحت راية الإسلام ينطوى تحت لوائه النصارى غير أن الحقد الأسود والغل الدفين واتباع الهوى أجج صدورهم وأشعل نار العداوة فى قلوبهم فجمعوا جموعهم وشرعوا أسلحتهم وبدأوا فى الاغارة على أطراف الجزيرة العربية وكان أول صدام

---

(١) راجع تاريخ الطبرى ، جـ٣ ، صـ ٨٥ .

(٢) فتوح مصر لابن الحكم ، جـ٢ ، صـ ٤٢

عسكرى بين الإسلام والمسيحية فى غزوة مؤتة عام ثمان من الهجرة بقيادة زيد بن حارثة حينما التقى بجموع الروم ودارت معركة غير متكافئة لقلة المسلمين وكثرة الروم واستشهد زيد وتول القيادة عبدالله بن رواحه فاستشهد ثم تولاها جعفر بن أبى طالب فنال الشهادة ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ؟ ، الذى استطاع بعد بلاء عظيم فى سبيل الله أن يرجع بالمسلمين إلى المدينة ولقد عاود الرومان التحرش بالمسلمين فخرج رسول الله ﷺ فى العام التاسع من الهجرة إلى تبوك ، فلم يلق جموع الرومان وعقد صلحا مع القبائل العربية المتاخمة لأطراف الشام وقد جهز ﷺ حملة لغزو الشام عقد لواءها لأسامة بن زيد رضى الله عنهما غير أن وفاته ﷺ أوقفت حملة أسامة وبعد الفراغ من دفنه ﷺ وتولى أبو بكر الخلافة أنفذ أمر رسول الله ﷺ ولقد حقق أسامة نصرا دوى صداه فى أنحاء الجزيرة العربية مما ساعد على إخماد حرب الردة وألقى الرعب والخوف فى قلوب الرومان مما مهد للانتصار على الدولة الرمانية . ومنذ ذلك التاريخ والحرب سجال بين امبراطورية الروم النصرانية وبين المسلمين وقد استطاع المسلمون أن يلحقوا الهزائم المتتابعة بالرومان إبان ولاية أبى بكر وعمر وتم انتزاع الشام ومصر ثم تتابعت الفتوحات الإسلامية خلال خلافة عثمان رضى الله عنه وحينما آل الأمر لمعاوية بن أبى سفيان جهز فى العام الثامن والأربعين من الهجرة جيشا لفتح القسطنطنية برا وبحرا وهكذا تم تهديد عاصمة الامبراطورية الرومانية وهكذا بدأ الإسلام يطرق أبواب أوروبا ويعبر إليها من عدة معابر .. وهى كما يلى :

ا - المعابر الجنوبية

عبر الإسلام إلى جنوب القارة الأوروبية من عدة مسالك :

أ- شبه جزيرة أيبريا (الأندلس) أسبانيا الآن

وذلك حينما عبر المسلمون مضيق جبل طارق عام ٩٣ هـ - ٧١١ م بقيادة طارق

بن زياد وساعده فى استكمال الفتح موسى بن نصير وقد استقر لمسلمون بالأندلس ما يربو عن غانية قرون حتى عام ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م [١] حينما أخرج المسلمون منها وصدر مرسوم الملك فروناند والملكة ايزابلا باعلان المسيحية الكاثوليكية الدين الوحيد فى تلك البلاد ولقد بلغت الأندلس تحت ظلال الإسلام أوج عظمتها وقمة حضارتها وتلألأت مدنها - أشبلية - غرناطة - قرطبة التى أطلق عليها " جوهرة الدنيا " . وغدت بلاد الأندلس منارة للعلوم والمعارف وسطع فى سمائها رجال العلم والأدب وازدانت مدنها بكل جوانب الرقى والحضارة فأخذت أوروبا تتجه إليها وترسل البعثات لتنهل من علوم المسلمين ومعارفهم ومن هذه البعثات : [٢]

١- بعثة فرنسية برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خالة لويس التاسع ملك فرنسا .

٢- بعثة انجليزية وعلى رأسها الأميرة (دوبان) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز .

٣- بعثات من مقاطعات سافوا والبافر وساكسونيا والرين بلغ عدد أفرادها عام ٢١٣ هـ - ١٢٩٣ م سبعمائة طالب وطالبة .

وبذلك أصبحت الأندلس قبلة أوروبا حتى أن " جربرت " الذى أصبح بابا روما عام ٩٩٩ م باسم (سلفستر الثانى) تلقى علومه فى بلاد الأندلس .

وأبلغ دليل على أثر الأندلس فى أوروبا تلك الرسالة من ملك انجلترا إلى الخليفة هشام الثالث جاء فيها : [٣]

---

(١) الأقليات المسلحة فى أوروبا - سيد عبدالمجيد بكر ، صـ ١٣

(٢) العرب فى أوروبا ، د. على الخربوطلى ، صـ ١١٦

(٣) العرب فى أوروبا ، د. الخربوطلى ، صـ ١١٨ .

" من جورج الثانى ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام : بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة . فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداءة حسنة فى اقتضاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات أشراف الانجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع : " جورج "

مما سبق يتضح دور الإسلام فى أوروبا عبر بلاد الأندلس .

ب- جزر البحر الأبيض المتوسط

ومن المعابر التى عبر منها الإسلام لجنوب أوروبا الجزر الواقعة فى البحر الأبيض المتوسط ، حيث عبر المسلمون من تونس إلى صقليه وسرد بنيا ففى عام ٢١٢ هـ - ٨٢٧م قاد أسد بن الذات جيش بنى الأغلب إلى صقلية وفتحها عام ٢١٣ هـ - ٨٣٢ واستمر الإسلام بها ٢٦٧ عاما .

ثم فتح المسلمون جنوب ايطاليا ولقد دخلت بعض طلائع المسلمين إلى روما مرتين الأولى عام ٢٣١هـ - ٨٤٦ م وضربوا حصارها فارتاع البابا سرجيوس واهتز الشعب الرومانى هلعاً وبادرلويس الثانى ملك الفرنجة بإرسال حملة للدفاع من روما .

والغزوة الثانية : فقد كانت عام ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م وأرسل الباها حنا الثامن يستنجد بملوك أوروبا واخطر لدفع جزية للمسلمين .

ولقد فتح المسلمون جزيرة مالطة عام ٢٥٦ هـ واستقر الإسلام بها حوالى ٢٢٨ عاما ووصل الإسلام إلى جزيرة سردينيا عام ١٩٤ هـ - ٨٠٩ م ومكث بها حوالى قرنين وعبر هذا الطريق حاول المسلمون دخول جنوب فرنسا .

ومن مسالك الإسلام نحو جنوب أوروبا عبر الحوض الشرقى للبحر المتوسط حيث وصل المسلمون إلى جزيرة قبرص فى خلافة عثمان بن عفان ثم جزيرة كريت ولم يأت القرن الثالث الهجرى - العاشر الميلادى إلا والسيادة الإسلامية كاملة على حوض البحر الأبيض المتوسط ويتحكم فى مضايقه وممراته حيث حبست المسيحية فى أوروبا .

ثانيا : المعابر الشرقية

اتجهت الفتوحات الإسلامية منذ خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه صوب بلاد فارس وبعد معارك - القادسية - الجسر - البويب - القادسية - نهاوند - سقطت الدولة الفارسية وتعقب المسلمون فلول المجوس حتى بلاد ماء وراء النهر (بلاد ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى) الجمهوريات الإسلامية الآن ولقد عبر الإسلام إلى أوروبا من خلال تلك المعابر على النحو التالى :

أ- المعبر الشمالى الشرقى لأوروبا :[1]

" وهو ينحصر بين جبال الأورال وبحر قزوين فى منطقة سهلة تمثل بوابة طبيعية لقارة أوروبا ولقد سلكه الإسلام عن طريق التجارة فأسلم البلغار فى حوض الفولجا فى نهاية القرن التاسع الميلادى وأوائل القرن العاشر واستمر توغل المسلمين حلال دونه المغول

---

(١) الأقليات المسلمة فى أوروبا . سيد بكر . صـ ١٤ . ١٥

الإسلامية فوصلوا إلى بولندا ، ولتوانيا وظلت للمسلمين الكلمة العليا والسيادة المطلقة حتى عصر القيصرية الروسية التى التهمت الأقطار الإسلامية ثم أجهزت عليها الشيوعية عقب الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ م ثم شاءت إرادة الله أن تسقط الشيوعية عن تلك الأقطار عام ١٩٩٠ وتنفصل عن الاتحاد السوفيتى .

ب- المعبر الشرقى :[١]

سلكه الإسلام من شرق القارة الأوربية إلى غربى البحر الأسود وشبه جزيرة البلقان ووسط أوروبا وكان دعامة هذا الفتح الدولة العثمانية التى استطاعت حمل راية الإسلام ووصلت بها إلى قلب أوروبا ، فلقد فتحوا بلاد البلقان عام ٧٩٧ هـ - ١٣٩٤ م وكان لسقوطها صدى هائل فى أوروبا وأحدث جرحا عميقا فى وجدانها وما زالت أوروبا تثأر من ذلك اليوم بإقامة المجازر لمسلمى البلقان فى البوسنة والهرسك . وما لقيه المسلمون من الشيوعيين قبل ذلك فى البانيا ، والمجر وتشكوسفكيا وغيرها .

ولقد فتح العثمانيون المجر ٩٣٣ هـ - ١٥٢٦ وتقدموا فى وسط أوروبا حتى كادت تصل جيوش المسلمين إلى فينا عاصمة النمسا .

٣- الحروب الصليبية :

حينما وجدت الكنيسة أن سلطاتها تقلص فى قارة آسيا وأفريقيا وأن الإسلام بدأ يطرقها فى ديارها وأن أشعة علومه وأنوار معارفه بدأت توقظ أوروبا من سباتها العميق وتزلزل الأرض من تحت أقدام رجال الدين النصرانى ، فأشعلوا نيران حروب مستعرة تحت شعار الصليب شارك فيها ملوك أوروبا ونبلاؤها يقودون المئات من الآلاف من الرعاع وعبيد

(١) المرجع السابق .

الأرض الذين منحوا صكوك الغفران لاشتراكهم ووعدوا بالجنة لمقاتلة المسلمين ولقد استمرت هذه الحرب قرابة ثلاثة قرون من عام ٤٩٠ هـ - ١٠٩٦م حتى عام ٦٩٢هـ - ١٢٩٩م وخلال هذه المدة وقف الصليبيون على أحوال المسلمين كما اتصل قادة تلك الحروب بحكام المسلمين وقادتهم وشاهدوا بأم رؤوسهم ما عليه المسلمون من تدين وأخلاق وعلوم . مما كان له أكبر الأثر فى نهضة أوروبا .

من خلال تلك المعابر التى أشرنا إليها أشرقت شمس الإسلام على القارة الأوروبية فانتقلت العلوم والمعارف وترجمت مؤلفات تالمسلمين واعتبرت مراجع معتمدة فى جامعاتها لعدة قرون وكان من أكبر الآثار التى ترتبت على اتصال أوروبا بالإسلام أن بدأ سلطان الكنيسة يهتز وفقد رجال الدين مكانتهم الرفيعة أمام الدعوات المناوئة لها والمطالبة باصلاحها حيث ظهرت بعض أصوات المصلحين مع بداية القرن الخامس عشر غير أن الكنيسة لم تصغ السمع لتلك الأصوات . حيث اتجه دعاة الإصلاح إلى الثورة وكان من أبرز أصحاب هذه الاتجاه مارتن لوتر المولود عام ١٤٨٣ م .

فلقد أخذ يهاجم صكوك الغفران ، والاعتراف ، والتعميد ، ونظام الرهبنة فأعلنت الكنيسة محاكمته عام ١٥٢٠ م وأصدرت قرارا بحرمانه من الحقوق المدنية فأحرق لوثر قرار الحرمان على ملأ من الناس فى المانيا وتجاوبت أوروبا بالكامل لحركة مارتن لوثر التى كانت تدعو إلى :

١- الخضوع التام لأحكام الكتاب المقدس فقط .
٢- انكار الرهبنة وكان يرى وجوب السماح للقاسوسة بالزواج .
٣- عدم اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها ..
٤- مهاجمة صكوك الغفران .
٥- ليس للبابا حق احتكار وفهم الكتاب المقدس .

واستمرت تلك الدعوات الإصلاحية تتسم بالسلم أحيانا وبالعنف أحيانا أخرى حتى نشبت الثورة الفرنسية التى انفجر بركانها عام ١٧٨٩ م تزلزل سلطان الكنيسة وتحطم طغيانها وتجتث نظام الإقطاع وكان شعارها : " اقضوا على آخر ملك بإمعاء آخر قسيس "

وبعد انتصار الثورة وتحطيم حصن الباستيل اجتمعت الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٧٩٠ م وقررت :

١- إلغاء العشور التى كانت تفرضها الكنيسة .

٢- مصادرة أملاك الكنيسة وأموالها .

٣- إخضاع رجال الكنيسة للقانون المدنى .

٤- تعيين رجال الدين من قبل الثوار .

٥- اغلاق بعض المدارس والمعاهد الخاضعة للكنيسة .

كما أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية بعض القرارات فيما يتعلق بحقوق الإنسان .

وفى أتون هذه الثورة الهائجة قام بعض العلماء بالمشاركة فى الإجهاز على النظام الكنسى من خلال المذاهب الفكرية التى روج لها اليهود ليسيطروا بها على الأمم والشعوب .

مما سبق يتضح دور الإسلام فى نهضة أوروبا المعاصرة ولكن يبرز سؤال لماذا اقتبست أوروبا من علوم الإسلام ومعارفة ولم ترض به دينا بل ناصبته العداء وما زال الغل الأسود والحقد الدفين ينفذان سمومها تآمرا وحربا واستئصالا .

والإجابة عن هذا التساؤل نوجزه فى الأمور التالية :

١- إن الإسلام بعقيدته ونظمه وتشريعاته يقف ضد جبروت الحكام وطغيانهم ولا سيما حكام أوروبا الذين كانوا يحكمون بواسطة الحق الإلهى المقدس الذى منحته لهم الكنيسة كما أن الإسلام يحول دون استعباد الأمم واستعمار الشعوب ونهب خيراتها

واستنزاف مواردها وهذا ما جبلت عليه الامبراطورية الرومانية القديمة وورثته أوروبا المعاصرة وما زالت تنطق به ألسنة رؤسائها بين الحين والحين حينما يتخوفون من الإسلام ويحذرون من صحوة المسلمين وما تشهد الساحة الإسلامية من حرب طروس تقودها أمريكا وحلفاؤها وبناصرهم بعض حكام المسلمين الذين تربوا على موائدهم وارتبطت بهم مصالحهم ما ينبئ عن سبب ابتعاد أوروبا عن الإسلام كدين وعقيدة ، وإن لم تبتعد عنه علوما ومعارف .

٢- ذلك الغل الدفين والحقد القديم منذ تلقت المسيحية المنحرفة الضربات الموجعة القاتلة التى صوبها المسلمون إلى الامبراطورية الرومانية فقوضوا دعائمها وانتزعوا منها درة أملاكها فى آسيا وأفريقيا بل عبر الإسلام إلى عاصمتها القسطنطينية (استانبول) حيث ما زال الأذان يدوى من فوق مآذنها وترتعد له أوربا كلما سمعته وتعمل الآن على الإجهاز عليه ولكن لن يتأتى لها هذا ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .(١)

٣- الصورة السيئة التى رسمتها الكنيسة للإسلام من خلال الحملات الظالمة والدعاوى الباطلة التى روجها رجال الدين النصرانى لشعوبهم لتبرير الحروب الصليبية ولقد اشتد سعير هذه الحملات فى هذا العصر بسبب تقدم وسائل الإعلام بل اتخذت طابع التشويه والتحريف والتخويف من كل ما هو إسلامى مما ترك فى النفوس صدودا وإعراضا عن الإسلام .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٢ .

٤- توقف دولة الدعوة الإسلامية :

إن دولة الدعوة فى الإسلام دولة تحكمها قواعد شرع الله وهى دولة بحكم ارتباطها بوحى السماء لها سمات معينة فهى تطبق الإسلام فى أقطارها وتدعو له وتنشره بين العالمين كما أمر الله ورسوله وتحدد علاقاتها بأمم الدنيا من خلال موقفها من الإسلام ثم هى تبسط جناحيها على المسلمين فى العالم تحميهم من كل عدوان هذه الدولة بذلك المفهوم توقفت منذ الخلافة الراشدة والدولة الأموية والدليل على ذلك توقف معظم الفتوحات الإسلامية باستثناء الدولة العثمانية وأن الأقطار الإسلامية لم تتسع منذ ذلك التاريخ بل إنه فى ظل ما بعد ذلك التاريخ تقلص سلطان المسلمين فى الأندلس ، وجمهوريات الاتحاد السوفيتى والهند وفلسطين وأجزاء كبيرة من العالم .

والدليل الماثل أمام أعيننا أن دول العالم الإسلامى تتجاوز الخمسين دولة لكل دولة علمها وتشيدها وجيشها وتقف هذه الدول جميعا عاجزة عن صد ما يلاقاه المسلمون من مذابح وانتهاك أعراض وطرد من الديار ومن المخزى والمؤسف أن ساستهم يؤثرون الصمت الرهيب أو الاحتجاج الخافت والشجب الضعيف أو المساعدة بيد مرتعشة يملأون بها الدنيا ضجيجا .

أين هذا من دولة الدعوة الإسلامية التى كانت تبسط سلطانها على جزء كبير من العالم تسيطر على سواحله وتتحكم فى ممراته ومضايقه .

٥- فى الوقت التى استيقظت فيه أوروبا وانطلقت بخطى وثابة صوب آفاق العلم والمعرفة لتدرك ما فاتها ركن المسلمون إلى السبات العميق وفقدوا روح الجهاد والاجتهاد وتشبث بين علمائهم معارك كلامية جدلية واختلفوا فى الفروع وتفرقت كلمة المسلمين وتمزقت شعوبهم وتخاصم حكامهم وقبع كل منهم داخل وطنه يرمق الآخرين من طرف خفى يعاملون بعضهم فى حذر وخيفة أو أن يتصادقوا فى ريب وشك أو

تنطلق أيدى بعضهم فى الظلام بالتآمر والغدر .

وما أحداث العراق وإيران تم أحداث العراق والكويت وما حرب الفصائل فى الصومال عنا ببعيد ، ولم يستفيق المسلمون إلا على وقع أقدام أوروبا وهى تطأ ديارهم وتحتل أوطانهم وتستنزف ثرواتهم فهبوا من نومهم مذعورين ومبهورين مفتونين بحضارتها فأسلموا لها القيادة والريادة وانتقل الغرب الكافرين من موقع الدفاع إلى الهجوم متخذا صورا شتى وأسلحة متنوعة ومن تلك الأسلحة الغزو الفكرى بالمذاهب المعاصرة والتى عبرت البنا من أوروبا خلال المعابر التالية :

معابر أوروبا بهذا هبها إلى العالم الإسلامى

منذ عصر النهضة فى أوروبا الذى أخذت ملامحه تتضح منذ القرن الخامس عشر الميلادى حيث أفرزت ساحة الفكرى الغربى مذاهب فكرية كثيرة يصعب حصرها غير أن النهج الرئيسى لتلك المذاهب اتجه لمحاربة الكنيسة وزلزلة معتقداتها فى الله والإنسان والكون وأقامت فكرا خصيما للدين يروج للإلحاد تحت شعار حرية البحث العلمى ويدعو إلى التحلل من روابط الأسرة ومعتصم الأخلاق تحت مسمى " الحرية الفردية "

وقد عملت تلك المذاهب على صياغة الإنسان الأوروبى صياغة اتجهت به نحو تقديس الطبيعة والإيمان بالمادة والاقتصار على عالم الحس والمشاهدة حتى غدت معبوده التى يتجه إليها أما عن الإيمان بالله وما يترتب على ذلك فقد وهن وضعف على يد الكنيسة عبر تاريخها ثم جاءت المذاهب الفكرية فحاربت معتقدات المسيحية وأجهزت على ما بقى من آثار الدين فى قلوب الأوروبين ولم يعد له وجود مؤثر فى حياتهم ولقد تطاير شرر تلك المذاهب وسرى لهيبها ليمسك بتلابيب العالم الإسلامى حيث عبر إليه من خلال المعابر التالية :

١- البعثات إلى أوروبا لتلقى العلم في معاهدها

فلقد أرسل محمد على باشا فى مطلع القرن التاسع عشر بعض النابهين إلى فرنسا ومنذ ذلك التاريخ والعالم الإسلامى يتجه صوب أوروبا فى بعثات علمية : عسكرية واقتصادية ،وثقافية ، وفنية وكان بعض طلاب هذه البعثات هم رواد الفكر الغربى بنظمه ومذاهبه إلى العالم الإسلامى .

٢- إيفاد البعثات من أوروبا إلى العالم الإسلامى

بقصد التعاون العلمى والثقافى واستخدام الأوربيين تحت مسميات كثيرة : خبراء

ومستشارين ، وفنيين ، مما مكن لهم التسلل إلى مواقع حساسة وهامة فى الدول الإسلامية وقد بدا هذا أيضا فى مطلع القرن التاسع عشر حينما استقدم محمد على بعثة من الخبراء والأطباء والمهندسين كانت تعرف : " بعثة سان سيمون " (١)

" وكان اتجاه هذه البعثة اتجاها علمانيا خالصا يعتمد على أن تنظيم المجتمع الحديث ينبغى أن يكون على أساس علمى يحل فيه العقل العالم أو رهبانية العلم محل الدين والعقيدة " .

ولقد كانت تنظم محاضرات للطلاب المصريين على أيدى الأجانب " ففى نظارة على باشا مبارك للمعارف المصرية عام ١٨٧١ م نظمت محاضرات عامة بسراى درب الجماميز لطلاب المدارس العليا وبعض طلاب الأزهر وكانت هذه المحاضرات تمهيدا لتقبل المصريين لروح الحضارة الحديثة " . (٢)

٣- إنشاء المدارس والجامعات الأوروبية فى ديار المسلمين :

لقد عملت أوروبا على ذرع أفكارها ومذاهبها فى عقول أبناء المسلمين لتمهد بذلك للاحتلال العسكرى والاحتكار الاقتصادى ونهب ثروات المسلمين لذلك عمدت إلى إنشاء المدارس والجامعات ورياض الأطفال وتضع لها المقررات الدراسية مما يحقق أغراضها ولقد بدأ ذلك الاتجاه عام ١٨٣٢ فى سوريا ولبنان ومصر والهند فحينما سقط العالم الإسلام فى منتصف القرن التاسع عشر والعشرين للاحتلال العسكرى تدخلت أوروبا لتوجيه دفة التعليم بما يحقق أغراضها ومن هذه المؤسسات التعليمية : الجامعة الاميريكية فى بيروت عام ١٨٦٥ ، والكلية الانجليزية الشرقية المحمدية بالهند مؤسسها أحمد خان بمساعدة الأنجليز وكان مقرها مدينة

(١) أوروبا فى مواجهة الإسلام د. المطعنى ، صـ ٢٦٨ .
(٢) المرجع السابق ، ٢٦٩ .

عليكرة ، كلية غوردن الانجليزية بالخرطوم عام ١٩٠٣ والجامعة الاميريكية بالقاهرة ١٩١٩ ومدرسة فكتوريا بالاسكندرية والتى أنشأها لورد كرومر وللفاتيكان عشرات المدارس الدينية فى مصر لها أسماء مختلفة بأسماء القديسين ، والتوجيه فيها يخضع لمجلس يرأسه القاصد الرسولى فى مصر وهو ممثل دولة الفاتيكان " . (١)

ومازال التعليم فى مصر عليه بصمات القسيس دنلوب الذى عينه كرومر مستشارا للمعارف المصرية وكانت مهمته تنحصر فى تغريب التعليم ومحاربة الأزهر .

ولقد أنشأت الجامعة المصرية الأهلية (جامعة القاهرة) عام ١٩٠٨ لتكون نواة للتعليم العلمانى فى مصر وقامت على كاهل علماء ومستشرقين من أوربا .

فلقد نشرت جريدة المصور فى ٣٠ مارس ١٩٢٥ تحت عنوان " نواة الجامعة المصرية " على غلاف مجلة المصور نشرت هذه الصورة وتحتها التعليق التالى :

" لقد تحقق أخيرا رجاء الأمة بإنشاء الجامعة الأميرية وأسندت رئاستها إلى رجل العلم والفضل الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير دار الكتب ، ولما كان الجمهور يتوق إلى رؤية الأساتذة الذين ستتكون منهم نواة تلك الجامعة العتيدة فقد زينا العدد بهيئتهم الكاملة وهم : الجلوس من اليمين مستر برس واتب ، مسيو لويس كليمان ، أحمد لطفى السيد بك ، الدكتور منصور فهمى ، مسيو و. جولنشيف ، والوقوف من اليمين الدكتور على العنانى ، الدكتور طه حسين والأب سان بول جيرار ، الدكتور أحمد ضيف "

من خلال هذه الأسماء تتضح الاتجاهات العلمية للجامعات المصرية منذ شأتها ومن هم واضعوا مناهجها ورواد العلم فيها

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث د محمد البهى ، ص١٠٩

٤- التسلل عبر القوانين والتشريعات الأوروبية

لقد تسللت المذاهب الفكرية م خلال الكم الهائل من القوانين والتشريعات التي وفدت إلى العالم الإسلامي . عقب سقوط أقطاره فى براثن الاحتلال العسكرى . فلقد صدر قانون العقوبات الفرنسى عام ١٨١٠م وقد أحدث صدوره دويا هائلا فى أوروبا ولقد حذت تركيا حذو أوروبا فاقتبست من القانون الفرنسى قانون الجزاء العثمانى عام ١٨٥٨م .

ولقد أخذت مصر بالقانون الفرنسى فى عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ فقد أنشأ مدرسة للحقوق على النمط الفرنسى والتى كانت نواة لكليات الحقوق التى خرجت أجيالا مبتوتة الصلة بشريعة الإسلام لصيقة الصلة بقوانين أوربا .

ولقد استتبع تطبيق القوانين الأوربية إنشاء :

المحاكم القنصلية ، والمحاكم المختلطة ، والمحاكم الأهلية . وتم تنحية الشريعة الإسلامية فى مجالات الحقوق المدنية والجنائية واقتصر تطبيقها على ما أطلق عليه قانون الأحوال الشخصية وما كاد القانون الوضعى يحل فى البلاد الإسلامية محل الشريعة حيث عطلت الحدود والتعزيرات مما أتاح الفرصة لشذاذ الآفاق من كل حدب وصوب ينهمرون كالجراد وينتشرون كالوباء بالفلسفات الغربية والمذاهب المنحرفة التى تروج إلى تغيير نمط السلوك الإسلامى عقائديا وخلقيا ليتسنى تطويقه وخنقه والإجهاز عليه .

٥- مجالات الثقافة والفنون والسياحة :

ان الشخصية الإسلامية شخصية مستقلة ترفض التقليد وتأبى التبعية وتتقدم الحياة بفكر واضح ومنهج مستقل . ولقد كان استقلال شخصية المسلم هو ملاذه الآمن وحصنه المنيع من خلال عقيدة الإسلام التى تجعله كريما لايضام عزيزا لايذل

قويا لايقهر . إذ أن محور حياته الاجتماعية وأنشطته الثقافية وإبداعاته الفنية تربطه بالإسلام يتضح هذا من خلال تاريخ الإسلام فى مضمار العلوم والآداب وما تنطق به آثاره فى العمارة والزخرفة .

ولقد نجحت أوربا فى تطويق العالم الإسلامى بثقافتها وفنونها والتى تنأى عن الإيمان الحق وتبتعد عن الفضيلة . وتحرك فى القلب كوامن الجنس وتستغل المرأة استغلالا يبعدها عن فطرتها ورسالتها . حيث الفن الساقط . والقصص الهابط . والأدب الرخيص وثقافة التفحش والعهر تحت مظلة التبادل الثقافى والفنى والمهرجانات والمؤتمرات . والندوات يساعد على ذلك التقدم المذهل فى أجهزة الإعلام والمواصلات .

٦- البث الإعلامى المباشر :

لقد كانت المذاهب الفكرية خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تسلل تحت أجنحة الغزو العسكرى وكانت الجيوش المحتلة تكلف دولها مبالغ طائلة فضلا عن آلاف القتلى من جنودها حينما تثور الشعوب لنيل حريتها واستقلالها .

أما فى أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين فإن تلك المذاهب أصبحت تعبر الحدود بلا حواجز وتجتاز الفيافى والقفار وتخترق الأجواء وتقتحم كل بيت وذلك من خلال البث المباشر عبر الأقمار الصناعية لتصل إلى أى مكان فى العالم وسوف تستطيع أوربا وأمريكا خلال عدة سنوات استخدام أقمارها الصناعية لتغطى الكرة الأرضية . ولقد بدأ هذا الخطر الآن من خلال الإريال (الدش) ومن خلال الاتفاقات الفنية بين الدول الأوربية والأقطار الإسلامية . وأصبح المسلم يجلس أمام التلفاز ويدير مؤشره على أكثر من ثلاثين قناة تبث له الحياة الغربية بكل مظاهرها والفكر الأوربى بكل مساوئه

ولنا أن نتصور الآثار والنتائج التى سيتمخض عنها هذا الغزو الفكرى الجديد :

أولا : الأثر العقدى (١).

١- خلخلة عقائد المسلمين والتشكيك فيها .

٢- إضعاف عقيدة الولاء والبراء والحب والبغض فى الله .

٣- تقليد النصارى فى عقيدتهم وعاداتهم .

٤- إظهار بلاد الكفر بأنها بلاد الحرية .

٥- نشر الكفر والإلحاد .

ويستعد الفاتيكان لبناء محطة تليفزيونية كبيرة للبث فى كافة أنحاء العالم للتبشير بتعاليم الإنجيل بواسطة ثلاثة أقمار صناعية تسمى بمشروع نومين ٢٠٠٠ مع العلم بأن القمر الواحد يغطى ثلث مساحة الكرة الأرضية .

وتعقد الآن المؤتمرات التنصرية لدراسة كيفية الإفادة من البث المباشر فى التنصير .

وبجانب هذا توجد آثار ثقافية وتعليمية وسياسية

أما عن الآثار الخلقية فهى :

١- شيوع الرذيلة وارتكابها .

٢- تفجير الغرائز والبحث عن سبل غير مشروعة لتصريفها .

٣- تعود الناس على وسائل محرمة . كالخلوة ، والاختلاط ، والمغازلة .

٤- الدعاية لأمور محرمة . كالخمر والقمار ، والزنا ، والمخدرات .

٥- بث الأفلام الدعائية التى ترغب أوربا ونظمها وأفكارها وعاداتها وتقاليدها التى تخالف الإسلام والفطرة .

هذه هى المعابر قديما وحديثا التى عبرت منها وستعبر المذاهب الفكرية إلى العالم

---

(١) البث المباشر ، حقائق وأرقام ، د. ناصر العمر ، ص٥٤ .

الإسلامى .

وقبل هذا ذكرنا كيف عبر الإسلام إلى أوربا وأثار هذا العبور فى يقظة أوربا ونهضتها وتقدم شعوبها وآثاره عليها .

وللقارئ أن يقارن بين عبور الإسلام لأوربا وبين عبور أوربا لديار الإسلام ونتائجه السيئة والمريرة لقرون عديدة ، ومازال حصاد هذا العبور النكد ينضح سما زعافا وحقدا أسودا على الإسلام والمسلمين يشتد أواره ويتأجج لهيبه فى هذه الأيام .

أرى بين الرماد وميض نـار ... ويوشك أن يكون لها ضـرام

فإن لم يطفها عقلاء قومى ... يكون وقودها ذمم وهـام

ورغم أن كثيرا من هذه المذاهب قد باءت بالفشل وركلت من ساحات البحث العلمى غير مأسوف عليها كالداروينة والفرويدية أو أسقطتها الشعوب من نظمها الاقتصادية والاجتماعية كالشيوعية الماركسية إلا أن ديول الآقاعى الذى يتحركون بين ربوع العالم الإسلامى مازالوا يتشبسون بهذه المذاهب وتتضمنتها مناهج التربية والتعليم وقد أثارهم وأفزعهم أن الصروح التى بنيت على تلك المذاهب عبر السنين الطويلة وشيدت بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية قد أخذت فى التهاوى والسقوط مع ما يشهده العالم الإسلامى اليوم من صحوة دينية بين العقلاء من الشباب يعيد للأمة وجهها الإسلامى وتنزع عنها أقنعة الغرب التى تقنعت بها ردحا من الزمن مما أهاج المسيحية الحاقدة واليهودية الماكرة وبقايا نظم الشيوعية الملحدة فشرعوا كل أسلحتهم العسكرية والاقتصادية والإعلامية والفكرية والثقافية فى هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين ، يساعدهم على ذلك جهل بعض المسلمين بدينهم وشطط الآخرين منهم وتفرق كلمة حكامهم مما أوقع العالم الإسلامى بين أنياب الدول الكبرى تقضم شعوبه وتفترس أممه . وتنهب ثرواته وتفتك بعقول أبنائه ، لذا فإن من واجب العلماء والدعاة أن لايكفوا عن كشف سوأة تلك المذاهب وتعريتها أمام المسلمين حتى لاينخدعوا بها .

دور اليهود في انتشار المذاهب الفكرية

إن عداء اليهود للإنسانية عداء قديم وغل دفين ، تأصل في دمائهم ، وجرى في عروقهم منذ فجر تاريخهم الذي سطر بمداد من الدماء على صفحات سوداء بالتآمر على الأمم ، وتلطخ عبر القرون بالمكائد والدسائس ، وكان حصادهم اللعين الآثم إغراق البشرية في بحار الفتن ، واكتوائها بلظى الحروب .

ويمكن في إيجاز مواكبة حقدهم ، وتتابع مؤامراتهم عبر التاريخ على النحو التالي:

١ - مسلكهم مع والدهم نبي الله يعقوب وأخيهم يوسف عليه السلام :

لقد أبرز القرآن الكريم في صدر سورة يوسف من الآية ٤ - ١٨ أخلاق بني إسرائيل التي اشتهروا بها بين الأمم ، وتنقلت معهم في الأمصار التي ارتحلوا إليها ، واستوطنوا بها ، وتمكنوا من خلالها السيطرة على الشعوب .

٢ - ما تعرض له موسى وهارون عليهما السلام من عصيان بني إسرائيل وخروجهم عليهما وإحداث خلل وتصدع فيما جاءا به من الدين الحق :

ولقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن بني إسرائيل ، وموقفهم من موسى وهارون ، وكشفت آيات الذكر الحكيم في إعجاز بليغ وبيان بديع ووصف دقيق طوية اليهود وخبايا نفوسهم ومكامن الحقد في صدورهم مما أغاظهم وأثار حنقهم على الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلامية ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ - اليهود وقتل الأنبياء وتشويه تاريخهم :

توجد لدى اليهود جرأة عجيبة على قتل الأنبياء ، والتطاول عليهم ، وإلصاق التهم بهم قال تعالى : (١)

---

(١) سورة المائدة آية ٧٠

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾

وقال تعالى : (١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

قال الإمام القرطبي في سبب نزول هذه الآية : (٢)

« كان أناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل ، فقتلوهم ، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم .

وروى أبو عبيدة بن الجراح أن النبي ﷺ قال :

« قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم » .

وجاء أيضاً « كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم سبعين نبياً ، ثم تقوم سوق بقلهم »

وقد وعت ذاكرة التاريخ أسماء بعض الأنبياء الذين امتدت إليهم يد اليهود قتلاً ومنهم : حزقيال ، وأشعيا ، وأرميا ، ويحيى ، وزكريا ، وأنبياء آخرون امتدت لهم يد بني إسرائيل للقضاء عليهم غير أن عناية الله أنقذتهم من بين أنياب اليهود ، ومنهم : يوسف ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

هذا بجانب الافتراء على الأنبياء والصاق التهم بهم وتشويه تاريخهم .

والشخصية اليهودية لم ترتبط في وجودها بإطار جغرافي محدد ، فالجغرافيا

---

(١) سورة البقرة آية ٨٧ .

لا تكون معلماً من معالم هويتهم [باستثناء ما حدث في فلسطين].

واليهود سواتع أقدام على سطح الكرة الأرضية ، غير أنهم في كل أرض يطأونها يقيمون لأنفسهم أحياء خاصة . تقول دائرة المعارف البريطانية : (١)

« إن واقع وطابع اليهود دفعا بهم دائماً إلي التجمع والإقامة سوياً في شارع واحد أو في حي واحد » .

ولقد كان انعزالهم عملية تمويه وخداع للتغطية على دسائسهم ومؤامراتهم التي يحيكونها ضد الشعوب التي يعايشونها تنفيساً عن حقدهم الأسود الذي يعبر عنه كتابهم التلمود ، ومسطر فيما نشر من بروتوكلات حكماء صهيون .

اليهود والإسلام :

كان اليهود ولا يزالون يتوقعون نبياً يأتي آخر الزمان ويزعمون أنه من بني إسرائيل ، ولا يستبعد أن استيطانهم بالمدينة وعلى الطرق المؤدية إلى الشام ليتحقق لهم ما يتمنونه وما يقرئونه في كتبهم عن قرب بعثة الرسول ﷺ . قال تعالى : (٢)

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

ولقد تعددت مظاهر حقدهم ومؤامراتهم على الرسول ﷺ وعلى الإسلام فيما يلي :

١ ـ التظاهر بالدخول في الإسلام نفاقاً .

٢ ـ محاولة إحراج الرسول ﷺ بالعديد من الأسئلة .

٣ ـ إلقاء بذور الفتن بين المهاجرين والأنصار

---

(١) الشخصية اليهودية والروح العدائية د. رشاد عبد الله الشامي ص ١٨ .

(٢) سورة البقرة ٨٩

٤ - محاولة اغتيال النبي ﷺ كما فعل بنو النضير .

٥ - الغدر ونقض العهود والتحالف مع مشركي مكة ضد الإسلام مثل فعل بني قريظة .

٦ - بث الإشاعات ضد الرسول ﷺ وآل بيته كما حدث في افتراءات حديث الإفك .

٧ - الدخول في حرب الرسول ﷺ كما حدث في بني قريظة وبني قينقاع والنضير ويهود خيبر ، وقد تم إجلاؤهم من الحجاز .

٨ - اشتراكهم في مؤامرة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإشعال نار الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه ، وكان رأس الفتنة اليهودي عبد الله بن سبأ

واستمر هذا التآمر على الإسلام ينزوي ويضعف خلال قوة المسلمين وانضوائهم تحت لواء الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، ويقوى ويشتد إبان ضعفهم وتفرق كلمتهم ، حتى تمكن اليهود بمؤازرة الصليبية والشيوعية من إسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ على يد يهود الدونمة الذين دفعوا بكمال أتاتورك للثورة على السلطان عبد الحميد وخلعه وإسقاط الخلافة وقطع كل صلة لتركيا بالإسلام ، كما نجح اليهود بمساندة دول الكفر من إنشاء دولة إسرائيل على أنقاض شعب فلسطين من خلال سلسلة من المؤامرات والاعتداءات بدأت بمحاولة رشوة السلطان عبد الحميد ليمنحهم حق الاستيطان بفلسطين وقد رفض محاولات اليهود ، ثم تصاعد التآمر بوعد بلفور وزير خارجية انجلترا عام ١٩١٧ بحق اليهود في إنشاء وطن لهم بفلسطين ، ثم تتابعت الدسائس والتي انتهت بإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ والدخول في حروب في أعوام ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ ، ثم انتقل الصراع على مائدة المفاوضات والصلح اللذان أضفيا على إسرائيل الشرعية وحق البقاء ، وللأسف فإن الإسلام قد نحي تماماً عن إدارة هذا

الصراع حرباً وسلماً ، بل إن إسرائيل ودول الكفر وبعض الأنظمة العربية يعملون في خندق واحد ضد الصحوة الإسلامية المعاصرة .

والذي يعنينا في هذا البحث دور اليهود في انتشار المذاهب الفكرية الإلحادية التي تنكر وجود الله كما جاء في البروتوكول الرابع . (١)

« يجب أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود ، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية » .

هذا ولقد كان لليهود دور بارز في إفساد أوروبا وديانتها المسيحية ، فحينما أخفق اليهود أمام الإسلام ولم ينالوا منه لأن الله تكفل بحفظ كتابه .

قال تعالى : (٢)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فاتجهوا إلى أوروبا ، ولا سيما إبان عصر النهضة حيث انطلق اليهود من عزلتهم إذ أن ريح للثورة الفرنسية الذين كانوا هم المدبرين لها منحتهم الحرية وكافة حقوق المواطنة ، وكان المناخ الأوروبي مهيأً للأفعى اليهودية لتنفث سمومها وتحقق أهدافها بسبب الأمور التالية :

١ ـ فشل الكنيسة ورجالاتها وانحرافهم عن النصرانية الحقة كما سبق .

٢ ـ سقوط الطبقة الحاكمة من الأمراء والنبلاء ، ولا سيما بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

٣ ـ انحسار المد الإسلامي ، وتوقفه على مشارف أوروبا ، ثم انكسار المسلمين في الأندلس ، ثم سقوط الخلافة الإسلامية ، ووقوع العالم الإسلامي تحت سيطرة الاستعمار الأوربي .

---

(١) بروتوكلات حكماء صهيون . ترجمة : محمد التونسي ص ١٧٣

(٢) سورة الحجر : آية ٩

٤ ـ إشعال نيران الثورات والحروب والفتن

ما من عصر من العصور تفجرت فيه الثورات وسعرت نيران الفتن إلا وكانت أصابع اليهود الخفية هي المحركة لذلك ، ومن أشهر تلك الثورات :

أ ـ الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨م :

فقد كان اليهود من ورائها ، وهم المحركون لأحداثها ، والناشرون لشعاراتها : الحرية ـ الإخاء ـ المساواة .

بل إن تمويل هذه الثورة كان من أيدي اليهود كما تعترف دائرة المعارف البريطانية حيث ذكرت بعضاً من أقطاب المال اليهود الذين ساندوا الثوار مادياً ، وهم : (١)

دانيـــــال أتزج	١٧٢٢ ـ	١٧٩٩	من برلين
ديفيد فريد لاندر	١٧٥٠ ـ	١٨٣٤	من برلين
هرز سير فبير	١٧٣٠ ـ	١٧٩٣	الألزاس
بنجامين جولد سمد	١٧٥٥ ـ	١٨٠٨	لـنـدن
إبراهيم جول سمد	١٧٥٦ ـ	١٨١٠	لـنـدن
فوزس موكانا	١٧٦٨ ـ	١٨٥٧	

قال حكماء صهيون في البروتوكول الثالث يخاطبون اليهود :

« تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى . إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لدينا جيداً لأنها من صنع أيدينا ، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم من خيبة إلى خيبة » .

---

(١) حقيقة اليهود فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي ص ٦١ ، ٦٤ .

ب ـ الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م :

لقد كان اليهود وراء الانقلاب الشيوعي على الدولة القيصرية في روسيا ، وكانت أفكار كارل ماركس اليهودي الاقتصادية هي ركيزة تلك الثورة ودعامتها الفكرية .

ولقد تشكل المكتب السياسي للثورة الروسية ، وكان على قائمته عدد من اليهود ، كما دعمت الثورة مادياً من أقطاب رجال المال في أوروبا والولايات المتحدة (١)

وقد غدا التحالف بين الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية أمراً واضحاً نطقت به الوثائق الدولية والمراجع العلمية .

جـ ـ دور اليهود في إسقاط الخلافة الإسلامية :

لا شك أن لليهود الدور البارز في إسقاط الخلافة الإسلامية ، فمنذ إجلائهم من الجزيرة العربية وهم يبذلون غاية جهدهم لتدمير الإسلام تارة بالتآمر والاغتيال وتارة بنشر القصص الكاذب ، والروايات الموضوعة في التراث الإسلامي .

ولقد بلغ هذا التآمر ذروته بتقويض الخلافة العثمانية التي كانت حجر عثرة يحول دون استيطانهم في فلسطين وإنشاء دولتهم ، ولهذا قال الكاتب الروسي سوجي نيلوس :

« لا بد للأمم اليهودية أن تمر بالقسطنطينية لتصل إلى فلسطين » .

وقد سجل التاريخ أن اليهود الذين هاجروا إلى تركيا من بلاد الأندلس وأطلق عليهم يهود الدونمة والذين تسللوا تحت ستار اعتناقهم الإسلام إلى مناصب الدولة العليا .

ولقد ارتبط التسلل بالمحافل الماسونية التي زلزلت أركان الخلافة على يد

---

(١) راجع كتاب الكيد الأحمر ، مكائد عصبة الشر عبر الميادين

كمال أتاتورك الذي أعلن إلغاء الخلافة وقطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

هذا ولم يتمكن اليهود من فلسطين إلا على أنقاض الخلافة الإسلامية.

د - إشعال نيران الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، والثانية ١٩٣٩:

اصطلى العالم نيران حربين عالميتين راح ضحيتها زهاء الثمانين مليوناً من البشر، هذا بخلاف ما نتج من دمار وتخريب. وما أعقب تلك الحروب من فساد اقتصادي وانحراف خلقي شوه معالم الفطرة الإنسانية. يقول اليهودي ماركوس رافاج: (١)

« نحن اليهود نقف من وراء جميع حروبكم، وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم ».

وما كادت تنطفيء نيران الحربين العالميتين إلا وسعرت لهيب الحرب الباردة بين الشرق الاشتراكي والغرب الرأسمالي، وأكتوت بلظاها الشعوب النامية، وعلى رأسها الأمة الإسلامية التي دفعت بها الصهيونية الماكرة والصليبية الحاقدة والشيوعية الفاجرة إلى ميدان الحروب والفتن، فأشعلوا الحرب بين الهند وباكستان عام ١٩٦٠ مما أدى إلى هزيمة باكستان وانشطارها إلى دولتين: بنجلاديش وباكستان.

كما أوقدوا نار الحرب وغذوها بين العراق وإيران، واستمرت تسع سنوات. كما كانوا هم وراء حرب الخليج بين العراق والكويت، والتي أحدثت جرحاً عميقاً بين العرب لم يندمل بعد وها هم يحركون لهيب الفتن بين مصر والسودان.

إنهم اليهود في كل عصر لا حياة لهم إلا وسط التآمر والكيد.

وصدق الله العظيم حينما أخبر عنهم وفضح مسلكهم فقال تعالى (٢):

---

(١) حقيقة اليهود: فؤاد الرفاعي: ص ٦٤.

(٢) سورة المائدة: [illegible]

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

٥ ـ احتواء اليهود للثورة الصناعية :

مع بداية الثورة الصناعية التي كانت تفتقد المال الذي كان ينحصر في طائفتين :

الطائفة الأولى : أمراء الإقطاع الذين رفضوا تمويل الصناعة الناشئة كما رفضوا الانتقال بأموالهم من الزراعة التي يألفونها إلى صناعة ناشئة غير مضمونة الربح ، هذا بجانب الثورة على النظام الإقطاعي الذي أضعف من نفوذه وجعله يحجم عن المشاركة في الثورة الصناعية .

الطائفة الثانية : اليهود الذين تقدموا لتمويل الصناعة في أوروبا وإقراض أرباب الصناعة الوليدة بالربا الفاحش ، ومن ثم أنشأ اليهود المصارف التي تشجع الناس على إيداع أموالهم بفوائد ربيبوية بسيطة مقابل إعطائهم صكاً بذلك ، ثم يأخذون هذه الأموال المودعة تحت أيديهم لأصحاب المصانع مقابل تقديم رهن : إما الآلات ، أو الإنتاج ، ثم يوعزون إلى العمال بالثورة على صاحب العمل ، فيتوقف عن الإنتاج ويعجز صاحب المصنع عن سداد ديونه ، فيتقدم اليهودي ليحل محله ، وبهذا وقع المجتمع الصناعي الأوربي في قبضة اليهود ، وقامت الماسونية العالمية تحت شعار : الحرية ـ الإخاء ـ المساواة لإفساد الدين والأخلاق بالأساليب التالية :

١ ـ العمل على تهديم مبادىء الدين بإقامة مبادىء أخرى مقامها .

٢ ـ إغراق غير اليهود بالأعمال المادية التي تصرفهم عن التبصر بمكايد اليهود وراء الحجب .

٣ ـ العمل على سرقة جهد الأمم غير اليهودية ، وضم مستغلاتها إلى خزائن اليهود عن طريق المضاربات التي يعرف اليهود مكانها وحيلها .

طاقاتها الجسدية والمادية .

٥ ـ إثارة طبقات المجتمع بعضها على بعض بعد إيجاد الأسباب المبررة لذلك .

وبهذا استطاع اليهود أن يتسلموا قيادة المجتمع الأوروبي والأمريكي ، ووضعوا العالم بين فكي كماشة قاتلة ، إحدى ذراعيها نظريات علمية زائفة في علم النفس والاجتماع والاقتصاد يروج لها دهاة اليهود وعملاؤهم ، والذراع الثانية الإفساد الاجتماعي ، وتدمير الفطرة الإنسانية وفق هذه النظريات . جاء في البروتوكول التاسع :

« لقد خدعنا الجيل الناشيء من غير اليهود وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مباديء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها »

وجاء في البروتوكول الثاني ما يكشف طوية اليهود ، وسوء نياتهم في نشر تلك المذاهب :

« دعوهم يعتقدوا أن القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما هي حقائق ثابتة يتمشى عليها العلم من الوجهة النظرية ، وسنعمل على أن نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة ، وذلك بتقييد أنظارهم ، وبمساعدة ما تبثه صحافتنا في عقولهم

إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولهم حسب الاتجاه الذي توخيناه .

لا تتصوروا أن كلماتنا جوفاء ، ولا حظوا هنا أن نجاح [داروين] و [ماركس] و [ونيتشة] ، والأثر غير الأخلاقي لمجاء هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لفاعلي التأكيد » .

هذا وقد تحقق ما تنبأ [illegible] بني صهيون في القرن التاسع عشر ، وها هم على مشارف القرن الحادي والعشرين وأيديهم تقبض على زمام السياسة العالمية ، فالولايات المتحدة الأمريكية تبسط جناح حمايتها لإسرائيل وتبني سياستها العدوانية ، بل وتكشف عن وجهها القبيح حينما تقف مع إسرائيل ، بل وتخضع لإرادتها ولو ضد المجتمع الدولي كمؤازرتها على عدم التوقيع على معاهدة الأسلحة النووية ، كما أن اللوبي اليهود في الكونجرس الأمريكي وأرباب المال من اليهود يشكلون قوى ضاغطة على اتخاذ القرار في الرئاسة الأمريكية وأوروبا الغربية والشرقية لا تقلان في الخضوع والإذعان لأطماع الصهيونية العالمية .

وسوف نرى بين ثنايا هذا الكتاب كيف استطاعت الماسونية العالمية التي تديرها وتنظمها المؤسسات اليهودية في العالم إفساد الشعوب من خلال تلك المذاهب .

الباب الثاني

التعريف ببعض النظريات والمذاهب الفكرية وآثارها وأساليب التصدي لها في ظلال الإسلام

الباب الثاني

التعريف ببعض النظريات والمذاهب الفكرية وآثارها

قبل أن نعرض لبعض النظريات ينبغي أن نضع بين يدي القارىء الفرق بين النظرية العلمية والقوانين العلمية ، كما نعرف كلمات : مذهب ، وفكر ، ومعاصر .

١ ـ فالنظرية :

آراء واجتهادات تقوم على الملاحظة والمشاهدة والاستدلال والاستنتاج وجمع المعلومات وترتيبها ، أو طرح بعض الأفكار ليتوصل من خلالها إلى نتائج معينة أو أهداف مقصودة ، وعلى هذا فالنظرية هي طور أولي من أطوار البحث العلمي لا ترقى إلى القانون العلمي ، وهي تحتمل الصواب والخطأ ، وسواء منها الكونية أو الإنسانية ، فلا ينبغي أن يقارن بين تلك النظريات وبين بعض آيات القرآن الكريم ، وتطويعها لتأييد هذه النظريات أو الاستدلال بالنظرية على إعجاز القرآن الكريم كما يحدث الآن في بعض مجالات البحث العلمي

٢ ـ أما القانون العلمي :

فهو الذي مر بجميع مراحل البحث العلمي ، واستقر في العقول أنه سنة من سنن الله في الكون ، لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، ومن ذلك قانون الجاذبية ، وقانون تمدد الأجسام بالحرارة وانكماشها بالبرودة ، وقانون طفو الأجسام على المياه أو استقرارها بالقاع ، وكذلك كافة السنن الكونية التي اكتشفها الإنسان عبر قرون النهضة العلمية ، والقانون العلمي لن يتصادم مع القرآن الكريم ، لهذا قال العلماء :

الكون قرآن الله المنظور ، والقرآن كون الله المقروء ، فلن تتعارض سنة كونية أو قانون علمي مع القرآن الكريم ، وإذا ما حدث ثمة تعارض فهو يرجع إلى

قصور في بعض مراحل البحث العلمي ، على العلماء تداركها لتلاشي أوجه النقص العلمي ، وإذا استمر هذا التعارض لفترة ما سوف يأتي زمن يستطيع العلماء أن يسبروا أغوار البحث لتتطابق سنن الله في الكون مع القرآن الكريم مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : (١)

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن معظم النظريات التي بدأت تتضح معالمها في القرن التاسع عشر ، وبلغت أوجها في القرن العشرين ، وتبنتها دول وشعوب ، وأحاطتها بعض أجهزة البحث العلمي ووسائل الإعلام بهالة كاذبة من الدعاية المغرضة والشارات البراقة والتزيين الزائف حتى غدت للشعوب أنها من المسلمات ، فما كاد القرن العشرون يقترب من نهايته إلا وهذه النظريات تتساقط كأوراق الخريف اليابسة ، وتتطؤها الشعوب بأقدامها ، وتنهار الدول التي كانت تحميها وتدعوا إليها ، ومن ذلك : انهيار دولة الماركسية الشيوعية في أوروبا الشرقية (الاتحاد السوفيتي) ، وكسقوط نظرية دارون وفرويد وأميل دور كايم وغيرها من النظريات حيث أوصدت أمامها أبوابُ البحث العلمي ، وألقيت في دهاليز النسيان التاريخي غير مأسوف عليها

غير أنه ما زال بعض أبناء العالم الإسلامي يتشبثون بزيل بعض تلك النظريات تكبراً وعناداً ، أو حفاظاً على ماء وجوههم بعد أن أفنوا زهرة شبابهم وربيع عمرهم خلف تلك النظريات والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويشاء الله سبحانه وتعالى ألا تطوى صفحات حياة كثير منهم إلا وهم يشاهدون تصدع تلك المذاهب وانهيارها

ولهذا قصدت من عرض بعض تلك المذاهب وكشف زيفها أن أزيد في كمد

أذنابها من دعاة العلمانية والتغريب الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار ، وقد سطعت عليهم شمس الصحوة الإسلامية المعاصرة فأذهلتهم ، ولم يقووا على النظر في ضوء شمسها فعميت أبصارهم وبصائرهم ، وبدأوا يتخبطون في دياجير الظلام والإلحاد ، ويتشبثون بسراب خادع من تلك المذاهب والنظريات التي سوف تلفظ أنفاسها الأخيرة مع مطلع القرن الحادي والعشرين إن شاء الله : (١)

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ .

٣ - التعريف بكلمة مذهب :

جاء في لسان العرب : (٢)

المذهب : مصدر كالذَّهاب : المعتقد الذي يُذهَبُ إليه ، وذهب فلان لذَهبه أي لمذهبه الذي يذهب إليه .

وحكي عن الكسائي :

ما يُدرَى له أين مَذهَبُ ، ولا يدرى له ما مذهَبُ : أي لا يدرى أين أصله .

وجاء في المصباح المنير : (٣)

ذهب مذهب فلان قصد : قصده ، وطريقته ، وذهب في الدين مذهباً : رأى فيه رأياً

وقال السَّرقُسطيُّ : أحدث في الدين بدعة .

---

(١) سورة الروم : آيات ٤ - ٧ .

(٢) لسان العرب : [illegible]

(٣) المصباح المنير : [illegible]

٤ ـ الفكر : (١) الفكرُ والفِكرُ : إعمال [illegible] في الشيء .

ورجل فِكِّيرٌ : كثير الفكر .

قال الجوهري : التفكر : التأمل ، والاسم : الفِكرُ والفِكرةُ ، والمصدر : الفكر .

وجاء في المصباح المنير : (٢)

الفكر بالكسر : تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعالي .

ولِيَ في الأمر فِكرٌ : أي نظرٌ وَرَوِيَّةٌ .

والفكرة : اسم من الافتكار ، مثل [illegible] من الاعتبار ، وجمعها فِكرٌ .

ويقال : الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب علماً أو ظناً .

وجاء في المصطلحات اللمية والفنية تحديد لمفهوم الفكر : (٣)

الفكرة : ١ ـ تطور ذهني .

٢ ـ قوة تبث فكرات أخرى وتدفع للعمل .

٣ ـ الفكرة إما أن تكون غريزية أو فطرية ليست مستفادة من الأشياء ، ولا مركبة بالإرادة ، ولكن النفس تستنبطها من ذاتها ، وتمتاز بأنها واضحة جلية بسيطة . وإما أن تكون حادثة تقوم في الفكر بمناسبة حركات وارادة على الحواس من الخارج كاللون ، الصوت ، الرائحة .

وقد تكون الفكرة مصطنعة تركيبها من الأفكار الحادثة ، كصورة فرس ذي جناحين

فالفكرة ما به التفكر ، والفكرة هي موضوع التفكير .

(١) لسان العرب ، ج٢ ، ص١١٢٠ .
(٢) المصباح المنير ، ص٤٧٩ .
(٣) المصطلحات العلمية والفنية ، الجزء الثاني ، ص٢٢٣ ، إعداد : يوسف خياط ، ونعيم فرحات .

٥ ـ العصر . جاء في لسان العرب : [١] العَصرُ والعِصرُ والعُصرُ : الدهر . قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [٢]

قال الفداء : العصر : الدهر ، وقال ابن عباس : العصر : ما تليه المغرب والعشاء .

وجاء في المصطلحات الفنية : [٣]

« العصر أطول مرحلة من مراحل الحقب ، ويقاس مداها بعدد غير قليل من عشرات السنين ، ويتميز كل حقب برتب وفصائل حيوانية وبنانية تنقرض أغلبها »

مما سبق يتضح أن المذاهب الفكرية المعاصرة هي :

نتاج الفكر الإنساني عبر عصور متتابعة .

(١) لسان العرب . ج٢ . ص٧٩٣ .
(٢) سورة العصر . آية ١
(٣) المصطلحات العلمية والفنية . ج٢ . ص١٥٩ .

(١)

نظرية داروين

أولاً : مقدمة عن الأحوال التي سادت في أوروبا قبيل ذيوع هذه النظرية :

إن الفكر الإنساني البعيد عن وحي السماء ورسالات الأنبياء قد شق لنفسه خلال مسيرة الجنس البشري أخدوداً عميقاً من المعتقدات الدينية الفاسدة الملحدة ، والآراء الفلسفية المختلفة باختلاف عقول البشر ، والنظريات والمذاهب التي تنتحل صفة العلم الذي لا ضابط له من وحي و رسول .

ولقد كانت جماهير الشعوب لا تولِّي وجهتها إلاَّ إلى المعتقدات الدينية ، سواء كانت وحياً من عند الله ، أو معتقدات ضالة كعبادة مظاهر الطبيعة أو الأصنام ، كما كانت عليه الوثنية اليونانية الرومانية اللتان كانتا تتحكمان في العالم قروناً طويلة . أما الآراء الفلسفية والمذاهب العلمية فإن عامة الأمم لا تدري عنهما شيئاً لأنها كانت تئن من وطأة الكنيسة ورجالاتها ، وتتوجع من ظلم الإقطاع الذي كان يملك الأرض ومن عليها من رقيق . ومن ثم فإن بعض الآراء الفلسفية والمذاهب الفكرية لا تتعدى دائرة المهتمين بها من العلماء والمفكرين ، ولقد استمر هذا قروناً كثيرة ، حتى جاء الانقلاب الكبير الذي حدث في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بانفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م ، والتي انتهت أحداثها باجتماع الجمعية الوطنية في ٤ أغسطس ١٧٨٩ وقرر المجتمعون :

١ ـ إلغاء امتيازات الأشراف ورجال الدين .

٢ ـ إلغاء نظام الإقطاع .

٣ ـ المساواة التامة بين أفراد الشعب في الضرائب وتقلد الوظائف العامة وأمام القضاء .

وفي ٥ أغسطس ١٧٨٩ م أعلنت الجمعية الوطنية حقوق الإنسان ، ومن أهم

نصوصه : (١)

١ - أن الناس ولدوا أحراراً متساوين في جميع الحقوق .

٢ - أن الغرض من كل مجمع سياسي هو المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية ، وهذه الحقوق تشمل : الحرية ، الملكية ، مقاومة الظلم والطغيان ، وإقرار الأمن والسكينة في البلاد ، وأن حق الملكية حق مقدس لا يجوز المساس به .

٣ - وأن السيادة تكون دائماً للشعب ، ولا يجوز لأي فرد أو مجموعة من الأفراد أن تتولى السلطة إلا بإرادة الشعب .

٤ - وأن الإنسان حر في أن يفعل ما يشاء بشرط ألا يضر بحقوق الآخرين .

٥ - وأنه لا يجوز القبض على أي شخص أو سجنه إلا في حدود القانون .

٦ - وأن القانون يطبق على الجميع بلا استثناء ، والقانون هو التعبير عن الإرادة العامة ، ولجميع أفراد الشعب سواء بأنفسهم أو عن طريق ممثليهم الحق في الاشتراك في وضعه .

٧ - أن لكل أفراد الشعب الحق في تولي المناصب والوظائف العامة .

٨ - لا يجوز فرض ضريبة إلا بموافقة الشعب .

٩ - إنه لا بد من مراعاة مبدأ فصل السلطات الثلاثة : التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية حتى لا تطغى سلطة على حقوق الأخرى .

هذا ولقد قرر القانون الفرنسي استيلاء الحكومة على الأراضي الموقوفة للكنيسة ، وضمها لأملاك الدولة ، وتحديد مرتبات لرجال الدين ، كما قرر أن يكون تعيينهم بالانتخاب وبذلك قطع الصلة بين روما والكنيسة في فرنسا ، وتقرر أن يقسم رجال الدين عند انتخابهم يمين الولاء والطاعة للدستور الجديد ،

---

(١) أوربا الحديثة وعلاقتها بالشرق . تأليف سيد [illegible] وآخرين ، ص٤٤ .

وكذلك قرر الحرية الدينية ، وتنظيم الأحوال الشخصية للمسيحيين ، وإلغاء نظام الرهباني ، وإبطال نظام الرهبنة ، توثيق عقود الزواج بالمحاكم المدنية بحضور شهود بدلاً من إتمامه في الكنيسة .

وبهذا استطاعت الثورة الفرنسية أن تزيل طغيان الكنيسة الذي ظل جاثماً على صدر أوروبا ثمانية عشر قرناً .

وعقب الثورة ظهرت أحزاب في فرنسا ، ومن هذه الأحزاب : حزب اليسار : ويتزعمه هيبيد ، ومن مبادئه : (١)

إبطال الديانة المسيحية وغيرها من الأديان ، وأعلن مبادىء جديدة هي عبادة الحق والعدل .

أمر بنهب الكنائس والأديرة ، وباضطهاد جميع رجال الدين ، وأباح قتلهم ، كما أعلن استباحة أملاك الأشراف .

هذا ولقد هبت عواصف الثورة الفرنسية على أوروبا ، فاشتعلت الحروب والثورات في أرجائها في بلجيكا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، واليونان .

وقبل هذا كانت حرب الاستقلال في القارة الأمريكية ، والتي انتهت بإعلان استقلال الولايات المتحدة عام ١٧٨٣ م ، وما أعقب ذلك من حروب أهلية استمرت من عام ١٨٦١ ـ ١٨٦٥ م .

وسط هذه الحروب والثورات التي اجتاحت أوروبا والقارة الأمريكية ، تم تنحية الكنيسة ، وتقليم أظافرها ، ولم يعد لها سوى بعض الطقوس يذهب لها البعض يوم الأحد متثاقلين الصلى ، وفي لجج هذه الأحوال ظهرت نظريات علمية تصادم الكنيسة في معتقداتها فتزلزل ما بقي من مكانة في قلوب رعاياها ، وليثأر العلماء والمفكرون مما نزل بهم خلال الطغيان الروحي والعقلي للنصرانية كنظرية

(١) أوروبا الحديثة وعلاقتها بالشرق ، ص ٦٠ .

داروين ، وماركس ، وفرويد ، وإميل دور كايم ، وغيرهم .

ولم تعد تلك النظريات قاصرة على عقول مفكريها وطلابهم ، ولكن بتبني اليهودية بمؤسساتها الخفية والمعلنة ، وبروح غضب الشعوب على النظام الكنسي ، ومع تطور وسائل الاتصالات والمواصلات ، ومع حركة الاستعمار العالمي كتب لهذه النظريات الإلحادية الذيوع والانتشار ، حتى إنها قررت في المناهج التعليمية ، وللأسف في معظم الأقطار العربية ، حتى غدت لكثير أنها من المقدسات ، وانبرى كثير من أبناء المسلمين ممن تربوا على موائد الاستشراق والتبشير للدعوة لها والدفاع عنها مما سنوضحه بين ثنايا البحث ، وسوف نبدأ بداروين لأن نظريته من النظريات التي ساهمت في زلزلة المعتقدات الدينية ، وذاع صيتها في الآفاق ، وما زالت آثارها تلطخ الفكر الإنساني حتى الآن ، والأشد خطورة أنها تدرس في المعاهد التعليمية للصف الثالث الثانوي دون إيضاح عن مصادمتها للدين مما يولد لدى النشء إحساساً بمصداقيتها ، ومن ثم ينطبع في عقله بذور الشك والإلحاد والتجرؤ على الدين والنيل منه ، وهذا ما يقصد إليه الكافرون في كل مجتمع .

تشارلس دارون ومذهب التطور

١٨٠٩ - ١٨٨٢ (١)

ولد في إنجلترا . بدأ بدراسة الطب ، ولم يكمل مسيرته فيه ، ثم انتقل لدراسة علم اللاهوت ، فما لبث أن انصرف عنه غير أنه شغف بدراسة الطبيعة وبالرحلات العلمية ، فقام برحلة حول الأرض استمرت من عام ١٨٣١ - ١٨٣٦ م جمع خلالها من الملاحظات التي اعتبرت الأساس الأول لنظريته ، ثم قضى بعد ذلك زهاء ربع قرن يستكمل ملاحظاته وتجاربه حتى أخرج نظريته التي عبر عنها من خلال مؤلفاته التالية :

١ - كتاب أصل الأنواع ، صدر عام ١٨٥٩ م ، ترجمه إلى العربية الأستاذ إسماعيل مظهر ١٩١١ م .

٢ - كتاب تغير الحيوان والنبات في حال الدجن ١٨٦٨ م .

٣ - ثم طبق نظريته على الإنسان في كتاب (تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي) عام ١٨٧١ م .

٤ - كتاب (التعبير عن الانفعالات في الإنسان الحيان) ١٨٧٢ م عالج فيه على مقتضى نظريته بعض الأمور النفسية .

مفهوم النظرية :

تزعم هذه النظرية أن المخلوقات على اختلاف أنواعها هي من أصل واحد ، أو من عدة أصول نمت وتكاثرت بدءاً من :

١ - كائنات وحيدة الخلية كالأميبا .

٢ - كائنات متعددة الخلايا كالإسفنج .

---

(١) تاريخ الفلسفة . يوسف كرم ص ٣٠١ . دار القلم بيروت .

٣ ـ كائنات لها جوف واحد سميت جوف معويات كاليهيدرا .

٤ ـ حيوانات لا فقارية .... حيوانات فقاريا دنيا ، كالأسماك والطيور حيوانات فقارية أرقى كالثدييات الدنيا ..... الثدييات العليا ..... القردة الدنيا القردة العليا .

[الغورلا والأورانج] [إنسان الغابة والشمبانزي] .

٥ ـ الحلقة المفقودة ـ القردة الشبيهة بالإنسان ، أو الإنسان الشبيه بالقردة العليا ـ الإنسان .

وقال داروين ، وهو يشرع نظريته :

« إن الطبيعة تخلق كل شيء ، ولا حد لقدرتها على الخلق » .

وقال كذلك :

« إن الطبيعة تخبط خبط عشواء » .

أساس النظرية : (١)

١ ـ تعتمد النظرية على أساس ما شوهد في زمن داروين من الحفريات الأرضية ، فقد وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية ، وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى ، فقال داروين :

« إن تلك الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الكائنات والحيوانات الأدنى .

٢ ـ تعتمد أيضاً على ما كان معروفاً في زمن داروين من تشابه جميع أجنة الحيوانات في أدوارها الأولى مما يوحي بأن أصل الكائنات واحد كما أن الجنين واحد ، وحدث التطور على الأرض كما يحدث في أرحام الكائنات الحية .

٣ ـ تعتمد النظرية على وجود أعضاء أثرية مثل الزائدة الدودية في الإنسان التي هي المساعد في هضم النباتات ، وليس لها عمل في الإنسان مما يوحي بأنها أثر بقي من القرود لم يتطور لأنها تقوم بدورها في حياة القرود الآن .

يتم هذا النشوء والارتقاء بالكيفية التالية :

١ ـ الانتقاء الطبيعي :

حيث تقوم عوامل الفناء بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة ، والإبقاء على الكائنات القوية وفق ما يسمى في نظريته (البقاء للأقوى) ، حيث يبقى الكائن القوي السليم الذي يورث صفاته القوية لذريته ، وتتجمع الصفات القوية مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في الكائن ، وذلك هو (النشوء) الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى ، وهكذا يستمر التطور ، وهذا هو (الارتقاء) .

وقانون الانتخاب الطبيعي كما يرى دارون يرتكز على قوانين ثلاثة ثانوية هي : [1]

أولاً : قانون الملائمة بين الحي والبيئة الخارجية .

ثانياً : قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة بحيث تنمو الأعضاء ، وتضمر أوتظهر أعضاء جديدة تبعاً للحاجة .

ثالثاً : قانون الوراثة ، وهو يقضي بأن الاختلافات المكتسبة تنتقل إلى الذرية على ما يشاهد في الانتخاب الصناعي .

هذا تعريف موجز بنظرية دارون التي شدت انتباه العلماء ما بين مؤيد ومعارض منذ ظهورها عام ١٨٥٩ م ، وانتهى أمرها إلى لفظها من أروقة البحث العلمي . فقد تناولتها أقلام العديد من العلماء والمفكرين بالبحث والتشريح والنقد حتى كشفوا زيفها وتهافتها من جميع النواحي ، بما لا يدع مجالاً للشك

الأمريكي يحظر تعليم هذه النظرية في مدارس الأطفال منذ عام ١٩٣٥ .

ولذلك فإنني لن أتناول هذه النظرية من زاوية النقد العلمي ، فقد وجهت إليها سهام قاتلة .

وسأرشد القارىء الفاضل إلى بعض المراجع التي نقلت آراء العلماء في دحض آراء داروين في النشوء والارتقاء :

١ - مصرع الداروينية . تأليف : محمد على يوسف . دار الشروق .

٢ - نظرية التطور ، هل تعرضت لغسيل الدماغ ، للعالم الأمريكي دوان ت . كيش . ترجمة : أورخان محمد علي .

٣ - كواشف زيوف المذاهب المعاصرة . للشيخ عبد الرحمن الميداني . دار القلم .

٤ - دارون ونظرية التطور . تأليف شمس الدين آق بلوت . ترجمة أورخان محمد علي الدار السعودية للنشر .

٥ - سقوط نظرية دارون . للأستاذ / علي الجندي . دار الاعتصام .

فقد ساقت هذه الكتب وغيرها محاول هدم تلك النظرية ، وإسدال ستحب النسيان عليها ، غير أنه للأسف ما زالت هذه النظرية تدرس في المدارس ببعض البلاد العربية الإسلامية كأثر من آثار الغزو الفكري :

ففي كتاب (علم الأحياء) المقرر على الصف الثالث الثانوي بوزارة التربية والتعليم في مصر وضع فصل كامل عن ميكانيكية التطور ، ص ١٤٣ .

بدأ هذا الفصل بإثارة الأسئلة التالية :

كيف يحدث التطور ؟ وما هي القوى المسببة له ؟ وما العوامل التي الأثر فيه ؟

وساق الكتاب نظرية جان لامارك ١٧٤٤ - ١٨٢٩ م عن التطور ، التي نسج

على منوالها داروين نظريته عام ١٨٥٩ م ، عرض الكتاب لنظرية التطور دون أن يوضح أن هذه النظرية تتعارض مع قصة الخلق كما جاءت في القرآن الكريم مما يلقي بظلال من الشك في المعتقدات الدينية يستقر في عقول أبناء المسلمين منذ نعومة أظفارهم ، ثم يلمسون آثار تلك النظرية في واقع حياتهم من خلال ما تبثه أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة من برامج تسير في نفس الاتجاه الذي رسمه أعداء الإسلام لهذه الأمة لتصبغ مجتمعاتها بصبغة هذه النظرية وغيرها .

هذا ولقد لوحظ على بعض المؤلفات التي تناولت هذه النظرية أو غيرها أنها عمدت إلى نقل آراء علماء الغرب في نقدهم لنظرية التطور وتصادمها مع الواقع والعقل ، وقد أغفل بعض الباحثين الإسلاميين - من غير قصد - إبراز نقد تلك النظرية من خلال الرؤية الإسلاميةالتي تستند في حجيتها ومصداقيتها إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العالمين . بل إن بعض المسلمين انبهر بتلك النظرية في مطلع هذا القرن ، وأخذ يقيم الأدلة على عدم تعارضها مع الدين ، ومن أشهر القائلين بهذا الشيخ الجسر صاحب الرسالة الحميدية ، وقد ساق آراءه الشيخ نديم الجسر في كتابه (قصة الإيمان) ، والشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه (تفسير القرآن للقرآن) .

لذا رأيت من واجبي أن أوجه بحثي خلال نظرية داروين إلى أمرين ضاعا في زحام الآراء المتصارعة عليها تأييداً أو اعتراضاً ، وقد يذكران عرضاً عند احتدام المناقشة :

الأمر الأول : قضية خلق الإنسان وتطوره ، كما جاءت في القرآن الكريم .

الأمر الثاني : أهداف نظرية التطور والآثار التي نتجت عنها .

أولاً : قضية خلق الإنسان :

إن قضية وجود الإنسان على ظهر الأرض قد شغلت عقول الباحثين منذ فجر التاريخ ، حينما يتناولها العلماء بعيداً عن وحي السماء ورسالات الأنبياء فإن الخطى تتعثر والرؤيا تضطرب ، والعقول تتصارع ، والمحصلة النهائية شك وإلحاد إلا من عصم الله ودارويين ليس أول من تناول قضية الخلق ، فلقد تناولها غيره علماء كثيرون ، وكانت محل استفسار واستفهام عبر تاريخ الإنسانية .

يذكر الأستاذ / إسماعيل مظهر في مقدمة ترجمته لكتاب أصل الأنواع لداروين ، والذي ترجمه إلى العربية عام ١٩١١ م ، وطبع عام ١٩٢٨ م (١)

« أن مذهب النشوء والارتقاء قديم يرجع تاريخه إلى آلاف السنين ، وقد يرى أثره في الخرافات الدينية التي وضعها حكماء بابل وآشور ومصر ، فكانوا يقولون بأن أثر الكواكب واشتراك بعضها مع بعض كان السبب في نشوء الأحياء على الأرض ، وإنها لم تنشأ إلا بالتدريج درجة درجة ، وهذا ما ذهب إليه انكسمندر الذي ولد عام ٦١٠ ق . م حيث قال : « إن تكوين المخلوقات الحية منسوب إلى تأثير الشمس في الأرض ، وتمييز العناصر المتجانسة بالحركة الدائمة ، وأن الأرض كانت في البدء طينية ورطبة أكثر مما هي عليه الآن ، فلما وقع فعل الشمس فارت العناصر الرطبة في جوفها ، وخرجت منها على شكل فقاقيع فتولدت الحيوانات الأولى غير أنها كانت كثيفة ذات صورة قبيحة غير منتظمة » .

« أما الإنسان فظهر بعد الحيوانات كلها ، ولم يخل من التقلبات التي طرأت عليه ، فخلق أول الأمر شنيع الصورة ناقص التركيب ، وأخذ يتقلب إلى أن حصل على صورته الحاضرة » .

ثم برز هذا الفكر عقب الثورة على الكنيسة [illegible] معتقداتها في خلق الإنسان ،

---

(١) أصل الأنواع ، ص٦

يقول داروين :

« من البين أن الصخور إذا تدبر أصل الأنواع وأمعن النظر فيما يقع بين الكائنات العضوية من الخاصيات المتبادلة واستيطانها اقتسام الكائنات بقاع الأرض بحسب كفاءتها وما يحدث في أجنتها من تشابه ثم تعاقب وجودها خلال الأزمنة التي تكونت فيها طبقات الأرض انتهى به البحث إلى أن الأنواع لم تخلق مستقلة منذ بدء التكوين .

وبهذا تتضح قضية الخلق عبر [illegible] بعض العلماء الذي شطح به الفكر بعيداً عن وحي السماء فضلوا و أضلوا .

لذا رأيت من واجبي أن أتناول آراء داروين من خلال رؤية إسلامية لاستكمال القبضة على عنق أصحابها دينياً وعقلياً وعلمياً .

أولاً : علم الحفريات :

إن الاستدلال بعلم الحفريات الذي أسس عليه داروين نظريته علم لا يعتد به في تدعيم تلك النظرية ، لأنه علم في تطور وفق أجهزة البحث العلمي وآلات الحفر والتنقيب مما لم يكن متوفراً خلال القرن التاسع عشر . ومع التقدم العلمي الهائل في مجالات البحث بالأقمار الصناعية ، ومراكز الاستشعار لكل ما يحتويه باطن الأرض . فلا يزعم عالم أو هيئة علمية أنها أكملت التنقيب في جميع طبقات الأرض ، أو أنها استنطقت صخورها ، أو اكتشفت بدء دبيب الحياة على وديانها ، وفي أعماق كهوفها .

يقول الكاتب الإنجليزي هـ . ج . ولز : (١)

« إن الصخور القديمة لا تعكس أي أثر للحياة مطلقاً ، على أننا حين نسمي هذه الصخور (سجلاً) فإن هذا السجل الذي نعنيه هنا لا يحمل أي معنى من

(١) معرض الداروينية . محمد علي يوسف . ص ٤٣ .

معاني التنظيم التي تحملها هذه الكلمة عادة . كل ما نعنيه من كلمة سجل هنا أن الأحياء تعكس آثارها على هذه الصخور فتكون الصخور سجلاً لهذه الآثار ، على أن هذه الصخور ليست منظمة في طبقات الواحدة تلو الأخرى ، بحيث تستقيم قراءتها تباعاً » .

ولقد اختلف علماء الجيولوجيا في عمر الأرض وظهور الحياة عليها اختلافاً كبيراً ، وسوف نشير إلى بعض الافتراضات العلمية التي تتحدث عن عمر كوكب الأرض ، وتضارب الآراء عن نشأة الكون ؛ لندرك عن يقين تهاوي نظرية التطور وسقوطها .

فلقد قسم علماء الجيولوجيا الأزمنة الجيولوجية إلى عدة حقب ، وكل منها تنقسم إلى أدوار، فإذا بدأنا من أقدم الحقب ، أي قبل ظهور الحياة ، وتدرجنا منها إلى زماننا الحاضر ، فإننا نشاهد الحقب التالية : (١)

أ - حقب ما قبل الكامبري ، ومعلوماتنا عنها قليلة ، ولا نجد هنا أثراً لأية حياة . وقد بدأت قبل ١٨٥٠ مليون سنة ، وفق ما تشير إليها حسابات النشاط الإشعاعي .

ب - حقب الحياة الوسطى ، ويقسمها علماء الجيولوجيا إلى صور ثلاثة تصل إلى ١٣٥ مليون سنة .

د - حقب الحياة الحديثة ، وتصل إلى قرابة ٨٠ مليون سنة .

هذا ولقد تضاربت الأقوال عن عمر الإنسان على ظهر الأرض ، فالبعض يرجع ظهوره إلى عدة مئات من ملايين السنين ، والآخرون يرون أن وقع أقدام الإنسان الأول على الأرض يعود إلى عشرات آلاف السنين .

وهذا التضارب والتخبط إنما هو ثمرة من ثمار ابتعاد العلم والعلماء عن رحاب وحي السماء ورسالات الأنبياء .

---

(١) نظرية التطور . دوان ت كيش . ترجمة

فلقد أخبر القرآن الكريم أن خلق السموات والأرض وما فيها من كائنات على وجه الإحاطة والتفصيل أمر استأثر الله بعلمه .

قال تعالى : (١)

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾

فالقوانين العلمية ترتكز على قاعدة المشاهدة والملاحظة والتتبع والاستقراء .

ولقد نفى الحق سبحانه وتعالى عن المخلوقين مشاهدة لحظة خلق السموات والأرض لأنهم لم يخلقوا بعد ، وكذلك لم يشهدوا خلق أنفسهم ، ومن ثم فلا يحق لبعض الباحثين أن يقطع أو يجزم بأمر لم يشاهده ، أو أن يستدل بما توصل إليه من أدلة على سبيل الظن والاحتمال لتدعيم نظريات تزلزل ما أخبرت به الأديان السماوية عن خلق الإنسان

ولقد سأل فرعون موسى عليه السلام سؤال استفسار عن أحوال القرون الأولى فكان جواب رسول الله موسى عليه السلام قاطعاً وواضحاً أن ما يتعلق بالقرون الأولى علمه عند الله . قال تعالى : (٢)

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

ولقد تحدث القرآن كثيراً عن كيفية خلق السموات والأرض . قال تعالى : (٣)

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

---

(١) سورة الكهف : آية ٥١ . (٢) سورة طه : آية ٥١ ، ٥٢ . (٣) سورة فصلت : ٩ - ١٢ .

هذا ومع استئثار الحق سبحانه بالعلم والخلق ، ومع تكرار البيان القرآني حول خلق الكون والإنسان فإن القرآن الكريم يلفت الإنسان إلى السير والنظر في الأرض لاكتشاف آثارها واستطلاع أخبارها . فلقد جاءت الدعوة إلى ذلك في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم .

ومن ذلك قول الله تعالى فيما يتعلق بالخلق : (١)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ومن خلال ما أتاحه الله للإنسان من قدرات ، وبما وفقه إليه من اكتشافات كان الواجب على الفكر الإنساني أن ينطلق من بين ثنايا الوحي السماوي ، وأن يطوع علومه ومعارفه في مسار ما أخبر القرآن الكريم عنه ليتحقق قول الله سبحانه وتعالى : (٢)

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

مما سبق يتضح أن ما استند إليه داروين من علم الحفريات على صدق نظريته لا يصلح دليلاً على زعمه .

---

(١) سورة العنكبوت : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة فصلت : آية ٥٣ .

ثانياً : خلق الإنسان وتطوره :

يزعم داروين أن الإنسان ثمرة من ثمار التطور كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، وهذا الذي ذهب إليه ، وتلقفه منه اليهود وسدنة الإلحاد ضرب من الخلل الفكري الفساد العلمي ينتكس بالإنسان ويحط من قيمته ، ولا يخالجني شك أن اليهود حينما فضحهم القرآن الكريم ، وبين أن بعضهم مسخ إما حسياً أو معنوياً إلى قردة وخنازير .

قال تعالى : (١)

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

وقال تعالى : (٢)

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

فاحتضنوا نظرية التطور ودفعوا بها إلى أروقة البحث العلمي وأذاعوا أمرها في الآفاق لتشاركهم الإنسانية في هذا المسخ الذي أخبر عنه القرآن الكريم .

غير أن الحق سبحانه وتعالى ذكر في القرآن الكريم كيفية خلق آدم عليه السلام هذا الخلق الذي تظهر فيه دلائل القدرة وآيات العظمة ، وسجل هذا في كتاب خميد تكفل الله بحفظه ، ويرتل ويسمع ويقرأ على مسامع الدنيا ليبدد الظنون ، ويمحق الشبهات عن قضية خلق آدم عليه السلام الذي مر بالمراحل التالية:

١ ـ من تراب . قال تعالى : (٣)

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٦٦ . (٢) سورة المائدة : آية ٦٠ .

٢ - من طين :

لقد تحول التراب بعد أن بُلَّ فصار طيناً لازباً يعلق بالأيدي . قال تعالى : (١)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾

٣ - حما مسنون :

جاء في لسان العرب : (٢) « الحمأة والحمأ : الطين الأسود المنتن » .

قال تعالى : (٣)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾

٤ - صلصال كالفخار :

الصلصال من الطين : ما لم يجعل خزفاً فهو الطين اليابس الذي يَصِلُّ من يبسه أي يصوت فهو صلصال إذا لم تمسه النار فإن مسته النار يصير فخاراً (٤)

قال تعالى : (٥)

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ .

٥ - بشراً سوياً :

بعد هذه المراحل السابقة نفخ الله في آدم من روحه فتحول بقدرة الله إلى بشر بالصورة الآدمية التي تتوحد معالمها وتبرز قسماتها منذ آدم عليه السلام ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) سورة المؤمنون : آية ١٢

(٢) لسان العرب - ج ٠ ص ٩٨٦ . ط . دار المعارف .

(٣) سورة الحجر : آية ٢٦ .

(٤) لسان العرب . ص ٢٤٨٦ . دار المعارف .

(٥) سورة الرحمن : آية ١٤

قال تعالى : (١)

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾

وهذه الأطوار التي مر بها خلق آدم عليه السلام تفند وتكذب وتبطل نظرية داروين في النشوء والارتقاء .

خلق حواء :

بعد أن خلق الله آدم عليه السلام بالهيئة والكيفية التي ذكرها القرآن الكريم خلق حواء من ضلعه لتكون جزءاً منه تتقاسم معه الخلافة في الأرض ، وتتحمل معه الأمانة ، وتشاركه العواطف والمشاعر ، ويمتزجان كياناً واحداً ، غير أنهما في جسدين منفصلين ؛ كالشجرة تنبثق أفرعها ، وتتنوع أغصانها ولكن الجذع واحد .

قال تعالى : (٢)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ .

ومن خلال اتصال آدم عليه السلام بحواء بدأ التناسل والتكاثر ، وتفرق أبناؤهما في أرجاء المعمورة [illegible] فيهم البيئة والمناخ ، ووهبهم الله أجساماً وألواناً تتلاءم مع حرارة وبرودة كل قطر ، ومن ثم اختلفت الشعوب وتباينت الأمم وتعددت اللغات . قال تعالى : (٣)

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾

وقال تعالى : (١)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ .

ثم يتحدث القرآن الكريم عن استمرارية الخلق ، وذلك من خلال نمو الجنين في الرحم ، وحتى خروجه للحياة وتقلبه من طور إلى طور عبر رحلة الحياة حتى يلقى الله .

مما ينبيء عن قدرة الله وعظمته وتوحده بالألوهية وتفرده بالعبودية ، ويحسم قضية خلق الإنسان ، وبذلك تتهاوى نظرية داروين عن النشوء والارتقاء .

هذا وكما كان البيان القرآني شافياً وافياً لخلق الإنسان ، فهو أيضاً واضحاً صريحاً في خلق الأجناس التي تشارك الإنسان رحلة الحياة ، فقال تعالى : (٢)

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ، فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وبوجود هذه الكائنات وتعايشها في نظام عجيب وتوازن دقيق مكونة أمماً شتى وممالك متنوعة تسقط دعاوى داروين ومن سار في فلكه عن الانتخاب الطبيعي والتوالد الذاتي والبقاء للأقوى . قال تعالى : (٣)

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

---

(١) سورة الروم : آية ٢٢ .

(٢) سورة النور : آية ٤٥ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ - ٣٩ .

أهداف نظرية داروين وآثارها

لم يدر في خلد داروين أن تنال نظريته هذا الذيوع والانتشار ، وأن تشق في الفكر الإنساني أخدوداً من الإلحاد ، غير أن المناخ السائد في أوروبا عقب الثورة الفرنسية والقضاء على سطوة الكنيسة وطغيان رجالاتها ، حيث هب الموتورون منها والثائرون عليها يجهزون على ما بقي من قدسية واحترام في قلوب رعاياها . وانتهزها اليهود فرصة بمنظماتهم الخفية وأجهزة الصهيونية العالمية التي استحوذت على اقتصاد أوروبا ، ووجهت إعلامها الوجهة التي تحقق أغراض الفكر الشيطاني اليهودي لإفساد الأمم وغواية الشعوب ليتمكنوا من تحقيق حلمهم الكبير في دولة إسرائيل الكبرى التي تجعل من فلسطين قاعدة لها ، ثم تبسط جناح الصهيونية على العالم شرقه وغربه ، ومن ثم فقد عملوا جاهدين لتحقيق الأهداف التالية :

١ - زلزلة العقائد الدينية ، ولا سيما ما يتعلق بالكون والإنسان :

ولقد جاء ذلك على ألسنة علمائهم ، وسطر في التلمود ، ومن خلال بروتوكلات حكماء صهيون ، وكان حصاد هذا الفكر توهين العقيدة في النفوس ، وذرع الشك والإلحاد في العقول ، ودفع الدين بعيداً عن الحياة ، واستقراره على هامش اللاشعور ، فنحي الدين في أوروبا تنحية كاملة ، لم يعد الكنيسة سلطان على رعاياها ، إلا أن يذهبوا إليها يوم الأحد متثاقلين الخطى لسماع قداس لا يفهمون مغزاه وصلوات لا يستشعرون حرارتها . وحاول اليهود نقل عدوى زلزلة العقائد إلى العالم الإسلامي ، ونجحوا في تربية بعض أبناء المسلمين الذين يتبنون الفكر اليهودي ، فأخذوا يرشقون الدين الإسلامي بسهامهم ، أمثال الكاتب المغمور سليمان رشدي في كتابه (آيات شيطانية) ونصر أبو زيد في محاولته النيل من النص القرآني ، وتحكيم حجية السنة ، وقبل هذا كان مصطفى عبد الرازق ، وطه حسين ، ولطفي السيد ، وغيرهم كثيرون ، كان [illegible]

الإسلام عن توجيه المجتمع المسلم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً جوهر الإسلام في دائرة العبادات وبعض جوانب الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ، نحي الإسلام عن قيادة الصراع مع اليهود . هذا ما سعوا إليه ، خططوا له خلال أكثر من قرن من الزمان حتى استكان حكام المسلمين لليهود فأملوا عليهم شروطهم وفرضوا عليهم الصلح الذي يرونه محققاً لأطماعهم . ومازالت المخططات تدبر والمؤامرات تنفذ . العالم الإسلامي تتقاذفه ملاعب السياسة العالمية تقاذف الكرة بين أقدام اللاعبين ، وتحتويه الأنظمة الاقتصادية الربوية . كما تحتوي الأفعى ضحيتها ، هذا فضلاً عن الغزو الثقافي من خلال أجهزة الإعلام .

ولقد أشرنا إلى ذلك في بحثنا بعنوان : [1] (أخطار الغزو الإعلامي المباشر وطرق مقاومته) .

ولقد أصابت نظرية التطور الكنيسة في مقتل حيث إن النصرانية مع تحريفها كانت تعتقد أن الله عز وجل خلق آدم وحواء ، فحينما جاء داروين وقرر أن الإنسان لم يخلق خلقاً مباشراً ، فتزعزع الإيمان بآدم وحواء ، لم يعد هناك مدلول للجنة ـ الشجرة ـ الخطيئة (حسب اعتقاد النصارى بأن المسيح قد صلب ليخلص البشرية من أغلال الخطيئة التي توارثتها البشرية ، وظلت تعلق بها وترزح تحتها من لدن آدم حتى صلب عيسى عليه السلام في زعمهم) .

٢ ـ إن هذه النظرية تقرر حيوانية الإنسان وماديته ، وأنه تطور من خلال الانتخاب الطبيعي والتوالد الذاتي في سلسلة حيوانية متتابعة حتى وصلت إلى الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان .

ومعنى هذا أن الظروف المحيطة بالإنسان هي التي أثرت في تطوره وساعدت على ارتقائه ، وحينما يكون الإنسان امتداداً لسلسلة التطور الحيواني فلا مقاييس

---

(١) بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين بالزقازيق عام ١٩٩٥ م .

الخطأ والصواب في سلوكه ، ولا توجد موازنة بين الحسن والقبيح ، ولا تعادل بين الإيمان والكفر ، فتنطلق النفس الإنسانية تجمح وراء شهواتها لا يردعها دين ولا يمنعها خلق تحت دعاوى الحرية الشخصية والتحرر من القيود الرجعية ، يغذي هذا كله فن ساقط وأدب رخيص ، وإعلام ينشر العهر ويتبنى الانحراف من خلال الأفلام والمسلسلات التي تبرز الجانب الحيواني في الإنسان ، وصدق الله العظيم حينما ذكر في القرآن الكريم قوله تعالى : (١)

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : (٢)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ .

٣ ـ نفي فكرة الغاية والقصد من خلق الإنسان :

جاءت الأديان السماوية من لدن آدم عليه السلام ، وحتى خاتم النبيين محمد ﷺ تحدد الهدف من خلق الإنسان ، تحدد القصد من حياته . قال تعالى : (٣)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

فلما جاء داروين في ساحة الفكر الأوربي يعلن : « أن الإنسان وليد جرثومة تعاقب عليها خط التطور ، وأن عوامل الطبيعة لها القدرة على الخلق والفناء ، فتقلص الإيمان بالله ، لم يعد يرى بخلد الإنسان الهدف من حياته والغاية من وجوده فانطلق وراء شهواته يحصلها بأي ثمن ، وينالها بأي أسلوب ، وغدا

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٧٩ .

(٢) سورة محمد : آية ١٢ .

(٣) سورة الذاريات : آيات ٥٦ ـ ٥٨ .

الانغماس في مظاهر الترف والفسق سمة من سمات هذا العصر حتى فسدت فطرة الإنسان ، واستبد به شعور باليأس والقنوط والضياع ، وظهرت أجيال حائرة مضطربة ذات خواء روحي ، فانتشرت موجات الانتحار الفردي والجماعي ، وتكونت جماعات الهيبز ، وممالك العراة ، والشذوذ الجنسي ، وسن لهذا الانحراف القوانين ، عقدت له المؤتمرات ، رصدت له المبالغ الطائلة ، ووجهت أجهزة الإعلام للدعوة إلى إهمال الغاية من خلق الإنسان ، فتاهت الرؤية بين بني الإنسان ، وانحصر عقله وبصره إلى شهوتي البطن والفرج . لأن داروين قد جعل بينه وبين الحيوان نسباً . وصدق الله العظيم : (١)

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

٤ ـ إهمال البحث فيما يتعلق باليوم الآخر :

إن الإيمان باليوم الآخر أساس كل دين ، وركيزة كل ملة ، وهو الفيصل بين الإنسان والحيوان ، وإليه تتجه آمال المومنين لتحقيق ما افتقدوه في الحياة الدنيا ، ثم هو يسمو بالإنسان ويحلق به إلى سعادة أبدية ، نعيم دائم ، ومن ثم فهو يمضي في حياته لا يلتفت إليها ، ولا يأخذ منها إلا بقدر تزوده إلى الدار الآخرة .

ولقد كان من الآثار التي تمخضت عنها تلك النظرية المشئومة وغيرها من النظريات الإلحادية أن انصرف العلماء عن البحث فيما يتعلق بالحياة الآخرة من بعث وحشر وثواب وعقاب وجنة ونار بحجة أنها لا تهم البحث العلمي ولا تقع في دائرة عمله ، وليس هناك فائدة مرجوة من ضياع الوقت في التفكير فيها ، أو انشغال العقل بها . وحينما يستعرض الباحث ساعات البث المسموع والمرئي فلا يجد مساحة تذكر عن اليوم الآخر وما يتعلق به ، بل وصل الأمر ببعض الكتاب إلى التندر بعذاب القبر وما يتعلق بالبعث والنشور .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

د ـ عبادة الطبيعة :

لفتت النظرية الأنظار إلى أن الطبيعة هي الخالقة والمبدعة ، وكما سبق أن ذكرنا قول داروين : « إن الطبيعة تخلق كل شيء ، ولا حد لقدرتها على الخلق » .

ومن ثم اتجه العلماء نحو الطبيعة يقدسونها ويتغنون بجمالها ، ومحاكاتها من خلال الفنون المختلفة كالتصوير والنحت والغناء ، وغدت الطبيعة مصدر إلهام الشعراء والأدباء ، حتى أصبح أمراً مألوفاً أن تباع لوحة بعدة ملايين من الدولارات .

وكان من جراء هذا الفكر أيضاً أن أصبح الكثير من العلماء يعتقدون بالصدفة فيما يتعلق بهذا الكون والدقة المبدعة فيه ، وحلت كلمة (صدفة) محل القضاء والقدر ، ومن ثم انتشر الإلحاد في أوروبا ، وكذلك السخرية في كل ما يتعلق بالدين وقضاياه ، ولم يكن العالم الإسلامي بمأمن من هذا الانحراف العقائدي ، فقد غدا العالم قرية صغيرة تخضع للبث الإعلامي المباشر وغير المباشر عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية .

٦ ـ إن فكرة التطور أوحت بحيوانية الإنسان وماديته ، لقد انتقلت هذه الفكرة لتكوين فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء تطوراً لا غاية له ولا حدود ، وانعكس ذلك على : الدين ـ الأخلاق ـ التقاليد .

وسار اعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خلق لا بد له أن يتطور وفق ظروف الحياة ونمط السلوك ، يقول برتراند راسل :

« ليس ثمت كمال ثابت ، ولا حكمة لا تقوم بعدها ، وأي اعتقاد نعتقده ليس بباق مدى الدهر ، ولو تخيلنا أنه يحتوي على الحق الأبدي ، فإن المستقبل كفيل أن يضحك منا » .

ولقد استمد ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان ، وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على الغذاء ـ السكن ـ الجنس ، مهملاً جوانب الحياة الأخرى .

كذلك أوحت تلك النظرية إلى فرويد تفسير السلوك الإنساني بدوافع الجنس ، فالإنسان عنده حيوان جنسي لا يملك إلا الانطباع لرغبات الغريزة الجنسية ، وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب كما يتضح بعد ذلك إن شاء الله .

كما استمد دركايم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته ، وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي أو لغة القطيع .

وهكذا كانت نظرية داروين هي الأساس الذي انبثقت منه نظريات أخرى تواكبها في الفكر وتتفق معها في الإلحاد .

٧ ـ الاتجاه نحو الاستعمار :

إن الاستخلاف في الأرض ، وإقامة موازين الحق والعدل ، وتحقق الأمن والأمان بين الأمم والشعوب أمر متوقف على تحقق الصلاح ، صلاح العقيدة ـ صلاح الخلق ـ صلاح المعاملات .

قال تعالى : (١)

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ .

وهذا الصلاح لابد وأن يرتبط بالإصلاح وفق سنن الفطرة .

قال تعالى : (٢)

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

فلما جاء داروين بنظرية التطور التي ترتكز على قانون الانتخاب الطبيعي الذي يقول : إن الطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة حيث يكون البقاء للأقوى .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٢) سورة هود : آية ١١٧ .

ومن ثم اتجهت أوروبا إلى استعمار الشعوب ونهب مواردها تحت قانون البقاء للأقوى ، تحولت ساحة الكرة الأرضية بين الدول الكبرى للتنافس والتصارع على الاستعمار ، وعبر هذا المبدأ ـ البقاء للأقوى ـ ضاعت فلسطين ، واحتلت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، وهاهي ذي أوروبا وأمريكا والأمم المتحدة تتحالف على مسلمي دول البلقان حيث تقام المذابح التي يشيب من هولها الولدان في البوسنة والهرسك ، والعالم الإسلامي معصوب الأعين ، مكتوف الأيدي ، مغلول الحركة ، سوى لسان يشجب في استحياء ، ويندد في ضعف ، وشعوب حمقى ترقص طرباً لهدف في مباريات رياضية ، أو تدفع دفعاً لإظهار مشاعر الفرح والسرور لميلاد هذا أو نجاة ذاك ، بينما المسلمون تتدفق دماؤهم ، وتبقر بطونهم ، وتغتصب نساؤهم تحت مظلة البقاء للأقوى كما قال داروين ، ليس البقاء للأصلح كما أخبر القرآن الكريم .

دور اليهود في نشر هذه النظرية :

لم يكن داروين يهودياً بل كان نصرانياً كمعظم النصارى الذين يحتل الدين هامشاً غير ذي تأثير في أفكارهم ، غير أن اليهود وجدوا فيه ضالتهم المنشودة لتحطيم القيم لدي غير اليهود كما تقول إحدى البروتوكلات :

« لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا أن نجاح داروين وماركس قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلم في الفكر الأممي سيكون واضحاً على التأكيد » (١)

فحينما قامت الثورة الفرنسية كما سبق أن ذكرنا من زلزلة الإقطاع والكنيسة فأمسك اليهود بخيوط هذه الحركة وعبر شعاراتها : الحرية ـ الإخاء ـ المساواة .

حركوا أصابعهم التآمرية في كل اتجاه سياسياً واقتصادياً وفكرياً .

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان (المذاهب المعاصرة)

وكان فكر داروين الجواد الجامح الذي امتطاه اليهود للسيطرة على الشعوب بدعوى التطور والتقدم ومسايرة العصر ، ومن ناقش في ذلك فهو : الرجعي - المتزمت - الجامد - المتأخر - الذي يريد أن يرجع عقارب الساعة إلى الوراء ، ومن يحاول إرجاعها ستسحقه عملية التطور .

ولقد أصبغ اليهود على داروين صفات التقديس وعبارات الثناء ، وخلعوا عليه الألقاب العلمية ، ووصف بأنه قاهر الطبيعة ، واعتبر من أعظم محرري الفكر البشري .

وهذا شأن اليهود في استمالة الساسة والأدباء والعلماء ، وكل من يُشتَمُّ منه بطريق مباشر أو غير مباشر خدمة أغراضهم ، حيث يمنح الجوائز ، كجائزة نوبل أو الدكتوراه الفخرية ، أو الأوسمة والنياشين ، هم في سبيل تحقيق أغراضهم لن يتورعوا عن أي إثم ، ويتحالفون مع كل فكر .

أسباب انتشارها في العالم الإسلامي :

لقد امتدت ذراع أوروبا لتلتف حول عنق العالم الإسلامي عبر صراعها الدامي لمقاومة المد الإسلامي . وحينما اصطدمت اليهودية الماكرة ، والصليبية الحاقدة بعقيدة الإسلام لم ينالوا منها ، بل تكسرت رماحهم ، واندقت أعناقهم تحت سنابك خيل المسلمين ، ثم تداولت الأيام ، وتمكن اليهود والنصارى من النيل من المسلمين واحتلال أوطانهم ونهب ثرواتهم . غير أن العقيدة الإسلامية ظلت بين حنايا القلوب ونسيج العقول ما تكاد ترى من يوجهها ، ويولي وجهته إليها إلا وتنطلق من عقالها وتحرر من قيدها ، وتقلب موازين القوى العالمية رأساً على عقب .

حدث هذا في ثورة المليون شهيد بالجزائر ، حرب المجاهدين في أفغانستان ، وكذلك حركات الجهاد التي قادها عمر المختار ، وعبد القادر الجزائري .

وما أشبه اليقظة والصحوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين

[illegible] ترتيب الأوضاع العالمية في حركة التقاف حول الإسلام ، وتطويق له من أعدائه وبعض أبنائه .

وعلى الرغم من أن جسد الإسلام مثخن بالجراح فإنه ما يلبس أن يهب واقفاً ، وقد التأم جرحه بسرعة تلفت الأنظار ، ومن ثم فإن اليهود حينما أرادوا تمزيق وحدة المسلمين وإقامة وطن لهم في فلسطين فعمدوا إلى هدم الإسلام بما هدمت به الكنيسة في أوروبا من خلال النظريات العلمية ، وعلى رأسها نظرية التطور ، وعملوا بواسطة عملائهم على نشرها في مناهج التعليم لتخرج جيلاً يؤمن بالتطور وبالثورة تحت شعارات الماسونية العالمية بأجهزتها المعلنة والخفية .

وهكذا كانت نظرية التطور هي الشرارة الأولى التي انطلق اليهود منها لتحطيم الفكر الإنساني وزلزلة عقائده وهدم أخلاقه .

مذاهب التحليل النفسي

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وأودع بين جوانب جسده أسرار الخلق وعظمة التكوين ، ودقة الإبداع ودلائل الإعجاز ، فهو لمسة ربانية ، ومنحة إلهية صنعتها يد الخالق القادر سبحانه وتعالى من جسم ونفس وروح .

هذا الإنسان أعيت حقيقته الفصحاء ، وتحير أمام كنهه العلماء وعجز عن كيفية تكوينه الحكماء ، وقد تعرض للبحث والتحليل لسبر أغوار نفسه ، وكشف أسرار روحه ، كما أجهد العلماء عقولهم ، وبذلوا طاقاتهم للتعرف علي عواطف الإنسان وانفعالاته ورغباته ، كما أوغلوا وراء سراب البحث عن حقيقة النفس والروح ، وتعلقهما بالبدن والروح أثناء الحياة وبعد الممات ، ولقد كان منطق العقل والعلم والحكمة يوجب أن لا يتجاوز العلماء في الكشف عن حقيقة الإنسان حدود وحي السماء ورسالات الأنبياء ، وهذا ما فهمه المسلمون من أول ما نزل القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى (١)

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

فلقد بدأ توجيه العقل البشري والفكر الإنساني قراءة وكتابة إلى أن يستلهم فكره عن الكون والإنسان من وحي الله المنزل على رسوله ﷺ (٢)

« وأن مصدر التعليم هو الله ، منه يستمد الإنسان كل ما علم ، وكل عالم يعلم وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ، ومن أسرار هذه الحياة ، ومن أسرار نفسه ، فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه .....

---

(١) سورة العلق . آية ١ ـ ٥ .

(٢) في ظلال القرآن / ج ٣ ص ٢٠٢٠ للشهيد سيد قطب . الطبعة الأولى .

فالله هو الذي خلق ، وهو الذي علم ، فمنه البدء والنشأة ، ومنه التعليم والمعرفة ، والإنسان يتعلم ما يتعلم ، ويعلم ما يعلم ، فمصدر هذا كله هو الذي خلق ، والذي علم ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

ولقد انحرف الفكر الإنساني عن الطريق المستقيم ، وذلك بعد حينما تمكنت النصرانية المحرفة واليهودية الحاقدة الماكرة من توجيه مسار الفكر البشري إلى أخدود المادية يساندهما في ذلك دعاة العلمانية ورواد الإلحاد الذين ارتدوا أقنعة العلم ، والتحفوا بأردية البحث ، حيث فرضوا على العقل البشري في ميدان النفس والأخلاق والسلوك الاجتماعي نظريات ومذاهب تتنافى والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، وتتعارض تعارضاً جوهرياً مع ما قرره وحي السماء ، وشرعته رسالات الإنبياء .

فقد ظهرت مذاهب تفصل بين الأخلاق والسلوك ، وتباعد بين الدين والمجتمع ، كما تقوم هذه المذاهب على إعلاء غريزة الجنس ، واعتبارها المصدر الأساسي لكل التصرفات ، كما تدعو إلى إطلاق الحرية الجنسية دون ضوابط أو روابط ، وعقدت لذلك المؤتمرات العالمية التي ساندتها الدول ، ورصدت لها الأموال الطائلة ، وسنت القوانين والتشريعات التي تصون هذا العبث الفكري وتحميه . ولم تكن الدول الإسلامية بمنأى من هذه المدارس والمذاهب ، فقد دُفعت إلى هذا دفعاً حثيثاً منذ أن وطئت أقدام أوروبا العالم الإسلامي تحت أجنحة الاحتلال العسكري ثم الغزو الفكري ، ثم الاحتكار الاقتصادي ، حيث تعثرت الخطوات ، وتاهت الرؤية أمام الأمة الإسلامية ، فلم تعد تشعر بما تحت يدها من خير الأرض والسماء ، بل أعرضت عنه ، وأصبح الارتباط بهذا الخير ارتباط عادة لا عبادة ، وكلمات لا أفعال ، وشعارات لا سلوك ، واتجهت صوب أوروبا الملحدة بمدارسها النفسية والسياسية والاقتصادية المنحرفة ، فشربت من الكأس حتى الثمالة ، فقدت الوعي بل غدت تسابق أوروبا بالإغراق في المادية والنزعات الشهوانية .

حتى إن [illegible] العربية والإسلامية استضافت مؤتمراً للتنمية والسكان عام ١٩٩٤ رغم اعتراضات الأزهر ، والمنظمات الإسلامية حتى الفاتيكان عليه .

لذلك رأيت أن أعرض في إيجاز لبعض مدارس التحليل النفسي ، ولا سيما التي انحرفت بالفطرة الإنسانية ، كمذهب فرويد في علم النفس ، وأميل دور كايم في علم الاجتماع ، وغيرهما ، كما نبرز أثر هذه الأفكار على السلوك من خلال ما تقوم به دور التعليم ، وتبثه أجهزة الإعلام .

وقبل أن نعرض لذلك نقدم تعريف القرآن الكريم ولغته لكل من : الجسد - الروح - النفس . ثم نذكر آراء العلماء ، وأقوال الحكماء :

١ - تعريف الجسد : (١)

الجسد : جسم الإنسان ، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض ، والجسد : البدن ، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد ، وما ورد من القرآن الكريم يؤكد ما أشار إليه التعريف اللغوي .

قال تعالى : (٢)

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ﴾ .

[illegible] / الأعراف .

أي : جامداً لا حركة له .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ .

آية ٨ / الأنبياء .

والمعنى : وما جعلناهم أجساداً جامدة لا تأكل ولا تشرب ، بل أناساً يتغذون .

---

(١) لسان العرب . ص ٦٢٦ . ط . دار المعارف .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية ص ١٩٣ ج ١ .

وأيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ .
آية / ٢٤ ص .

أي : القينا على كرسيه جسداً لا حراك له .

فالجسم في الإنسان عبارة عن الهيكل المكسو لحماً ، وشحماً ، ودماً ، وأجهزة وأعصاباً ، وعروقاً ، يرى بالعين المجردة ، أو بوسائل العلم الحديث الذي ينبيء كل يوم عما يحتويه جسد الإنسان وغيره من الكائنات على أسرار تدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى .

٢ ـ تعريف الروح : (١)

الروح ـ بضم الراء ـ ما به حياة الأجسام ، وقد يضاف إلى الله الملك والتشريف .

والروح يطلق على كل أمر خفي لطيف كالوحي ، وأمر النبوة ، وهو ما به حياة النفوس وهداها ، والروح القدس يطلق على جبريل .

هذا ، ولقد ورد لفظ روح في القرآن على سبعة أوجه . (٢)

والذي يعنينا ما يتعلق بروح الإنسان ، وهو النفس (٣) ، الذي يتنفسه الإنسان وهو جار في جميع البدن ، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه ، فإذا تتام خروجه بقي بصره شاخصاً نحوه حتى يغمض » .

وحقيقة الروح أمر اختص الله به ، واستأثر بعلمه ، وجعله سراً من أسرار الحياة ، ليس لأحد من الخلق إدراك كنهه أو البحث عن حقيقته ، وإنما تعرف بآثارها . قال الله تعالى : (٤)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم / ج ١ ص ٥٠٤ .
(٢) يراجع : كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي / ج ٣ ص ١٠٦
(٣) لسان العرب ص [illegible] مادة : نفس .
(٤) سورة الإسراء / آية ٨٥ .

ولما جهود الفلاسفة والحكماء في مضمار الروح عبر تاريخ الإنسانية فهي لا تعدو أن تكون محاولات لبيان تعلقها بالبدن أو التعرف على نشاطها بالجسم أو التفرقة بين الروح والنفس ، وهل هما شيء واحد ، أم مختلفان ؟ وكذلك التمييز بين روح الإنسان ، وروح الكائنات الأخرى النامية سواء الحيوان والنبات.

هذا ولقد كان الفكر الإسلامي الصحيح المنضبط بقواعد القرآن والسنة ، وما تحمله اللغة العربية من معاني الروح صافياً وواعياً وحصيفاً ، فلم ينحرف في بيداء البحث السوفسطائي حول الروح ، ولم يغرق عقله في بحار علم الروح ، وهو علم لا ساحل له ، ولا يعلمه إلا الله كما أخبر القرآن الكريم ، ولكن اتجه هذا الفكر العظيم الرائد إلى بيان ما تحيا به الأرواح من خلال إيمانها بالله ورسله ، وما تموت به بسبب الكفر والإلحاد .

قال ابن الأثير : (١)

« لقد تكرر ذكر الروح في القرآن ، كما تكرر في الحديث على معان ، والغالب فيها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد ، وتكون به الحياة ، وقد أطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل » .

أما عن تعلق الروح بالبدن فيتحدث عن ذلك ابن القيم رحمه الله فيقول : (٢)

تعلق الروح بالبدن :

« إن الأرواح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :

الأول : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

---

(١) لسان العرب / ص ١٧٦٨ .

(٢) الروح لابن القيم / ص ٥٧ الطبي .

الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ، ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه لم تفارقه فراقاً كلياً » .

أما عن الفرق بين روح الإنسان والحيوان : [1]

« فالكائن البشري فيه روح حيوانية ، وروح بشرية ، أما الروح الحيوانية فهي كالتي يتمتع بها الحيوان ، بل تشبه النامية النباتية في النبات ، ويتم بكل الروح الحيوانية والنامية والنباتية توالد الخلايا وتكاثرها والأعمال الغريزية ووظائف الحواس دون أن تهب جسم النبات أو الحيوان الإدراك الشامل أو البصيرة النافذة أو العقل المدبر .

أما الروح البشرية التي يتميز بها الإنسان على النبات والحيوان فهي التي يشرق فيها نور البصيرة ، فيتم الإدراك ، ويسيطر العقل ، وتتصرف الإرادة ، ويستقيم المنطق مما حرم منه الحيوان على الرغم من تمتعه بالحياة الحيوانية والتصرفات الغريزية .

إذا تبين هذا عرف الفرق بين الروح الحيوانية التي تتكون تدريجياً بتكاثر الخلايا الحية في جسم الإنسان والحيوان على السواء ، وبين الروح البشرية التي تنفخ في الجنين بنهاية المائة والعشرين يوماً كما أخبر الحديث الشريف ، وبها يمتاز الإنسان صراحة على النبات والحيوان » .

مما سبق يتضح أن إدراك حقيقة الروح ليس في مقدور العقل البشري ولا تدخل في نطاق البحث العلمي ، ومن أراد التزود في هذا المضمار فليرجع إلى كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي / كتاب « شرح عجائب القلب » ، والفتاوي لابن تيمية / المجلد التاسع ، وكتاب الروح لابن القيم ، وغيرهم من القدامى والمعاصرين الذين ينبع فكرهم من وحي الكتاب والسنة .

---

(١) د. حسن الشرقاوي / مجلة الوعي الإسلامي / عدد ٦٤ ص ٤٩ / ١٣٩٠ هـ .

٣ ـ تعريف النفس : (١)

النفس تجمع على أنفس ، وتجيء المعاني التالية :

أ ـ النفس : ذات الشيء وحقيقته ، وترادف في هذا المعنى ذاته ، تقول : « لا تعتد على نفس أخيك » أي : على ذاته .

ب ـ النَّفْس : الروح التي بها الحياة ، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت ، وهي باقية ما بقي في الحي نفس ، تقول : « خرجت نفس المحتضر » فهي على هذا المعنى ترادف الروح .

جـ ـ النفس : معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر ، تقول : « أمرتني نفسي ، وسولت لي نفسي » .

النفس : معنى في الإنسان به التمييز والإدراك والإحساس لما يحيط به ، وهذ المعنى يفارقه في النوم ، وحيث يغيب وعيه .

مما سبق من التعريف اللغوي يتضح أن مفهوم النفس : (٢)

« هي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإرادة ، وهي مجردة عن المادة قائمة بنفسها ، غير متميزة ، مشتبكة بالبَدَن اشتباك الماء بالعود الأخضر ، ومتعلقة به للتدبير والتحريك .

فالنفس هي الحقيقة الذاتية المفيضة على الجسم الإنساني ومماغه وأعصابه وحواسه قوى الحياة من النشوء والنمو والتطور ، والقائمة بتدبير نظام البدن بالتركيب والتحليل » .

والنفس كالروح سر من أسرار الخلق ، وآية معجزة من معجزات الخالق سبحانه وتعالى ، ولقد حظيت باهتمام الفلاسفة القدماء ، وتحليلات العلماء المعاصرين ، حيث برزت على ساحة البحث العلمي مذاهب التحليل النفسي التي

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم / ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٢) أضواء على النفس البشرية / د . عبد العزيز جادو ص ٢٨ .

يقود زمام البحث فيها اليهود والنصارى ومن دار في فلكهم الذين انطلقوا بالنفس إلى الاتجاهات الشهوانية ، وإشباع الرغبات الجسدية » .

لذا رأيت قبل أن أعرض لهذه الدراسات النفسية المعاصرة بيان مفهوم النفس لدى قدماء المصريين ، وعند فلاسفة اليونان ، ثم علماء الإسلام .

أولاً : قدماء المصريين :

إن النفس وخلودها لدى قدماء المصريين تشكل ركناً أساسياً في عقائدهم ، فقد آمنوا بالنفس وخلودها ، وأن الجسم وعاء لها .

ولقد كان اعتقادهم بعودة الروح بعد الوفاة ، وما ترتب على ذلك من طقوس وعبادات وفن التحنيط وبناء المعابد والأهرامات ينبيء عن معتقداتهم في الروح والنفس وأنهما لا يفنيان بفناء الجسد ، بل يحيان حياة أخرى ، وكانوا لا يرون في الموت إلا تبديل الحياة بحياة أخرى مخلدة ، ولقد نطقت آثار الفراعنة من خلال معابدهم وسراديبهم تحت الأرض ، وما سطر على أوراق البردي بالعديد من الوصايا الخلقية والفضائل النفسية مما يعبر عن خلود الروح والنفس خلوداً سعيداً أو شقياً .

ثانياً : النفس لدى فلاسفة اليونان :

سبق أن أوضحنا في الباب الأول من هذا الكتاب دور أثينا وأسبرطة في الحضارة اليونانية القديمة ، وقدمنا تعريفاً موجزاً بفلاسفتها ، غير أننا في هذا المبحث نقدم آراءهم في النفس الإنسانية :

١ - تعريف سقراط للنفس : (١)

• النفس جوهر أو كائن روحي له خصائصه الذاتية ، وأنه إذا أهمل غشيته طبقة من صدأ الجهل ، والآراء الفاسدة ، فيفقد طبيعته ، غير أنه يمكن إزالة الصدأ ، ومحو غياهب الجهل إذا عاد المرء إلى التأمل والتفكر في نفسه ، وعندئذ تتكشف له الحقيقة ، لذا اتخذ سقراط شعار :

« اعرف نفسك بنفسك »

وبنى عليه فلسفته ، واعتقد أن السعادة الإنسانية تكمن في أن يعرف الإنسان نفسه ، ويكتشف جوهرها ، ويدرك حقيقتها .

٢ - أرسطو يقول : (٢)

• إن الإنسان ككل الموجودات مركب من مادة وصورة . فالجسم هو المادة ، والنفس عنده هي الصورة التي يتشكل بها الجسم ويحيا ، وهي لا تنفصل عن الجسم ، لأنها قوته الفعالة ، ويقسم النفس إلى ثلاثة أنواع :

أ - نفس نباتية : وهي مادة الحياة .

ب - نفس إحساسية وما يتعلق بها من إدراك وتذكر وتخيل وشهوات وميول غريزية ، وتكون مشتركة بين الحيوان والإنسان .

جـ - نفس مفكِّرة عاقلة : وهي خاصة بالإنسان ومصدر الأفعال العقلية .

٣ - النفس عند أفلاطون :

• جوهر روحي مستقل عن الجسم ، وأن الجسم ليس سوى أداة تستخدمها النفس أو الروح ، وأن النفس وسط بين عالمين : عالم علوي ، وعالم سفلي ، عالم المثل ، وعالم الحس ، ويقسمها إلى ثلاث قوى :

---

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية / د . محمود قاسم . ص ٦ .

(٢) أضواء على النفس البشرية / د . عبد العزيز جاد . ص ٣٦ .

أ ـ قوة شريرة منحطة ، وهي ما يسمى باسم القوة الشهوية أو البهيمية التي تصدر من الإحساسات ، والتي يسودها عنصر اللذة والألم ، وهذه القوة محلها البطن .

ب ـ قوة الكبرياء أو توكيد النفس أو السيطرة ومحاولة السيادة على الآخرين ، وهي ما يسمى باسم القوة الغضبية أو السَّبُعية ، وهذه القوة مقرها القلب .

جـ ـ قوة مرتبة في خدمة قوة عليا أعلى من هذه القوى الثلاث ، وهي مصدر العلم ، وهذه القوة العاقلة مقرها الدماغ » .

٤ ـ تعريف النفس لدى علماء الإسلام :

لقد كان لترجمة الفلسفة الإغريقية في عصر الدولة العباسية أثر بارز لدى بعض مفكري المسلمين أمثال : الكندي ـ الفارابي ـ أبو حيان التوحيدي وابن سينا وابن رشد وغيرهم الذين حذوا حذو فلاسفة اليونان في تعريف النفس ، وقد حاول البعض منهم التوفيق بين ما يعتقده حكماء الإغريق عن النفس ، وبين ما جاء في القرآن الكريم عن النفس والروح والعقل والقلب .

وسوف نشير في إيجاز إلى تعريف النفس لدى بعض علماء الإسلام لنوجه عنان البحث بعد ذلك إلى مذاهب التحليل النفسي المعاصر التي أفسدت فطرة الإنسان ، واتجهت بالنفس نحو إشباع غريزة الجنس فقط .

١ ـ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفي ٢٥٥ هـ : (١)

يرى الكندي أن الإنسان مكون من بدن ونفس ، وأن النفس هي الإنسان على الحقيقة ، أما البدن فهو آلة لها وخادم ، والنفس الإنسانية جوهر روحاني بسيط غير فان ولا دائر ، وهي تخالف الجسم وتباينه مباينة كلية ، وذلك لشرف طباعها ، ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات .

---

(١) الفلسفة الإسلامية / أ . د عرض الله حجازي ، أ . د / محمد السيد نعيم / ص ٢٠٨ .

فالنفس جوهر لطيف شريف يفعل في البدن دون أن يداخله مداخلة جسمية ، فإن الروح ليس جسماً ، وهي وإن كانت في البدن على نحو ما فإنها تقدر على أن تتجاوز حدوده إذا ما تجردت على علائق الشهوة والغضب وتفرغت للنظر والبحث حيث يسري فيها النور الإلهي ، فتعلم الحقائق والأسرار وتراها بنور الله .

والنفس بطبيعتها علامة يقظانة حية تحيط علماً بجميع الأشياء المعلومة حسية كانت أو عقلية ، وهي في هذا العالم عابرة سبيل إلي العالم الشريف الأعلى ، فإذا ما فارقت البدن انتقلت إلي عالم الربوبية مسكن الأنفس العقلية خلف السموات حيث العالم الإلهي والنور الإلهي ، وحيث العلم الشامل واللذة العليا .

٢ ـ أبو نصر محمد الفارابي : ٢٥٩ ـ ٣٣٩ هـ :

يرى أن الإنسان مؤلف من عنصرين أو جوهرين : أحدهما من عالم الخلق ، والآخر من عالم الأمر ، حيث يقول : (١)

« أنت مركب من جوهرين : أحدهما مشكل مصور مكيف مقدر متحرك وساكن متميز ومنقسم .

الثاني : مباين للأول في الصفات غير مشارك في حقيقة الذات يناله العقل ، ويعرض عنه الوهم ، فقد جمعت من عالم الخلق ومن عالم الأمر لأن روحك من أمر ربك ، وبدنك من خلق ربك »

ويقسم الفارابي النفس ووظائفها إلى أربعة أقسام :

أ ـ النفس الغانية : وهي القوة التي بها يتغذى الإنسان وينمو .

ب ـ النفس الحاسة : وهي القوة التي يدرك بها المحسوسات من الملموسات والمبصرات والمذوقات والمشمومات والمسموعات .

---

(١) الثمرة الرطبة للفارابي / ص ٧١ .

(٢) الفلسفة الإسلامية ، وصلاتها بالفلسفة اليونانية :

أ . د . عوض الله حجازي ، أ . د . محمد نعيم ص ٢٢٦ .

جـ - النفس الناطقة : وهي القوة التي يمكن أن يفعل الإنسان المعقولات ويميز بها بين الأشياء ، ويحكم عليها ، كما تدرك الأمور الكلية » .

٣ - رأي أبو حيان التوحيدي : ٣١٠ - ٤١٤ هـ :

يفرق أبو حيان بين النفس والروح فيقول : (١)

« إن الإنسان ليس إنساناً بالروح ، بل النفس ، ولو كان إنساناً بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق بأن كان له روح ، ولكن لا نفس له ، فليس كل ذي روح ذا نفس ، ولكن كل ذي نفس ذو روح » .

٤ - رأي ابن مسكويه في النفس :

لا يفرق ابن مسكويه بين النفس والعقل فإنه يراهما واحداً ، ويري أن الحس إذا أخطأ بادرت النفس بتصحيح هذا الخطأ ، فالنفس جوهر ليس بجسم ، وأنه شيء آخر مفارق للجسم ، وهذا هو العقل .

بل نراه يقسم النفس تقسيم فلاسفة اليونان ، فيذكر في كتابه تهذيب الأخلاق :

« أن قوى النفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام : (٢)

١ - قوة ناطقة : وتسمى الملكية ، وآلتها الدماغ .

٢ - قوة غضبية : وتسمى السبُعية ، وآلتها القلب .

٣ - القوة الشهوية : وهي التي تسمى بالبهيمية التي يستعملها من البدن الكبد

على هذا النهج في تعريف النفس سار ابن سينا ، وابن رشد ، وابن مسكويه على درب فلاسفة اليونان في تعريف النفس الإنسانية ودرجاتها ، وكانت المحصلة لهذا الفكر اختلافاً وتضارباً في أمر النفس وحقيقتها ، وما ازدادوا من معرفتها إلا بعداً ، وما حصدوا من الاقتراب منها إلا اضطراباً .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي / تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين . ص ١١٣ .
(٢) فلسفة الأخلاق في الإسلام / د . محمد يوسف موسى ص ٨٤

غير أن ساحة الفكر الإسلامي عبر تاريخه المتألق شهدت علماء ومفكرين تجنبوا الفكر اليوناني ، واتجهوا إلى ما جاء في القرآن الكريم ، وما روته السنة عن النفس والروح ، أمثال حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والعلامة ابن القيم ، ومن سار على نهجهم من المدرسة السلفية ، ومن دار في فلكهم الذين ألقوا الضوء على النفس الإنسانية ورغباتها من خلال وحي السماء ورسالات الأنبياء مما ليس مجال بحثنا .

غير أننا نفرغ من هذا العرض الموجز إلى أن اهتمام الفلاسفة والحكماء من خلال معتقدات الفراعنة وحكمة الإغريق ، وعبر تاريخ الحضارة الإسلامية الرائدة حيث لم يغمض الجميع سمو النفس وارتقاءها ، ولم يغضوا الطرف عن خلودها ، كما أبرزت الآراء حول النفس أن سعادتها تكمن في الارتقاء بها عن رغبات الجسد ودوافع الشهوة ، وهذا ما نأت عنه بعض مذاهب التحليل النفسي المعاصرة التي جعلت من الجنس عقيدة تسيطر على الإنسان ، وأن في كبح جماحه العقد النفسية والاضطرابات العصبية ، وأن لا مخرج من هذا إلا بإطلاق غريزة الجنس دون روابط الدين وحراسة الأخلاق وضوابط المجتمع مما سنوضح آثاره في المبحث التالي :

بعض مذاهب التحليل النفسي المعاصرة

سبق أن أوضحنا في مطلع هذا الكتاب روافد الحضارة الأوربية ، وأنها ارتكزت على الفكر اليوناني والروماني ، ثم النصرانية التي نأت عن الدين الحق المنزل على عيسى عليه السلام ، كل هذه العوامل تجمعت لتوجيه العقل الأوروبي بعيداً عن وحي السماء حيث انطلق الفكر الغربي كالجواد الجامح يدفع بالإنسان إلى مستنقع آسن من المذاهب السياسية والنظريات الاقتصادية والتحليلات النفسية التي أبعدت الإنسان عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ولقد تعاظم هذا الفكر وقويت شوكته عقب الانقلاب الصناعي والثورة الفرنسية أو ما أطلق عليه زوراً وبهتاناً عصر النهضة أو التنوير ، حيث انبعثت من جديد الآداب والفلسفات الوثنية التي لا تؤمن بدين ولا تصون خلقاً ، يقود هذا الفكر في كل عصر رواده من اليهود والنصارى أمثال ميكافيلي وهوبز واليهودي سبينوزا وداروين وماركس وفرويد وغيرهم .

ولقد بدأ هذا الاتجاه يأخذ طابع التنظيم والتقعيد منذ القرن السابع عشر حيث وضع مونتسكوا ١٦٨٩ ـ ١٧٥٥ كتابه (روح القوانين) ، ثم جاء جان جاك روسو عام ١٨٧٨ ووضع كتابه (نظرية العقد الاجتماعي) ، وكان يسمى : (إنجيل الثورة الفرنسية) .

وقد لوحظ على هذه النظريات بشكل عام إغفالها لدور الدين ، بل تجاوز الأمر إلى التطاول عليه ، والتهكم برجاله ، وكان شعار الثورة الفرنسية :

« اقضوا على آخر ملك بأمعاء آخر قسيس »

وسط هذه الفتن الهوج التي أنزلت الكنيسة من علياتها ، وألقت بالأمراء ورجالات الإقطاع إلى جحيم الثورات برزت مدارس علم النفس الذي كان يعد فرعاً من فروع الفلسفة منذ الحضارة اليونانية القديمة حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث استقل علم النفس بذاته على يد العالم الألماني (فونت) عندما أنشأ أول معمل علم نفس تجريبي عام ١٨٧٩ م .

هذا ولقد تعددت في أوروبا مدارس علم النفس ، ومن أبرزها :

١ ـ مدرسة الجشطلت : (١)

أسسها العلماء الألمان .

« وقد نظرت إلى سلوك الإنسان نظرة كلية على اعتبار أنه كتلة واحدة ينبغي أن تفهم في ضوء الموقف الكلي الذي حدثت فيه من خلال الظروف المحيطة كما وضعت اعتباراً هاماً للطاقات الداخلية للكائن الحي » . (٢)

٢ ـ المدرسة السلوكية :

ويقوم منهجها على الملاحظة الخارجية الموضوعية والمنهج التجريبي أي تهتم هذه المدرسة بدراسة السلوك الظاهري الذي يمكن ملاحظته ، ورفضت فكرة تفسير السلوك عن طريق التأمل الباطني .

٣ ـ المدرسة الفرضية :

وقد تجاوزت هذه المدرسة تفسير السلوك الظاهري إلى دراسة أعماق النفس بالتعرف على الدوافع الباطنية لهذا السلوك ، وقد تفرعت هذه المدرسة إلى اتجاهين : (٣)

١ ـ اتجاه علم النفس النزوعي الذي أسسه مكدوجل .

٢ ـ اتجاه التحليل النفسي لفرويد . »

---

(١) معناها في اللغة الألمانية / الصورة أو الصيغة أو الشكل .

(٢) نظرية التحليل النفسي / أ . د . محمد السيد صالح . ص

(٣) المرجع السابق .

وبجانب هذه المدارس وجدت في ساحة علم النفس مذاهب عديدة تتناول السلوك الإنساني ، كالمدرسة الوظيفية التي تناولت وظائف العقل التي تؤدي إلى التكيف مع البيئة ، والمدرسة السلوكية الجديدة ، ومدرسة التحليل النفسي الجديدة ومدرسة تحليل العوامل ..... إلخ .

غير أن أخطر هذه المدارس أثراً ، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً ، وأشهرها انحرافاً بفطرة الإنسان مدرسة فرويد للتحليل النفسي ، والتي ما زالت أبعادها المدمرة ونتائجها الخطيرة تعيث بالسلوك الإنساني ، وتجعل من الجنس عقيدة تسيطر على تصرفاته الشعورية واللاشعورية ، وقد تفاقم هذا الوباء العاصف مع تطور وسائل الإعلام الحديثة ، وسيطرة الفكر الغربي يهودي أو نصراني على تطويع تلك الوسائل لتحقيق أطماع الصهيونية العالمية لإفساد فطرة الإنسان حتى غدا هذا فكراً عالمياً تتبناه الدول وتدعو له الحكومات ، وتعقد من أجله المؤتمرات ، وتدفع الشعوب الإسلامية إلى هذا المنحدر اللاأخلاقي دفعاً حثيثاً يروج له ، ويشجع عليه بعض أبناء المسلمين الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار ، لذا رأيت إفراد مدرسة اليهودي فرويد في علم النفس لخطورتها وتسببها في انهيار الأخلاق ، وتصدع الأسر ، وانتشار الشذوذ ، ومسخ معالم فطرة الله التي فطر الناس عليها .

نظرية فرويد في النفس

١ - تعريف النظرية : (١)

هي مدرسة في التحليل النفسي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً ، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء ، كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية .

٢ - مؤسسها :

سيجموند فرويد ولد في ٦ مايو ١٨٥٦ م بمدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكو سلوفاكيا من والدين يهوديين ، ثم رحلت أسرته إلى ألمانيا وعمره ثلاث سنوات ، ثم استقر به المقام في فينا بالنمسا حيث أمضى معظم حياته ، وظل بها إلى عام ١٩٣٨ م حيث غادرها إلى لندن ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بالسرطان ، وقد أدركته الوفاة في ٢٣ من سبتمبر عام ١٩٣٩ م

تربيته وثقافته :

تعتبر آراء فرويد الشاذة عن النفس ودوافعها انعكاساً لمراحل حياته التي مر بها والتي صاغتها الموسوعة الميسرة في المذاهب المعاصرة في النقاط الموجزة التالية:

١ - تلقى تربيته الأولى على يد مربية كاثوليكية دميمة عجوز متشددة كانت تصحبه أحياناً إلى الكنيسة مما شكل عنده عقدة ضد المسيحية .

٢ - نشأ يهودياً وأصدقاؤه من غير اليهود نادرون إذ كان لا يأنس لغير اليهود ، ولا يطمئن إلا إليهم .

٣ - دخل الجامعة عام ١٨٧٣ ، وعقّب على ذلك بأنه يرفض رفضاً قاطعاً أن

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / ص ٢٧٥ .

يشعر بالدونية والخجل من يهوديته ، لكن هذا الشعور المؤلم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب .

٤ - في عام ١٨٨٥ غادر فينا إلى باريس ، وتتلمذ على « شاركوت » مدة عام ، حيث كان أستاذه هذا يقوم بالتنويم المغناطيسي لمعالجة الهستريا ، وقد أعجب فرويد به عندما أكد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لابد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض .

٥ - في عام ١٨٨٦ عاد إلى فينا ، وبدأ يشتغل بدراسة الحياة العصبية بعامة والهستريا بخاصة مستعملاً التنويم المغناطيسي .

٦ - تابع فرويد عمله تاركاً طريقة التنويم معتمداً على طريقة التحدث طالباً من المريض أن يضطجع ويتحدث مفصحاً عن كل خواطره ، وسماها طريقة « الترابط الحر »

٧ - انضم عام ١٩٩٥ م إلى جمعية (بناي برث) أي أبناء العهد ، وهذه الجمعية لا تقبل بين أعضائها غير اليهود ، وحينما بلغ سبعين عاماً أقامت حفل تكريم له حيث بعث بكلمة إلى المحتفين له قال فيها : (١)

« إن كونكم يهوداً لأمر يوافقني كل الموافقة لأني أنا نفسي يهودي ، فقد بدا لي دائماً أن إنكار هذه الحقيقة ليس أمراً غير خليق بصاحبه فحسب بل هو عمل فيه حماقة إيجابية ، إنه لتربطني باليهودية أمور كثيرة تجعل إغراء اليهودية واليهود أمراً لا سبيل إلى مقاومته » .

٨ - كان فرويد عضواً فخرياً في منظمة (كاديما) ، وهي منظمة صهيونية معروفة ، ولما اكتفى بالعضوية الفخرية دفع أحد أبنائه ليكون عضواً عاملاً فيها .

٩ - كان فرويد على صلة باليهودي العالمي (تيودور هرتزل) ، وقد أرسل إليه أحد كتبه مع إهداء شخصي عليه ، كما سعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة خدمة

---

(١) كواشف زيوف المذاهب المعاصرة / الشيخ عبد الرحمن الميداني / ص ٣١٢ .

للصهيونية التي ينتميان إليها مثل فكرة « معاداة السامية » التي ينشرها هرتزل سياسياً ، ويحللها فرويد نفسياً

١٠ - إن أصحاب فرويد وتلاميذه وناشري فكره من اليهود أمثال : ساخس ، رايك ، سالزمان ، زيدسبورج ، شويزي ، فرانكل ، وويتلز ، سيمل .

مما سبق يتضح من خلال تتبع السيرة الذاتية لحياة فرويد ونشاطه العلمي أنه يهودي متعصب يحمل بين جنبات نفسه الغل اليهودي والحقد الدفين على البشرية وأن آراءه حول النفس ودوافع الجنس ما هي إلا امتداد لتاريخ اليهود الأسود في تشويه فطرة الإنسان :

(١) « فلقد دنست التوراة المحرفة الجنس البشري عامة ابتداء بالأنبياء : نوح يسكر ، لوط يزني بابنته وهو سكران ، داود يعشق زوجة قائده ، ويعرضه للقتل ليظفر بها .... إلى آخر ما شوهت به سيرتهم الناصعة ، وانتهاءً بالسلالات البشرية : كنعان وذريته ملعونون ، الحيثيون ، الآشوريون ... إلخ ، الشعوب السبعة الملعونة .

كل ذلك بهدف تدعيم الزعم الفاسد بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وتبرير وسائلهم الخبيثة لابتزاز أموال الأمين وإفساد أخلاقهم » .

فحينما يأتي فرويد ليجعل من الجنس عقيدة - كما سنوضح في المبحث التالي - فما ذلك إلا حلقة من حلقات مؤامرات الصهيونية العالمية ، والتي عبر عنها التلمود وبروتوكلات حكماء بني صهيون .

---

(١) العلمانية / د . سفر الحوالي ص ٤٠٢ .

تقسيم فرويد للنفس

يرى فرويد أن مكونات النفس الإنسانية هي :

١ ـ ألـ (هي) ، وهي الطبقة الشهوانية التي تسيطر عليها الشهوة الجنسية وتوجهها ، وتسمى عنده باسم (الذات السفلى) ، وهي طبقة لا شعورية .

يقول عنها فرويد : (١)

« إنها مرجل من الغرائز يغلي دائماً ، ولا يتسم بأي تنظيم أو إرادة أو تفكير ، وكل ما يحركها مبدأ اللذة الجنسية ، فهي المستقر الأساسي للغرائز وخصوصاً غريزة الجنس ، وكل ما يعنيها تحقيق هذه الغريزة دون اعتبار لشيء من الأخلاق والقيم » .

٢ ـ الأنا أو الذات : (٢)

« وهي الطبقة الوسطى والشخصية الشعورية التي يتمثل فيها الوعي وتصدر عنها التصرفات الواعية للإنسان ، وتمثيل العالم الخارجي والقدرة على مجاراته ومعايشته من خلال التعبير عن متطلبات ألـ (هي) بصورة يقبلها المجتمع ، ويتميز الأنا بالقدرة على التفكير المنطقي وضبط السلوك والتبصر في عواقب الأمور والتحكم في اندفاعات الغرائز الداخلية ومحاولة تحقيقها بالصورة التي يرضى عنها المجتمع الخارجي » .

٣ ـ الذات العليا أو الأنا الأعلى : (٣)

« هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد ، والمتمثل في الضوابط الناشئة عن الدين والأخلاق والتقاليد الموروثة ، وهي لاشعورية ، وتنشأ من الكبت الواقع على

---

(١) في التحليل النفسي لفرويد / ص ٧٦ ترجمة د. غزت راجح

(٢) نظرية التحليل النفسي / د. [illegible] الدين صالح ص ٤١

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / ص٣٨١

الذات السفلى » .

ومهمة الذات (الأنا) التحايل على الذات السفلى لإقناعها بأوامر الذات العليا وإن كانت لا تومن بها . يقول فرويد : [١] « إن مهمة الذات بين الضغط الواقع عليها من الذات العليا والذات السفلى معاً تصبح كمهمة السياسي الذي يعرف الحقائق ، ولكنه يإاور ويناور إرضاء الجماهير .

ومن خلال هذا التقسيم للنفس انطلق فرويد ليحطم كل القيم ويجعل من غريزة الجنس دافعاً يحرك معتقدات الإنسان وسلوكه .

فالدين عبر تاريخ البشرية خلال زعمه الكاذب ما هو إلا أثر من آثار حادث جنسي بسبب شعور الأولاد بالرغبة الجنسية في أمهم ، وحينما وجدوا اباهم حائلاً دون هذه الرغبة قتلوه ، ثم شعروا بالندم على ذلك فعبدوه والهوه ، وكل الديانات نشأت من هذا الحدث .

وقد استمد ذلك من نظرية داروين عن الصراع في عالم الحيوان حيث تتجه الثيران الشابة إلى الأم لمواقعتها فتدور معركة رهيبة يفوز فيها أقوى الثيران بالأم وبتحريف يسير نقل فرويد هذا من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان مدنساً أسمى ما لدى الإنسان من عاطفة الأمومة وقداسة الدين .

وأما الأخلاق فيصف بها حيث يقول في كتابه (الذات والذات السفلى :

« إنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية حتى في صورتها العادية » .

ويقول عن التسامي :

« إنه نوع من أنواع الشذوذ حيث تُصرَّف الطاقة الشهوية الصادرة من منابع جنسية فردية في مجالات أخرى ينتفع بها » .

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة/ ١٠٩

وعن العلاقات البشرية يذكر في كتابه (الطوطم والمحرمات) :

« إنه الازدواج العاطفي ، أي الشعور بالحب والكره في آن واحد تجاه شخص واحد ، حيث يكبت الكره في اللاشعور ، ويظهر الحب على السطح لإرضاء المجتمع ، وهذا هو الطابع العام للعواطف البشرية .

فالولد يحب أباه ويكرهه ، ويحب أمه ويكرهها ، والزوجة تحب زوجها وتكرهه .

والصياح الذي يصيحه الناس على موتاهم ما هو إلا إخفاء للفرحة الداخلية التي ملأت نفوسهم ، ويقول :

« إن هذا يتم بطريقة لا شعورية ، ولا يدخل فيها الحالات التي يتوجه فيها الإنسان بالحب لشخص معين ، ثم يكرهه لأسباب واعية معلومة . إنه كره لا شعوري تلقائي ينشأ في ذات اللحظة التي ينشأ فيها الحب ثم يكبت في اللاشعور ، ويظل يعمل من داخله .

ويقول عن الكبت : .

« إنه هو طابع الحياة البشرية بسبب وجود الدين والأخلاق والمجتمع وسلطة الأب ، وكلها تتجه إلى كبت الطاقة الجنسية ، فتنشأ العقد النفسية والاضطرابات العصبية التي لا تترك صاحبها في راحة » . (١)

وهكذا يتبلور فكر فرويد وينحصر في إشباع الرغبة الجنسية وإطلاقها دون ضابط من دين أو وازع من خلق .

لقد قال فرويد لتلميذه (يونج) :

« إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية » .

وقال لتلميذه أيضاً : « ينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة » .

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب / ١٠٩ ، ١١٠

نقد نظرية فرويد

وجهت إلى آراء فرويد سهاماً قاتلة من النقد ، ولفظت هذه الآراء معظم مدارس التحليل النفسي المعاصرة ، مما يضيق المقال عن ذكرها ، غير أننا نسوق في إيجاز نقداً موضوعياً للدكتور عبد الحميد الهاشمي ، وهو نقد مؤلف من النقاط التالية : (١)

١ - إن آراء (فرويد) هي - أولاً وقبل كل شيء - أفكار افتراضية ، وليست من الحقائق النفسية ، أو المباديء العلمية التي أثبتتها التجارب ، أو صدقتها الملاحظات العلمية .

٢ - تعتبر آراء (فرويد) امتداد لفلسفة أفلاطونية ، إلا أن أفلاطون - كما هو معروف - كان يحاول أن يسير بالنفس نحو المثالية ، أما (فرويد) فقد تشبث - كما يقول تلامذته - بالدافع الجنسي ليظل هو الدافع والوسيلة والغاية .

٣ - لقد اعتمد (فرويد) في آرائه على الحالات الشاذة المرضية التي كان يعالجها ، ويكمن الخطأ العلمي في التعميم الذي أطلقه ، إذ أخذ يفسر السلوك المتزن العادي لدى الأسوياء في ضوء ما عاينه من السلوك الشاذ عند المصابين .

٤ - تأثره بالأساطير اليرنانية واضح .

٥ - إن آراءه وأفكاره تعكس الحياة المتناقضة الشاذة للمجتمع الغربي بعد النهضة الصناعية المادية وانتشار الاختلاط المطلق وشيوع الإباحية بشتى أسمائها وسماتها نتيجة الترف والغرور الأوروبي في عنفوان العهد الاستعماري ، فكانت آراؤه وأفكاره انعكاساً أو تبريراً للواقع الشاذ ، وليست علمية دقيقة .

٦ - الخطأ العلمي الكبير أن آراء (فرويد) تحاول تفسير السلوك الإنساني

---

(١) كواشف زيوف المذاهب المعاصرة / الشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٢٠٦ .

بنظرة جانبية خاطئة ، إذ حاول أن يجرد السلوك الإنساني بدافع الجنس .

٧ ـ في آرائه المتميزة نحو التفسير الجنسي دافع لكل سلوك يتجلى فيه التفكير اليهودي الذي اشتهروا به منذ أيامهم الأولى في اتهامهم لبعض أنبيائهم ، وفي معاملتهم للأمم التي عاشوا معها ، وهو تميز مقصود ومخطط خدمة للسياسة اليهودية العالمية بعيدة المدى » .

وعلى الرغم من صيحات الاعتراض ، وسهام الانتقاد على آراء فرويد النفسية إلا أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على انتشارها في أوروبا ثم العالم الإسلامي مما سنوضحه في المبحث التالي :

العوامل التي ساعدت على انتشار نظرية فرويد في أوروبا

أولاً : موقف النصرانية المحرفة من المرأة والجنس :

نظرت الكنيسة إلى المرأة نظرة ازدراء واحتقار ، وألقت على كاهلها سبب خروج آدم من الجنة مما حدا ببعض رجالات الكنيسة أن يقول لتلاميذه : (١)

« إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً ، بل ولا كائناً وحشياً ، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته ، والذي تسمعون هو صفير الثعبان » .

وهذا الفكر هو امتداد لما جاء في أسفار العهد القديم والجديد عن المرأة واستحقاقها للتعب والآلام لحملها آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة ، فلقد جاء في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث : (١)

« وقال للمرأة تكثيراً أكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً ، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك » .

ومن خلال التنسك و العزلة والترهب والعكوف عن الزواج كان الطابع العام أن الجنس قذر في ذاته ، والمرأة مخلوق شيطاني دنس يجب الابتعاد عنه ، والزواج ضرورة غريزية حيوانية للعامة ، ولكن السعيد الأتقى من استطاع أن يترفع عليه ولا يتزوج .

ويصور المرحوم / أبو الأعلى المودودي موقف الكنيسة خاصة ، وأوروبا عامة من المرأة منذ فجر المسيحية ، وحتى عصر النهضة ، فيقول : (٢)

« فمن نظريتهم الأولية في هذا الشأن أن المرأة ينبوع المعاصي ، وأصل السيئة والفجور ، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جميعاً ، فبحسبها

---

(١) العلمانية / د . سفر الحوالي ص ٤١٦ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص ١٦٩ .

ندامة وخجلاً أنها امرأة ، وينبغي لها أن تستحي من جمالها لأنه سلاح إبليس الذي لايوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة ، وعلى أن تُكَفِّر ، ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً لأنها هي التي قد أتت بما أتت من الرزء والشقاء للأرض وأهلها »

وقال [1] (ترتوليان) أحد أقطاب المسيحية الأول موضحاً نظرية النصرانية في المرأة

« إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله » .

ويقول (كرائي سوستام) الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية عن المرأة أيضاً

« هي شر لا بد منه ، ووسوسة جِبِلِّيَّة ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ورزء مطلى مموه » .

أما عن العلاقة الجنسية فأمر مستقذر يجب الترفع عنه ولو كان بين ظلال الزواج ، ومن ثم كانت الدعوة للرهبانية .

ومع ازدراء المرأة والتعالي عن الجنس فإن الكنيسة من أعلي قمتها البابوية إلى آخر السلم الكنسي ـ الشماس ـ شهدت أنواع الفجور والعلاقات الجنسية الآثمة غير المشروعة ، وصرخت جدران الأديرة من هول ما ارتكب بين جنباتها ، ومن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتاب قصة الحضارة دل يورانت ، وغير ذلك من المراجع التي تناولت تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .

يقول (ليكي) في كتاب (تاريخ الأخلاق في أوروبا)

« كانت الدنيا في ذلك الحين تتأرجح بين الرهبانية القصوى

(١) جاهلية القرن العشرين / الأستاذ محمد قطب ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

والفجور الأقصى ، وإن المدن التي ظهر فيها أكبر الزهاد كانت أسبق المدن في الخلاعة والفجور ، وقد اجتمع في هذا العصر الفجور والوهم اللذان هما عنوان لشرف الإنسان وكرامته »[١]

هذا وقد كانت الشعوب تقف حائرة بين ما تسمعه من عظات القساوسة في الكنائس وبين رائحة الفساد التي تزكم الأنوف ، فما أن قامت الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية اللتان كشفتا سوأة الكنيسة ، وإذا بالمذاهب النفسية المتعددة ، وفي مقدمتها آراء فرويد التي جعلت الجنس هو المحرك للسلوك الإنساني حتى الدين فهو نابع من الجنس ، فأزال بذلك ما التحفت به أوروبا من ستائر رقيقة للفضيلة والعفه والزواج ، وعرّت تلك الآراء أوروبا فاندفعت تتحدر بقوة إلى الجنس تتغنى به ، وتتفن في إبرازه ، ينمي ذلك سيطرة اليهود والنصارى على وسائل الإعلام التي تبرز المرأة والجنس إبرازاً يفسد الفطرة ، وما ذلك إلا بسبب موقف النصرانية المنحرف عن الدين الحق .

ثانياً : نظرية دارون :

سبق أن أوضحنا آثار نظرية دارون ، والتي أرجعت نشأة الإنسان إلى أصول مادية حيوانية . فالإنسان عنده حيوان جنسي لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة ، وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب ، هذا ولقد كان ما ذهب إليه دارون من قاعدة « البقاء للأقوى » ملهمة لفرويد ليصطنع قصة تصارع الأبناء للظفر بأمهم ومواقعتها وقتل أبيهم ثم تأليهه وعبادته .

ثالثاً : الاتجاه العقلاني والعلماني في أوروبا :

لقد خلعت أوروبا ربقة الدين ، وتخلصت من أسره ، ولم تكتف بركله بعيداً عن أنشطة المجتمع ، بل أخذت تهاجمه ، وتثخنه بالجراح ، وأضربت صفحاً عن كل

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي . ص ١٧١ .

ما جاء به ، واتجهت إلى العقل المنفصل عن الدين الذي لا يؤمن إلا بعالم الحس والمشاهدة ، ولقد فُتنت أوروبا به ولا سيما عندما اكتشفت قوانين الكون ، وما أعقب ذلك من اكتشافات علمية مذهلة ، وتقدم في وسائل الاتصال والمواصلات ، فأصبح العقل معبودها وهاديها ، ولم يعد للدين مكاناً ، ولقد استشرى التيار العلماني الذي عمل على فصل الدين عن الدولة ، وتبنى كل فكر يناوىء الدين ، وقد يكون هذا الاتجاه مقبولاً في أوروبا نظراً لما عانته من مساوىء الكنيسة وطغيان رجالاتها ، ولكن لا يكون مقبولاً في ديار الإسلام التي شهدت منذ تنزل الوحي على رسول الله ﷺ احترام العقل الإنساني ، وإطلاق ملكة التفكير في إطار شرع الله .

رابعاً : دور اليهود في نشر نظرية فرويد :

لقد غدا من المسلم به أن يد اليهود الخبيثة وراء كل انحراف فكري ، وأن غلهم الأسود وحقدهم الدفين على البشرية جعلهم يتفثون سمومهم من خلال نظرية فرويد وغيره من اليهود أمثال كارل ماركس ، ودور كايم ، [illegible]

جاء في البروتوكول التاسع :[1]

« لقد خَدَعْنا الجيل الناشيء من غير اليهود وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مباديء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكنا نحن أنفسنا الملقنون لها » .

وجاء في البروتوكول الثاني :

« دعوهم يعتقدوا أن القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما هي حقائق ثابتة يتمشى عليها العلم من الوجهة النظرية ، وسنعمل على أن نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة ، وذلك بتقييد أنظارهم ، وبمساعدة ما تبثه صحافتنا في عقولهم ..... لاتتصوروا أن كلماتنا جوفاء ، ولاحظوا هنا أن نجاح (دارون)

(١) الخطر اليهودي بروتوكلات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، ص ١٩٤

و (ماركس) و (نتشه) ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاه هذه النظم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد .

هذا ولقد نجح اليهود في تقديم آراء فرويد الجنسية عبر أجهزة الإعلام من خلال الفن الهابط ، والأدب الساقط ، والتمثيل المثير ، واستخدام المرأة في الإثارة الجنسية ، واندفاع الرجل لتحقيق رغباته بصورة فجة ، بعرض مثير ، وإخراج متقن .

وليتخيل القارىء أن في التلفاز المصري عشر قنوات لا يخلو الكثير منها من مشاهد الجنس ومواقف العشق ، وإبراز مواطن الإثارة ، ولقد ازداد الطين بلة مع الإرسال الفضائي الذي يعرض قرابة الستين قناة فضائية تعرض العري والجنس وذلك لتدمير أخلاق الشعوب وانهيار عقائدها ، ليسهل عليهم قيادة هذه الرعاع من الشعوب اللاهثة وراء الجنس المتحللة من كل القيود والقيم .

هذا وقد تتطور تآمر اليهود لتدمير أبناء الإسلام ، وذلك باستخدام الجنس لانتشار مرض الإيدز ، حيث تأتي الفتيات اليهوديات الحاملات لميكروب المرض في صورة سائحات ، ويتصيدن الشباب لممارسة الجنس معهن ، فينتقل هذا الطاعون إلى جسد الشباب ، فيدمر جهاز المناعة عنده ، ويقضي عليه ، وكذا يتم نقل هذا المرض عن طريق الشباب اليهودي الذي يفد إلى البلاد سائحاً ، وهو يحمل هذا الميكروب القاتل ، ويغري شباب الأمة بالاتصال الجنسي الشاذ .

ولقد تحدثت الصحف المصرية عن بعض الحوادث التي ضبط فيها بعض السائحين والسائحات متلبسين ومتلبسات بإتيان فاحشة قوم لوط ، وهذا من أخطر آثار نظرية فرويد اليهودي ، وأشدها فتنة على المسلمين .

العوامل التي ساعدت على انتشار آراء فرويد في العالم الإسلامي :

لقد أصبح لهذه النظرية موطيء قدم في العالم الإسلامي ، وغدت منهجاً نفسياً يدرس ، وسلوكاً اجتماعياً يحتفى به ويدعى إليه عبر أجهزة الإعلام ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : الاتصال بين أقطار العالم الإسلامي وأوروبا :

ولقد سبقت الإشارة إلى ذلك بين ثنايا هذا الكتاب . (١)

ثانياً : استعمار العالم الإسلامي :

منذ أن تلقى الكفر الضربات الموجعة القاتلة عبر التاريخ الإسلامي ، ولا سيما في صدر الإسلام ، والحقد على الإسلام متأصل والتآمر مستمر .

ولقد نبهت الحروب الصليبية أنظار أوروبا للعالم الإسلامي وموقعه المتميز ، فبدأت الحملات العسكرية المتلاحقة .

وما يكاد ينتصف القرن التاسع عشر إلا و العالم الإسلامي ماعدا الجزيرة العربية واليمن يخضع للاحتلال العسكري يصحبه جيش من المستشرقين والمبشرين الذين عملوا جاهدين على ضرب الإسلام بالمذاهب الفكرية كما ضربت الكنيسة إبان الثورات في أوروبا ، فكانت آراء فرويد اليهودي الإباحية وسيلة للقضاء على الدين والأخلاق .

ومن ثم ظل العالم الغربي حاشداً على صدر المسلمين ليتمكن اليهود من تثبيت أقدامهم في قلب العالم الإسلامي ، وقد وصلوا إلى تحقيق أطماعهم ومآربهم من خلال معاهدات السلام المزعومة بين العرب وإسرائيل ، والتي كان من خلالها تسرب الفكر الصهيوني والنفوذ اليهودي والسيطرة الاقتصادية تحت ما يسمى

---

(١) ص ٦٢

بتطبيع العلاقات ، وما تحقق ذلك إلا علي جسور الجنس والعري وإشباع الغرائز ، يساعد على ذلك تمكن اليهود وأوروبا من وسائل الإعلام ، ولا سيما البث الإعلامي المباشر . (١)

ثالثاً : دعاة العلمانية والتغريب من بعض أبناء المسلمين :

وهم الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير ورضعوا من لبان الفكر الغربي ، ومكن لهم الاستعمار في تقلد زمام الأمور ، وتوجيه الأنشطة السياسية والتعليمية توجهاً علمانياً بعيداً عن الإسلام .

رابعاً : دور التعليم والثقافة :

منذ أن وطئت أقدام الاستعمار العالم الإسلامي وهو يعمل جاهداً على دفع التعليم الديني بعيداً عن مواقع النفوذ والتأثير .

ومن ثم انشئت الجامعة المصرية جامعة علمانية ، وما زالت بفروعها المختلفة وكلياتها العديدة لا تولي وجهها شطر الثقافة الإسلامية بقدر توجهها لدراسة مذاهب الغرب المختلفة ، وعلى رأس تلك المذاهب نظرية فرويد في علم النفس ، وكذلك المؤسسات الثقافية والإعلامية لا تبدي اهتماماً بالإسلام اهتماماً ذا تأثير ، ولكنه توجه سطحي لا يساعد على مناهضة الفكر الغربي بمذاهبه المختلفة .

خامساً : تضييق الخناق على الأزهر :

كان الأزهر ولا يزال حصن اللغة وقلعة الإسلام ، ولقد أبدت دوائر الاستعمار العالمية تخوفها من الأزهر وعلمائه ، حيث إن سجل الكفاح الوطني يحظى بالعلماء الذين قادوا الأمة ، وأشعلوا الثورات ضد الاستعمار العسكري والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي .

---

(١) يراجع في هذا بحثنا عن أخطار البث الإعلامي المباشر ، وطرق مقاومته ، مجلة كلية أصول الدين بالزقازيق . العدد السابع . ص ٢٢٩ .

ولقد امتدت الأيدي للأزهر عابثة به تحت مسمى التطوير ، فشهدت ساحة الفكر والدعوة رجالاً لا يقوون على منازلة الفكر الغربي ، ومقارعة تلك المذاهب ، هذا بجانب حصر دور الداعية بين أروقة المساجد فقط ، بينما ساحات الفكر في الصحافة والإذاعة والتلفاز والرياضة والسينما تعج بالفكر الغربي ، ويفسح لها المجال على مصراعيه ، بينما لايسمح للكثير من علماء الأزهر بالاقتراب من المجالات السابقة إلا من خلال النافذة التي تعبر عن وجهة نظر السلطة السياسية فقط ، مما نتج عن ذلك انتشار المباديء الهدامة والمذاهب الفكرية المنحرفة وشتى ألوان التطرف اللاديني والديني .

سادساً : الأمية الدينية لدى المسلمين :

إن من أكبر العوامل التي ساعدت على انتشار هذه النظرية وغيرها من النظريات هو جهل جماهير المسلمين بدينهم ، فالإسلام لديهم لا يتجاوز اسماً يتسمى الإنسان به في شهادة الميلاد ، وديانة ينتسب إليها في البطاقة الشخصية ثم في أدائه ما افترضه الله عليه يقتصر على دائرة العبادات ، فيأتي بها على أنها عادة لا عبادة ، وتقليداً لا روح فيها ، أما تشريعات الإسلام ونظمه وصبغ المجتمع سياسياً وفكريا واقتصادياً بالصبغة الإسلامية فأمر غير مرغوب فيه ، وإن تقبله البعض فإنما يتقبله على مضض وكره ، ويتربصون الدوائر بمن يدخلون تلك الدوائر من الإسلاميين ، بينما ساحات الفكر والسياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية كلاً مباح لكل ناهق وناعق من أصحاب المذاهب الفكرية المضللة الذين نجحوا على مدى قرنين من الزمان في صياغة عقل الأمة وسلوكها وفق أهواء الذين تربوا على موائد الاستعمار والتبشير والاستشراق .

وهذه الأمية الدينية يتساوى فيها من لا يقرأ ولا يكتب ، ومن تدرج في السلم التعليمي من بداية الابتدائي حتى نهاية المرحلة الجامعية ، إذ أن مادة التربية الدينية مادة إضافية لا تضاف لمجموع الطالب في مراحل ما قبل الجامعة ، ومن ثم فلا يهتم الطالب بها ، فتتساوي بالتدبير المنزلي والتربية الموسيقية ، أما المرحلة الجامعية فالثقافة الإسلامية لا تعتب أبواب الجامعة ، ولا يسمح لها بالدخول في المناهج إلا من بعض الدراسات في الكليات النظرية ، أما الكليات العملية والعسكرية فدراسة الدين الإسلامي بشرائعه ونظمه أمر محظور ، بينما النظريات العلمية كنظرية دارون في التطور ، وفرويد في علم النفس ، وماركس في الاقتصاد وأميل دور كايم في علم الاجتماع يحتفى بها في مراحل التعليم ما قبل الجامعة وأثنائها ، ومن ثم يتساوى في الأمية الدينية المتعلم وغير المتعلم .

فإذا ما تجاوزنا نظم التعليم واتجهنا إلى روافد الثقافة الأخرى لنبصر دورها في تعميق الثقافة والفكر الإسلامي نجد إغفالاً متعمداً وتجاهلاً مقصوداً .

فأجهزة الإعلام بوسائلها المختلفة لا تمثل البرامج الدينية ٣ ٪ من المساحة الإعلامية ، وما يقدم لا يشفي الغليل ولا يروي ظمأ المسلم من تعاليم الإسلام ، بينما الفن الساقط واللهو الماجن تعج به وسائل الإعلام ، فلا تدع مجالاً لعظمة الإسلام وتشريعاته تشرق بين عقل المسلم وقلبه .

فإذا ما تركنا هذا جانباً وعدنا البصر إلى أجهزة الدعوة الإسلامية في وزارة الأوقاف أو إدارة الوعظ بالأزهر أو أنشطة بعض الجمعيات الدينية الرسمية فنجد قصوراً في العمل وارتجالاً في التنظيم وتضارباً في الفكر وتصارعاً في القول ، هذا فضلاً على ضعف مستوى الدعاة لعوامل كثيرة يعرفها القاصي والداني .

هذه الأمور مجتمعة حجبت المسلم أن يفقه دينه ، ومن ثم فلا يستشعر حلاوة الإسلام وطلاوته ، ولم يفرق بين أن هذه النظرية توافق الإسلام أو تخالفه ، ولم يعد يميز بين هذه الآراء وتلك ، وعامة المسلمين معذورون في ذلك لأن الحياة

اليومية والمعاناة الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية ، والتي هي حصاد مُراسنوات عجاف بسبب إبعاد الإسلام عن إدارة دفة الحياة جعلت المسلم هائماً على وجهه شبه مذهول عما حوله وما يحاك به ، وجل عنايته واهتمامه بشئون الحياة اليومية التي تثقل كاهله ، فما أن يأتي آخر النهار حتى يلقي بجسده الواهن أمام التلفاز يشاهد في بلاهة برامج عابثة وثرثرة فارغة تسكب في عقله سموم نظرية فرويد وغيرها دون أن يشعر ، وليس لديه من الفقه والفهم للإسلام ما يحول بينه وبين تلك الآراء ، وهكذا يكون الجهل بالإسلام والأمية الدينية سبباً مباشراً لانتشار هذه النظرية وغيرها .

آثار مذهب فرويد

على الرغم من احتضار تلك الآراء علميا وتعرضها النقد العلمي وركلها بعيدا عن ميدان الدراسات النفسية إلا أن آثارها المدمرة ما زالت تؤدي ثمارها الخبيثة ومن هذه الآثار :

١ - إعلان صوت الغريزة والشهوة وإسكات صوت الدين والعقل : (١)

[فبدلا من أن يوجه الإنسان غرائزه على أساس من العقل المنضبط الذي يتحكم في الغرائز الحيوانية فيسمح بإشباع ما يمكن إشباعه مما يتفق مع مصلحة الإنسان والمجتمع معا تجد هذه النظرية ترفع الإنسان إلى توجيه سلوكه على أساس من الغرائز الحيوانية وحدها والإنطلاق في عالم السعار الجنسي الذي ينحط بالإنسان إلى عالم الحيوان]

٢ - عدم الشعور بالذنب وتأنيب الضمير :

إن الإنسان ذو الضمير الديني حينما كان يقترب من الإثم أو يقع في الخطيئة يشعر باللوم ومحاسبة النفس وتأنيب الضمير فيعض بنان الندم ويسارع في التوبة والإستغفار والإقلاع عن الذنب هذا في الإسلام أما في النصرانية فالمذنب كان يهرع إلى كرسي الإعتراف ليعترف بذنبه أمام الكاهن ويفشي أسراره ويفضح حياته أو يبادر إلى رجال الكنيسة فيشتري صك غفران تمحي له خطاياه وتغفر بالمال ذنوبه . فجاء فرويد ليريح الإنسان من ذلك ويوهمه بأن الإشباع الجنسي غريزة يجب أن تروى وأن في كبتها العقد النفسية والتوترات العصبية وأنه يجب التخلص من قيود الدين والأسرة والمجتمع والخوف من الله ومن ثم أقدم الشباب من الجنسين على العلاقات المحرقة بعيدا عن رابطة الزواج يحظى ذلك بتشجيع من أجهزة الإعلام عبر الفن الهابط والقصص الساقط الذي يوظف جسد المرأة وأنوثتها للإغراء والفتنة .

---

(١) نظرية التحليل النفسي د سعد الدين صالح ص ١٠٧

يساعد على ذلك تردي الأوضاع الإقتصادية وارتفاع أعباء الزواج إرتفاعا يجعل الشباب يقضي معظم حياته يلهث وراء شقة يندر الحصول عليها وعروس يصعب مهرها . ويلتفت حوله يجد حصاراً جنسيا يطوقه في الإعلام والشارع والشاطىء والنادي متاحا له وقريبا منه وفي متناول يديه فلتزل القدم ويقع المحظور فتنهتك الأعراض وتستباح المحرمات . ويرقص اليهود والنصارى طربا لما يحدث على ساحة الخلق والدين في العالم الإسلامي ويعملون جاهدين على توسع الشقة بين الأمة ودينها فيتمكنون منها ويجهزون عليها وهذا إلى حين أن يشاء الله حتى يأذن الله بالفتح أو أمر من عنده سبحانه وتعالى .

٣ - تبني الأمم المتحدة ودول العالم للفكر الفرويدي الجنسي :

إن المجتمع الإسلامي مجتمع ذو خصائص متميزة ومعالم واضحة يتقدم مسيرة الجنس البشري بتشريع مستقل يأبى التقليد ويرفض التبعية ولقد كان اختيار مكة المكرمة بالذات مهداً للدعوة وبدءً لانطلاق دولة التوحيد في جوف الصحراء بواد سحيق تحيط به الجبال الشامخة وبعيدا عن الحضارتين الفارسية والرومانية في هذا العصر حتى لا يتأثر الإسلام في طور ميلاده بأي منهما وأن تكتسب العقيدة الإسلامية عبر مراحل الدعوة في مكة والمدينة خلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مناعة واستحكاما ضد أي عقيدة مضللة أو سلوك منحرف لذلك حينما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية على أسنة رماح المجاهدين أو على ألسنة الدعاة الصادقين ظل محتفظا بنقاء العقيدة وطهارة السلوك وسيظل على ذلك إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها تحققاً لوعده سبحانه : (١)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

وتتضح دعائم المجتمع المسلم وركائزه الأساسية فيما يلي

---

(١) سورة الحجر / آية ٩

١- إنه يرتكز على الإيمان كما حدد القرآن الكريم الكريمة معالمه في قوله تعالى (١)

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

٢ - مجتمع تتلاءم نظمه وتشريعاته مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الخلق عليها وذلك بالتعادل والتوازن بين متطلبات الروح ورغبات الجسد بحيث لا يطغي جانب على آخر في تناسق معجز وتعاون وثيق بين العقل والقلب والحواس.

٣ - المجتمع الإسلامي مجتمع متعاون مترابط متراحم يتضامن أفراده جميعاً للحفاظ على قواعد البناء الإجتماعي وهي :-

الدين - النفس - العقل - النسل - المال .

والإسلام يوجب على المسلمين الجهاد إذا ما تعرض أحد من هذه الأمور لعدوان أو تحريف عن منهج الله ويزخر بفيض دائم وغيث منهمر من التشريعات التي تحمل بين ثناياها الترغيب والترهيب للحفاظ على أسس البناء الإجتماعي.

٤ - هناك بون شاسع بين تعاليم الإسلام والفكر الغربي كالفرق بين الثرى والثريا فتعاليم الإسلام المتعلقة بالأسرة التي تتكون من زوجين وأولاد وأجداد وحفده لها من الحقوق والواجبات مما تناولته نصوص القرآن والسنة ودونته مذاهب الفقهاء عبر تاريخ الإسلام ما يفوق كل تشريع في أنحاء العالم بخلاف الأسرة في العالم الغربي التي ترتكز على الأخلاق الوثنية الرومانية القديمة وتتغلف بغلاف نصراني ويهودي يقر المخادنة ويبيح اللواط والشذوذ ولا يفرق بين نكاح وسفاح ويسوي بين الإبن الشرعي وغير الشرعي مجتمع يتبادل الزوجات كما يتبادل كؤوس الخمر بل يقيم أندية العراة ومجتمعات السحاق والشذوذ ويكون

---

(١) سورة البقرة / ٢٨٥

الوعد بضمان حقوقهم إحدى معابر الرئيس الأمريكي كلينتون إلى البيت الأبيض

هذا وقد انتقلت آراء فرويد في الجنس من طور الفكر إلى طور أشد خطراً وأعظم فتكاً وهو طور التقنين والتغيير والإلزام حيث تتبناها أمريكا وأوربا والصهيونية العالمية تحت مظلة الأمم المتحدة حيث تعقد المؤتمرات وتوضع النظم وتسن التشريعات التي تنحرف بالفطرة الإنسانية عن السلوك السوي وتحمل الدول ولا سيما الفقيرة منها على الإلتزام بتلك القرارات ترغيبا وترهيبا وذلك بحجب المعونات الإقتصادية والقروض عن تلك الدول حتى تطأطىء رأسها لنمط الحياة الغربية ولو كان هذا مخالفا للدين ، ومن أخطر هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة للتنمية والسكان ١٩٩٤ ومؤتمر بكين للمرأة العالمية عام ١٩٩٥ .

وسوف نتناول في إيجاز أعمال وموضوعات هذين المؤتمرين ليتضح كيف استطاعت الصهيونية العالمية التي تبنت أفكار داروين وفرويد وإميل دوركايم وماركس وغيرهم أن تجعل من أفكارهم الشاذة فكراً عالميا تتبناه الدول وترغم عليه الشعوب لتصدق النبؤة المزعومة للتلمود وبروتوكلات حكماء بني صهيون في إقامة دولة إسرائيل العالمية .

أولاً

مؤتمر القاهرة للتنمية والسكان

من ٨ إلى ١٣ / ٩ / ١٩٩٤

عقد هذا المؤتمر في مدينة نصر أمام جامعة الأزهر وعلى مرمى البصر من قاهرة المعز بأزهرها العريق والآلف مئذنة التي تكاد تلامس السحاب في سماء القاهرة ، واشتركت فيه ١٨٢ دولة ، ١٤٠٠ منظمة غير حكومية ، و ١٠٠٠ منظمة غير معتمدة ، ٤٠ منظمة دولية وقد بلغ عدد أعضاء الوفود الرسمية وغير الرسمية والصحافة والأمم المتحدة ما يربو عن العشرين ألف شخص .

وقد رصد لهذا المؤتمر ١٧ مليار دولار لنفقاته ومتابعة قراراته تدفع الدول النامية ٢٪ ١١ مليار دولار والدول المتقدمة ٨٪ و ٦ مليار دولار .

ولقد كان هذا المؤتمر دعوة دولية سافرة إلى الجنس وتحطيم الروابط الأسرية وزلزلة القيم الأخلاقية في مظاهرة عالمية تقودها الأمم المتحدة التي تعلن في المؤتمر . (١)

[إن الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبارها أعلى آلية حكومية دولية لصياغة وتقييم السياسات المتعلقة بالمسائل المتصلة بمتابعة هذا المؤتمر ينبغي أن تنظم استعراضا منتظماً لتنفيذ برنامج هذا العمل والمجلس الإقتصادي والإجتماعي مدعو إلى استعراض نظام الإبلاغ في منظومة الأمم المتحدة فيما يتعلق بمسائل السكان والتنمية مع مراعات إجراءات الإبلاغ المطلوبة في متابعة المؤتمرات الدولية الأخرى وذلك بنية إنشاء نظام أكثر تماسا للإبلاغ]

هذا ولقد شهدت أروقة المؤتمر ولجانه وتوصياته وقراراته تقنين الإنحراف الجنسي كما عقدت الندوات حول :

---

(١) جريدة الشعب ١٦ / ٩ / ١٩٩٤ م

١ـ الصحة الجنسية

٢ـ الحقوق الإنجابية

٣ـ تنظيم الخصوبة

٤ـ العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج

٥ـ السلوك الجنسي المأمون

٦ـ الإجهاض

٧ـ الختان

ولقد اشتدت معارضة الأزهر وعلماء الدين على تلك الموضوعات وأصدر شيخ الأزهر بياناً يعلن فيه في وضوح وحسم موقف الإسلام من القضايا اللاأخلاقية التي يدعو إليها المؤتمر كما اعترض الفاتيكان عليها وعلى الرغم من ذلك فقد صدرت قرارات المؤتمر وتوصياته وتم اعتماد [وثيقة القاهرة للمؤتمر العالمي للسكان والتنمية لعام ١٩٩٤] بالتوافق التام بين الأعضاء المشاركين وهم ١٨٢ دولة بينما أبدت ١٦ دولة تحفظها على عدد من الفقرات .

وتمثل وثيقة القاهرة بفصولها الستة عشر برنامج العمل العالمي لمواجهة قضايا السكان والتنمية للأعوام العشرين القادمة فلنلق عزيزي القارىء الضوء :

على بعض فقرات تلك الوثيقة ليتضح ما تضمره شياطين الأنس لإفساد الدين وتفكك الأسر وضياع الأخلاق .

[تركز الوثيقة فيما يتعلق بالوقاية من الأمراض المنقولة بالإتصال الجنسي ومنها فيروس نقص المناعة البشرية وأن الظروف الإجتماعية والإقتصادية غير المواتية التي تواجهها المرأة تجعلها معرضة لصورة خاصة للإصابة بتلك الأمراض بسبب سلوك شركائها الجنسي الشديد الخطر لذا ينبغي أن يصبح رفع كفاءة

الإمداد [بالواقي الذكري] ذات النوعية العالية وتوزيعها مكونات متكاملة لجميع صفات الرعاية الصحية التناسلية

وتذكر الوثيقة عند تناولها للنشاط الجنسي البشري والعلاقات بين الجنسين :

إنه يجب تقديم الدعم لتوفير التثقيف والخدمات المتكاملة للأطفال والشبان مع الدعم والإرشاد المقدم من الوالدين مما يؤكد للذكور مسئوليتهم عن صحتهم الجنسية وخصوبتهم وليعينهم على ممارسة تلك المسئوليات وتمضي الوثيقة قائلة :

ينبغي للمراهقين الحصول على المعلومات والخدمات التي تساعدهم على فهم نشاطهم وينبغي أن يقترن هذا بتثقيف الشبان من أجل احترام حق المرأة في تقرير مصيرها واقتسام المسئولية مع المرأة في شئون النشاط والإنجاب وهذا جهد ذو أهمية فريدة بالنسبة لصحة الشابات وأطفالهن وبالنسبة للجهود المبذولة للإبطاء من تزايد النمو السكاني .

ويشير الفصل الثامن من الوثيقة عن التخلص من الحمل غير المرغوب فيه بالإجهاض وكذا الفقرة ٢٤ من الفصل الثامن عن [الإجهاض غير المأمون] والفقرة ٣٥ عن [السلوك الجنسي المأمون] (١)

ولقد بدأ الهجوم على الإسلام سافراً ووقحاً خلال انعقاد المؤتمر وذلك حينما استطاعت صحيفة مصرية تعمل في شبكة C NN الأمريكية أن تصور فيلما تليفزيونيا لإجراء عملية ختان يقوم بها بعض الحلاقين بصورة فيها إثارة وتشويه للإسلام وعرض هذا الفيلم بالأقمار الصناعية .

وقد وزعت منشورات في المؤتمر تسخر من الإسلام وتتهم المسلمين بالتسول حيث أشار تقرير صادر عن الإتحاد الدولي لتنظيم الأسرة تحت عنوان [ولكن هل يرزق الله] ؟

---

(١) جريدة الأهرام ١٤ / ٩ / ١٩٩٤ .

(١) [في نيجيريا تجلس النساء على أرصفة الطريق الرئيسية في العاصمة النيجيرية والكثيرات منهن يرضعن أولادهن وهن يستجدين المارة لطلب العون بصوت منخفض للإعتقاد الشائع في نيجيريا وغيرها : أن الرزق على الله]

وقدمت إدارة المؤتمر قاعة صغيرة للشواذ يعلنون فيها عن مطالبهم تجاه المجتمع الدولي ، وحينما واجه المؤتمر انتقادات من الدول الإسلامية خاصة مصر و باكستان وإيران أضيف إلى الوثيقة التوجيهات التالية :

[إن تنفيذ التوجيهات الواردة في برامج العمل هو حق سيادي لكل بلد وينبغي أن يتمشى هذا التنفيذ مع القوانين الوطنية والأوليات الانمائية للبلد مع ضرورة مراعاة الإحترام الكامل لنشر القيم الدينية والأخلاقية والخلفيات الثقافية لكل بلد] وبذلك تمخض مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية بإقرار للإتصالات غير المشروعة وتقنين الإنحراف الجنسي والسلوك الشاذ تحت مظلة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي لإنهيار الأخلاق وهدم كل ما يتعلق بالعفه والحياء والطُهر ، أن ينطلق الذكر والأنثى أو الذكر مع الذكر والأنثى مع الأنثى مع علاقات أدنى من الحيوانات مما يحمل بين ثناياه تدمير الجنس البشري وتلويث فطرة الله التي فطر الناس عليها .

مؤتمر بكين للمرأة العالمية عام ١٩٩٥ .

على درب مؤتمر القاهرة انعقد مؤتمر المرأة العالمي تحت مظلة الأمم المتحدة يحمل بين ثناياه توصيات مؤتمر القاهرة ومتحدثاً عن حقوق المرأة ومساواتها بالرجل في كل شيء .[وطالبت فتيات الهوى المشاركات في أعمال المؤتمر الأمم المتحدة بالإعتراف بهن وإعطائهن الحقوق كاملة وإنه يجب على الأمم المتحدة أن تلغي تجريم الدعارة والإعتراف بالعمل الجنسي كعمل مشروع مع توفير الحماية والحقوق التي يحصل عليها العمال الآخرون .

---

(١) جريدة الشعب ٩ / ٩ / ١٩٩٤

وطالبت فتيات الهوى اللائي جئن إلى المؤتمر والمشاركات ضمن وفود المنظمات غير الحكومية بتضمن مهنة الدعارة في الوثيقة على أن تكون ضمن البنود التي يجب مناقشتها "] (١)

وهكذا علا صوت الشذوذ في مؤتمر بكين لكي يتمرد الرجل والمرأة على الحياة الزوجية المقدسة والدعوة لإنشاء مجتمعات نسوية خاصة وهن مجتمع السحاقيات

وابتداع نمط من السلوك الإجتماعي يتعارض مع القيم الدينية كما احتوت ورقة العمل في مؤتمر المرأة ببكين على قضايا ترمي إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة أو التوسع في مفهوم الأسرة لتشمل كل ما لا يتصل برحم كالمخادنة أو اقتناء الحيولنات الأليفة أو تبني أطفالا غرباء وأن للشواذ الحق في تكوين أسر فيما بينهم ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين خارج إطار الزواج وهكذا يتكاتف المجتمع الدولي على تحويل الإنسان إلى كائن ممسوخ يجعل الجنس غايته والشهوة وجهته

وقد واجه مؤتمر بكين ما واجهه مؤتمر القاهرة من إعتراضات وانتقدات هذا ولقد كان الأزهر العظيم كالعهد به دائما صوت الحق الهادر فأصدر مجمع البحوث الإسلامية برئاسة شيخ الأزهر بيانا إلى الأمة يندد فيه بالقضايا اللأخلاقية التي أثارها مؤتمر القاهرة وبكين .

وسوف نسوق إليك عزيزي القارىء البيانين اللذين أصدرهما الأزهر بشأن مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ١٩٩٤ ومؤتمر بكين للمرأة عام ١٩٩٥

حتى يدمغ كل من يلصق بالأزهر وعلمائه التقصير فيما يمس عقيدة الأمة وشرائعها وأخلاقها .

---

(١) جريدة الشعب ٨ / ٩ / ١٩٩٥ ص ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بمناسبة

انعقاد المؤتمر الدولي للأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة

توشك الأمم المتحدة أن تعقد في القاهرة ، خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤ ، مؤتمرها الدولي للسكان والتنمية ، لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول في شق منه بعض أحكام الأسرة والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم ومدى الحق في الإجهاض وحق المراهقين في النشاط الجنسي .

والمطلع على هذا المشروع يرى أن مازخر به من تعبيرات فضفاضه ، وعبارات مطلقة ومصطلحات مبتدعه ، يوحي بأنه يرمي الى تبني نقيض ما وضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض في غير الحالات التي تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف الى حماية العلاقات الجنسية التي تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعي ، بما يهدم القيم التي تحرص عليها الأديان السماوية جمعاء ، ويؤدى إلى تشيع الفاحشة ، وتفشي الأمراض الوبيلة التي تنتقل عن طريق الإتصال الجنسي .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، إنطلاقاً من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن دوافع مسئوليته عن بيان الرأي فيما يحدث من مشكلات إجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع في يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤م للنظر في مشروع برنامج العمل المشار اليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولاً : فيما يتصل بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة ويسوي فيها بين المرأة والرجل لتساويهما في الإنسانية ويعطي لكل منهما الحق في إنشاء الزواج واستمراره ماوسعهما أن يقيما حدود الله مع أمرهما بالصبر على ما قد يكرهون فيه عسى أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، ويطالب بتنشئه الناشئة في الأسرة على الإيمان بالله والثقة في حكمته وحكمه ، ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد في خطواته من طفولته إلى شيخوخته ، ويجعل الرجل قواماً على الأسرة بحكم مسئوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها ، وحماية النشء ، وحملهم على الصلاة ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك في إعتبار الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء في المبدأ رقم ١٠ من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضاء عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأي منهم التدخل فيه ، بما يحمل على إغراء المراهقين بالإندفاع وراء غرائزهم ويعرضهم بالتالي للأمراض الفتاكة التي تنتقل عن طريق الإتصال الجنسي .

ثانيا : فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لايقر الإسلام أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي ، الذي يقوم بين الرجل والمرأة ، بشروط وأوضاع لا يؤتي ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط ، ولو تم بالرضا من الرشيدين ، ويمنع المقدمات التي تفضي اليهما كالخلوة والإختلاط الفاجر ، بل أنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى

لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال ، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص - كما حرصت سائر الأديان السماوية - على استقرار المجتمع على الطريق القويم الذي يكفل له القوة والمنعة صحيا ونفسيا واجتماعيا .

ومن ثم فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران آخر غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع ، أو بتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية ، كما تشير إلى ذلك المادة السابعة في فقرتيها الأولى والثانية . أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية - بما في ذلك تنظيم الأسرة - في متناول الجميع دون اشتراط الزواج كما توحي بذلك المادة السابعة في فقرتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

ثالثا : فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم إسقاطه مطلقاً ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب) إلا إذا كان هناك سبب طبي يقتضي المحافظة على حياة الأم ، لأنها أصل وحياتها متحققه ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل في الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم في سبيل جنين لم تستقل حياته بعد بل هو في الجملة كعضو من أعضائها ومن ثم فإن إباحة الإجهاض في غير الحالة الموضحة آنفاً ، يتناقض مع حكم الإسلام ، ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر ما يتصل بالمسائل الثلاث السابقة ، فذلك لا يعني أن المشروع قد برىء من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التي توحي بأمور غير مقبولة ، من أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى في حقوق الميراث الذي تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة

الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر ، كما جاء في الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة إلى تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته حتى لا تشتمل - ولو في مفهومها - على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية وثبت في قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور ، ويلفت النظر بشكل خاص إلى ما حوته المادة السابعة بفقراتها المتعددة ، وما انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطا للصياغة وإحكاما لها ، ويؤكد المجمع في هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصي عليه حتى لا تلزم الأمة الإسلامية بشيء منه .

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

حول مؤتمر المرأة الدولي ببكين

تعقد الأمم المتحدة في بكين خلال شهر سبتمبر من العام الحالي ، مؤتمرها الدولي الرابع المعني بالمرأة بهدف اتمام الموافقة على برنامج عمل أعد من قبل ، لتلتزم به الحكومات نفسها ، وقد ضيقت فيه المساحات القابلة للمناقشة ، بدعوى أنه قد تم حسم نقاط الخلاف في اللجان التي أعدت هذا البرنامج ، وآخرها اللجنة التاسعة والثلاثون التي انعقدت في نيويورك في الفترة من ١٤ شوال إلى ١٤ من ذي القعدة ١٤١٥هـ / ١٥ من مارس إلى ١٤ من أبريل ١٩٩٥م .

ومؤتمر بكين - هذا - يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة ترمي إلى ابتداع نمط جديد من الحياة ، يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة ، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هي التي حمت شعوباً ودولاً كثيرة من التردي في هوة الفساد الجنسي ، والسقوط في حومة الإضطراب النفسي ، ومستنقع الإنحلال الخلقي .

وقد هدف واضعوا البرنامج من ورائه إلى تدارك ما فاتهم إقراره في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، الذي انعقد خلال الفترة من ٢٨ من ربيع الأول إلى ٧ من ربيع الآخر ١٤١٥هـ / ٥-١٣ من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٤م ، ولذلك فإنهم يلحون على القضايا التي خذلهم فيها المجتمع الدولي ، والتي كانت تدور في شق منها حول مفهوم الأسرة وبنائها ، وتربية النشء ، والعلاقات الجنسية ، والإجهاض

وقد بلغت الجرأة بواضعي برنامج عمل مؤتمر بكين أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا في غيهم وازدادوا من لجاجتهم ، موغلين في اللعب بالألفاظ وفي تحريف الكلم عن معناه إلى المعنى الذي يتطلعون إليه ، كاستخدام كلمة "نوع GENDER" عشرات المرات بمعان مصرفة ترمي إلى إلغاء الفوارق

بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو بالذكر ولاهو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة الهدف .

سعي حثيث لتدمير الأسرة :

وفي خضم سعيهم إلى تدمير الأسرة ، لم يقنع واضعوا البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك في اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن غير طريق الزواج ، واعتبار هذا النشاط أمراً شخصياً لا يحق لأي منهما أن يتدخل فيه ، ولكهنم نادوا في جرأة فاحشة بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يقره الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً ، لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط ، وفي داخل الإطار الشرعي ، ولأنه لا يمنع الشواذ حقهم في تكوين أسر من بينهم ، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة الزوجية ، معتبرين أنها مجرد أدوار اعتادها الناس فيما درجوا عليه ، ويجب استبعاد الإلتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط ، بل إن واضعي هذا البرنامج ساروا في غيهم إلى أبعد من ذلك ، فطالبوا بالتغيير الجذري في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما في ذلك حق الرجال في إجازة "والدية " كالنساء ، والمساواة بينهما في الميراث مع تغيير القانون الذي يقف دون ذلك أيّاً كان مصدره .

انحراف واضعي البرنامج واضح :

ولا ريب في أن ما انحرف إليه واضعوا البرنامج يناقض تماماً ما يفرضه الإسلام ويحرص عليه ، من جعل الأسرة هي مصدر السكينة والمودة والرحمة وإعدادها لتكون موئلاً حصيناً وخصباً لتنشئة الأجيال على الإيمان بالله والثقة بحكمه وحكمته في ظل رعاية الدين تحكمها قواعد حاسمة ، تهذب ما طبعت على

النفس البشرية من غرائز ، وترعى ما جلبت عليه من ميول غير مصطنعة أو وليدة ظروف طارئة ، مع الحرص على أن تتبوأ المرأة مكانها المرموق ، ويتحمل الرجل عبء القوامة بحكم مسئوليته عن الأسرة وأفرادها ومتطلباتها . .

إن الإسلام لا يعرف ما يسمى بمشكلة المرأة فهي من إفراز حضارة غريبة عنه ، تقوم على الاستغلال والتفرقة ، ولا تتوافق مع ما يطنه من خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة مع المساواة بينهما في الحقوق والواجبات ، أما في مجال العلاقات الجنسية ، فإن واضعي البرنامج لم يقنعوا بإطلاق الحرية الجنسية بين المراهقين ، ذكوراً وإناثاً ، ولكن نادوا في ابتذال ممجوج بما مقتضاه أن يكون من حق المرأة والمراهقة أن تحدد الدور الذي تريد أن تتعامل على أساسه ، ذكراً أو انثى أو دون ذلك ، وأن تمارس علاقتها الجنسية مع من تريد ، رجلاً كان أو إمرأة وأن على الدول والمؤسسات الحكومية أن تسمح بذلك ، فالدعارة ليست خطأ إلا في حالة فرضها على المرأة .

وبذلك يكشف واضعوا البرنامج عن تناقضهم الفاضح مع ما جاءت به الأديان السماوية كلها بما في ذلك الإسلام الذي لا يقر أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي بين رجل وامرأة ، فهو يحرم الزنى واللواط والسحاق وما يفضي إليها من اختلاط فاجر ، ويساوي بين الذكر والأنثى دون خلط بينهما ، أو افتئات على طبيعة كل منهما .

اغتيال حقوق الشعوب :

على أن المتأمل في البرنامج يدرك فيه اغتيالاً فاضحاً لحقوق الشعوب ، ووصاية منبوذة على الدول وذلك يتمثل بشكل أوضح فيما يراه واضعوه من الحد من اعتبار الدين عائقاً في سبيل المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، أو عقبة في طريق تنفيذ أي شق في برنامجهم المقيت ، وفيما يلزمون به الدول من تنظيم برامج

تعليمية لحث الشباب على تحمل المسئولية الجنسية وفقا لتوجيههم - هم - وفيما يفرضونه من تخفيض النفقات العسكرية وتحويل المبالغ التي تنفق على شراء السلاح إلى تنفيذ برنامجهم ، وفيما يكلفون به الدول من تقديم تقارير إلزامية دورية من الأسلحة التي بحوزتها سواء أكانت ذرية أم كيماوية أم ميكروبية مع التهديد بقطع المعونات التي تقدمها الدول الفنية وتوجيهها إلى تنفيذ هذا البرنامج ، وحث صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، والعديد من المؤسسات المالية الأخرى على القيام بدور فعال في هذا الشأن ، ومنح المنظمات غير الحكومية بما في ذلك المنظمات النسائية ، وذات الميول الشاذة ، والمنظمات الدولية ، سلطات خطيرة في الرقابة ، وفي مراجعة ما قد تبدية الدول من تحفظات على البرنامج تمهيداً لإلغائها أياً كان مصدرها .

متمسكون بموقفنا السابق :

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أداء لواجبه قبل المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي ، ليعلن تمسكه بما فصله في بيانه الذي أصدره بمناسبة مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، ويتحفظ ، ويطالب الدول والشعوب بإعلان التحفظ على ما ورد في برنامج بكين مما يخالف الشريعة الإسلامية وسائر الأديان السماوية ، أو يتناقض مع القيم الإجتماعية والثقافية الراسخة ، لا سيما ما يتعلق بشكل ونظام الأسرة في هذه الأديان ، وإطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به ، وإباحة الإجهاض إلا في حالة الحفاظ على حياة الأم .

إن مجمع البحوث الإسلامية لينبه من جديد إلى خطورة الدعوى التي ينطوي عليها برنامج عمل بكين ، ومناقضته الإسلام وسائر الأديان السماوية واستهدافه لتحطيم القيم الدينية والإجتماعية والخلقية التي عصمت البلاد والعباد من أن تتردى في حضيض الرذيلة أو تتلوث بالأمراض الجنسية الخطيرة التي برزت في هذا العصر ، ويدعو المجتمع إلى الحفاظ على مقتضى خلق الله للإنسان ذكراً أو أنثى ، وإلى الله الإيمان بأن تحدى الأحكام التي أنزلها الله لتحكم العلاقات

الإنسانية بالتحريض على هدم القيم يورث الفساد ، وإن إشاعة الفاحشة لا يرجى من ورائها تنمية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو صحية أو غيرها ، وإنما توقع المجتمع الإنساني عامة والإسلامي خاصة في المحظورات التي حرمها الله في القرآن ، وفيما جاء في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

إن مجتمع البحوث الإسلامية ليطالب الدول الإسلامية والشعوب التي تبتغي الحياة النقية ، كما كما تبغي الفضل والفضيلة ، بأن تستمر على الإحتفاظ بنقائها في السلوك والأخلاق ، مع الحرص على كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة ، حفاظاً على المجتمع الإنساني من السقوط في الهاوية التي تقضي إليها تلك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقف بالمرصاد ضد دعاوي التخريب والهدم الذي يسعى إليه واضعوا برنامج بكين ، وأن يحولوا بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبل .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة في بكين ما سبق أن دعا إليه دول مؤتمر القاهرة من تعديل صياغة مشروع البرنامج المعروض في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة ، والمنتظر عقده في بكين خلال شهر ربيع الثاني ١٤١٦هـ / سبتمبر ١٩٩٥ وضبط عباراته حتى لا تمتد - ولو في مغزاها - إلى ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية الأخرى ، وثبت في قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور ، ويؤكد المجمع في هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصي بالتحفظ عليه حتى لا تلزم الأمة الإسلامية بشيء منه .

﴿ والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

شيخ الجامع الأزهر

ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاد الحق علي جاد الحق

وهكذا يلاحظ أن الفكر الفرويدي المدعوم من الصهيونية العالمية أخذ طوراً خطيراً في انهيار العقائد وتحطيم الروابط الأسرية وأن الأمم المتحدة التي عجزت وفشلت في وقف حمامات الدم في الصومال والبوسنة ووقفت عاجزة أمام التوسع الإستيطاني اليهودي الذي سخر من كل قرارات الأمم المتحدة تتجه الآن للإجهاز على ما تبقى لدى الشعوب من دين وخلق تؤازرها في ذلك وتتآمر معها أمريكا ومن يدور في فلكها وسوف تكون الدول التي تتبنى هذا الإنحراف أول من يتجرع سمه ويكتوي بناره فقد كشفت الإحصائيات : [1] أن ٢٣ مليون أمريكي تعاطوا المخدرات خلال ثلاثين يوماً من إجراء هذا البحث ، ومن بين هؤلاء ستة ملايين يشمون الكوكايين بشكل منتظم أما طلبة المدارس فإن ٥٠٪ منهم يدخنون الماريجوانا وواحد من كل سبعة يشم الكوكايين وقد وصلت خسائر المخرات إلى ٦٠ بليون دولار كذلك تتعرض ٣٠٠ إمرأة للإغتصاب يومياً وتتعرض إمرأة لسوء المعاملة كل ٨ ثوان .

كما أن ثلث النساء في أمريكا والنرويج وهولندا ونيوزلاند تعرض لتشوهات جنسية نتيجة اعتداءات أو تجاوزات جنسية والفتيات اللاتي تعرضن لتشوهات جنسية ما بين ٨٥ إلى ١٤٤ مليون سنويا . وإن عمليات الإجهاض دون استخدام طبيب تؤدي إلى وفاة إمرأة كل ثلاث دقائق ويقدر النساء اللائي يلقين حتفهن بسبب الإجهاض ١٠٠ ألف إمرأة كما تكثر مشاكل الحمل بين المراهقات .

كما وصلت جرائم القتل عام ١٩٩٣ إلى ٢٥ ألف جريمة قتل وفي السجون الأمريكية أكثر من ثلاثة ملايين سجين هذا فضلا عن المصابين بمرض نقصان المناعة (الإيدز) . ١ـ جريدة الشعب ٢٨ / ٤ / ١٩٩٥

كذلك الوباء المدمر الذي أصاب البشرية بالذعر والخوف ووقف الطب عاجزاً أمام فتكه إنما هو (جزاءً ووفاقاً) للإنحراف الخلقي والشذوذ الجنسي والبعد عن منهج السماء ورسالات الأنبياء وسلوك الأتقياء .

---

(١) جريدة الشعب ٢٨ / ٤ / ١٩٩٥

الإسلام والجنس

سبق أن أوضحنا أن فرويد جعل من الجنس عقيدة تؤثر في الإنسان عبر مراحل حياته وتنفخ أوداجه زهواً بآرائه حول ما زعمه « جنسية الطفولة » حيث يقرر أن الطفل يمر بأربعة مراحل (١) .

المرحلة الأولى :

المرحلة الفمية : حيث يتلذذ الطفل من منطقة الفم - الشهوية على حد تعبير فرويد - فهو يشعر بلذة جنسية حيث يرضع ثدي الأم ويمارس الطفل نشاطه الجنسي من هذا الطريق .

المرحلة الثانية :

هي المرحلة السادية (٢) الشرجية : فالطفل بعد أن تبدأ أسنانه في الظهور لا يشعر باللذة الكاملة فيبدأعنده شعور بالإحباط والتوتر والقلق وينزع للعدوان الذي يزداد بصدمة الفطام فيتحول موضوع اللذة من الفم إلى الشرج حيث يشعر الطفل بلذة جنسية أثناء عملية الإخراج ثم تصادر هذه اللذة حين تقوم الأم بضرب الطفل وتوجيهه نحو ضبط عملية الإخراج فيصاب الطفل بصدمة ثانية أمام هذه القيود ، وينشأ عنده صراع بين الإمتثال للقيود وبين الشعور باللذة فيتحول موضوع اللذة إلى مكان آخر من جسم الطفل حيث يمص إصبعه أو يتلذذ من اقترابه من أمه وربتها عليه وتقبيلها له .

المرحلة الثالثة :

المرحلة القضيبية : وفيها يكون للقضيب عند الولد وما يناظره عند البنت أهمية كبرى ويكون مصدر اللذة عند الطفل في هذه المرحلة هو لمس أعضائه التناسلية ويترتب على هذه المرحلة أن ينشأ عند الطفل عقدة « أوديب » (٣) وعند البنت عقدة « اليكترا » (٤)

---

(١) نظرية التحليل النفسي عند فرويد د . سعد الدين صالح ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) خروج اللذة من الألم مرض نفسي يطلق على هؤلاء الذين يتلذذون بتعذيب الآخرين .

(٣) عقدة أوديب : هي اتجاه الطفل بنزعاته الجنسية نحو أمه وحينما يجد الأب عائقا له يشعر بالكراهية تجاه أبيه ويكبت مشاعره نحو أمه خوفاً من والده فتنشأ العقد النفسية .

(٤) عقدة إليكترا : هي اتجاه البنت بمشاعرها الجنسية نحو أبيها غير أنها تكبت هذه المشاعر فتولد لدى البنت مشاعر الكراهية ضد أمها .

المرحلة الرابعة :

وفي هذه المرحلة تظهر نزعة الإختلاط بين البنين بعضهم وبعض البنات بعضهن وبعض ويحتقر البنون البنات لضعفهن وتحتقر البنات البنين لخشونتهم وربما كان سبب هذا الانفصال حداثة الإحساس الجنسي وبدء النظر إلى الجنس الآخر نظرة جديدة تجعل كلا منهما حذراً من الآخر .

وهكذا جعل فرويد الجنس شيئا حتمياً وغاية لحياة الإنسان وموجها لسلوكه ومؤثراً في عواطفه وانفعالاته ومنشأ عقيدته الدينية وروابطه الأسرية والاجتماعية ولقد تبنى شياطين الإنس من اليهود ومن دار في فلكهم هذا الفكر المدمر ليكون الجنس سمةً من سمات هذا العصر يساعدهم في ذلك وسائل الإعلام الحديثة والتقنية العلمية من خلال البث الإعلامي المباشر وغير المباشر حيث أصبح الإنسان على مدار الأربعة والعشرين ساعة لا تبرح عيناه مشاهد الجنس الفاضح والإثارة الواضحة مما تسبب عن ذلك إفساد فطرة الإنسان لذا رأيت أن أختم هذا البحث عن موقف الإسلام من الجنس .

موقف الإسلام من الجنس :

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم واستخلفه في أرضه واستأمنه على بعض أسرار كونه وفضله على سائر المخلوقات . قال الله تعالى : (١)

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

ولكي يحقق الإنسان الهدف من خلقه والغاية من وجوده أودع الله بين خلجات قلبه وحنايا نفسه أنواعاً من الغرائز تتفاعل داخل كيانه وتتدافع في تعادل إلهي دقيق وتوازن معجز ومن هذه الغرائز :

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠ .

١ ـ غريزة حب النفس والحرص على الحياة

٢ ـ غريزة حب التملك والإقتناء

٣ ـ غريزة الخوف .

٤ ـ غريزة الغضب .

٥ ـ غريزة الهرب .

٦ ـ غريزة القهر والغلبة .

٧ ـ غريزة المأكل والمشرب .

٨ ـ غريزة المحاكاة والتقليد وحب الإستطلاع .

٩ ـ الغريزة الاجتماعية .

١٠ ـ غريزة الوالدية .

١١ ـ الغريزة الجنسية .

هذا الغرائز التي تظهر كالمرجل داخل كيان الإنسان وكل غريزة تتزلجم لبسط سلطانها على سلوكه وتصرفاته وتلك الغرائز ليست غاية في ذاتها وإنما هي بأعراضها ومؤثراتها وسائل لغايات تعين الإنسان على تحمله الأمانة التي خلقه الله من أجلها .

موقف البشر تجاه الغرائز :

١ ـ إطلاق العنان للغرائز

حيث يطلق الإنسان العنان لغرائزه كالجواد الجامح الذي لا يوقفه شيء فليس ثمت رادع لغرائزه وشهواته من دين سماوي أو عرف اجتماعي فيهبط إلى مرتبة الحيوانية التي خلقها الله تركض وراء شهواتها دون عقل وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : (١)

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك الغافلون ﴾

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩

فهذا الصنف من البشر تتحكم فيهم غرائزهم ويضعفون في السيطرة عليها فيسلمون أنفسهم لها فتلقي بهم إلى هاوية سحيقة في الدنيا حيث تطبق عليهم الحدود الشرعية أو يقعون تحت طائلة القانون ثم في الآخرة عذاب شديد .

٢ ـ الحرمان من الغرائز :

وذلك أن يحرم الإنسان نفسه من طيبات ما أحل الله فيكبت تلك الغرائز ويعمل على وأدها تحت دعاوى التقشف والزهد والرهبانية وهذا مناف لحكمة خلق الإنسان ومصادمة لسنن الفطرة التي فطر الله الخلق عليها وتعطيل تلك الغرائز أو حرمان النفس منها مناف لوحي السماء ورسالات الأنبياء ، كما أن تجاهلها وإضعافها يقضي على التدافع والتنافس بين بني الإنسان حيث ينعدم التوازن والتعادل بين البشر فيختل ميزان الحياة وتطمس معالم الفطرة قال الله تعالى :[1]

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ .

٣ ـ الإطار الإسلامي لضبط الغرائز :

بأن توضع تلك الغرائز في حدود ما خلقها الله لأجله وفي إطار ما شرعه الله لأداء وظائفها دون كبت أوحرمان ، ولا اندفاع جنسي مسعور يهتك الأعراض ويستبيح المحرمات .

والإسلام العظيم بشرائعه الخالدة ونظمه الرائدة يقف من الغرائز موقفاً وسطاً وعدلا بين المغالاة والتفريط ، فهو ينظم تلك الغرائز ويوجهها لما فيه خير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة .

ولسنا بصدد بيان تلك الغرائز وسيطرة الإسلام عليها والارتقاء بها ، فليس هذا مجال بحثنا ولكن نخص الغريزة الجنسية التي أشعل فرويد فتيلها ، ثم عمل اليهود والنصارى وأصحاب النحل الفاسدة على إشعال لهيبها حتى غدا هذا

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٢

العصر هو عصر الجنس الذي انفلت عقاله ، وحطم أمامه في تهور مجنون حواجز الدين والأخلاق ، وهذا ما تهدف إليه الصهيونية العالمية من خلال التلمود وبروتوكلات حكماء صهيون ، وما تبشر به بعض المذاهب الفكرية المعاصرة

الغريزة الجنسية بين ظلال الإسلام :

أشار القرآن الكريم إلى الغريزة الجنسية ضمن غرائز أخرى في قوله تعالى [١]

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيره : [٢]

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء ﴾

فهي شهوات مستحبة مستلذة وليست مستقذرة ولا كريهة ، والتعبير لا يدعو إلى إستقذارها وكراهتها إنما يدعو فقط إلى التطلع إلى آفاق أخرى .

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة وقبولها بواقعها ومحاولة تهذيبها لا كبتها ولا قمعها ، والذين يتحدثون في هذه الأيام عن أضرار « الكبت » ، وعن العقد النفسية التي تنشأ عنه يقرون أن السبب الرئيسي للكبت هو الضبط ، وليس هو تعليق الفعل وعدم تنفيذه ، ولكن هو استفزاز دوافع الفطرة الأصيلة واستنكارها من الأساس مما يوقع الفرد تحت ضغطين متعارضين : ضغط من شعوره الذي كونه الإيحاء أو كونه الدين [٣] أو العرف - بأن دوافع الغريزة والفطرة دوافع قذرة لا يجوز وجودها أصلا وإذا وجدت فهي خطيئة ودافع شيطاني تتحتم مقاومته .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤

(٢) في ظلال الإسلام ج- ٣ ص ٥٦ طبعة أولى

(٣) المراد بالدين هنا ليس الإسلام ولكنه يقصد النصرانية التي تستقذر الجنس وتدعو للتبتل والرهبنة .

وضغط من هذا الدافع الذي لا يغلب لأنه عميق في الفطرة ولأنه ذو وظيفة أصيلة في كيان الحياة البشرية لا تتم إلا به ولم يخلقه الله عبثاً في الفطرة وعندئذ تتكون العقد النفسية ، أما الإسلام فقد ضمن سلامة الكائن الإنساني من هذا الصراع بين شطري النفس البشرية بين نوازع الشهوة واللذة وأشواق الإرتفاع والتسامي وحقق لهذه ولتلك نشاطها المستمر في حدود التوسط والاعتدال »

هذا ولقد حدد الإسلام العلاقة الجنسية في إطار ميثاق غليظ وعقد مقدس وثيق وهو الزواج ووضعت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ضوابط تلك العلاقة حيث شرع الزواج وما يتعلق به من أحكام مدونة في كتب الفقه ثم ارتقى الإسلام وتسامى بالعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة فهي ليست نزوة عابرة ونزعة طائشة يتلذذ بها كل منهما فإذا ما فرغا منها مضى كل منهما إلى حال سبيله كالحيوان بل جعل تلك العلاقة الجنسية . وسيلة لغاية أسمى وأرفع إنها السكن والمودة والرحمة قال تعالى : (١)

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

ثم إن استمرار أداء تلك الغريزة بين الزوجين استمرار لدوافع المودة والرحمة وإضفاء لمظلة المحبة والعطف والحنان بينهما ، لذا يلاحظ أن الغريزة الجنسية بين بني الإنسان تمارس في جميع الأحوال إلا ما نهى عنه الشرع الحكيم كأوقات الحيض والنفاس لتظل جذوة التجاذب متصلة متقدة قال تعالى : (٢)

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ .

بخلاف الحيوان فإنه لايمارس الجنس إلا في حالة استعداد أنثاه للحمل فإذا حملت لا يقربها ولا تميل إليه لأن وظيفة الغريزة الجنسية في الحيوان هي لبقاء النوع لا لتكوين الأسرة .

---

(١) سورة الروم آية ٢١ (٢) سورة البقرة آية ٢٢٣

هذا ومما تجدر ملاحظته أنه في حمى السعار الجنسي المحموم الذي تعقد له المؤتمرات وتروج له أجهزة الإعلام في هذه الأيام ما يثار نحو الثقافة الجنسية بين المراهقين والدعوة إلى إضافة مادة ثقافية للطلبة والطالبات في المدارس عن كيفية الممارسات الجنسية وكيفية التخلص من الحمل المبكر أو الحمل المزعج للزوجين وذلك بتقنين الإجهاض وإباحته واستخدام عوازل طبية وتوزيعها على الشباب من الجنسين.

كل هذه دعوات خبيثة لتدمير الأسرة وقتل العفه ووأد الحياء فإن الممارسة الجنسية غريزة يلهم الله لذكر والأنثى من كل نوع إليها وإنني أسأل هؤلاء القوم الذين أعمى الله أبصارهم وفسدت بصائرهم هلا نظرتم إلى زوجين من الحمام فعلا وهما يمارسان مقدمات اللقاء الجنسي بينهما وكيف يتناجيان ويميل كل منهما على الآخر ؟ وكيف يتلامس منقار كل منهما ؟ وكيف يخفض كل منهما للآخر جناحه في حب عميق وعطف وتبادل ، فإذا ما قضيا وطرهما انتفض كل منهما نافضا ريشه كأنه يقشعر هل هذا في حاجة إلى ثقافة ؟ وهل في حاجة إلى من يوجهه إلى ممارسة الجنس ؟ إذا كان هذا شأن الطيور والحيوان فما بال الإنسان الذي يعقل ويعي ؟

ألا ساء ما يدعون إليه ويروجون له .

كيف ينظم الإسلام الغريزة الجنسية ؟

الغريزة الجنسية كغيرها من الغرائز تولد مع الإنسان تترعرع وتبسط سيطرتها وفق عوامل كثيرة أهمها :

١ ـ ما فطر الله بني الإنسان عليه من المشاعر والعواطف والغرائز التي تنمو وتتسع مداركها ، وتبرز وظائفها خلال نمو الإنسان .

٢ ـ عامل الوراثة المشترك بين الأب والأم . .

٣ ـ الأسرة : فالأب والأم مدفوعان إلى العناية بأولادهما بوحي الفطرة والغريزة التي أودعها الله في قلبيهما .

٤ ـ المدرسة : حيث يخرج الطفل من دائرة المنزل إلى دائرة أوسع ، ويبدأ الاتصال المباشر بالحياة الاجتماعية من خلال المدرسين وأصدقائه الطلاب .

٥ ـ المجتمع والبيئة : حيث يعيش الإنسان طوال عمره متأثراً بها متفاعلاً معها وتنعكس صورة المجتمع دينياً وأخلاقياً واقتصادياً وسياسياً على تصرفاته إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وما أعظم الوصف القرآني الدقيق المعجز لآثار البيئة ونتائجها . قال تعالى : (١)

﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً . كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾

وقد قسم علماء التربية حياة الإنسان إلى أطوار متباينة ، وهي :

١ ـ طور الطفولة .

٢ ـ طور المراهقة .

٣ ـ دور الفتوة والشباب .

٤ ـ مرحلة الشيخوخة والهرم .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٨

ولقد أشار القرآن الكريم إلى تطور حياة الإنسان في قوله تعالى (١)

﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً . ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ .

وكل مرحلة من هذه المراحل لها بين ظلال الإسلام رعاية وتوجيه ولا سيما منذ أن يعقل الإنسان ويميز وتبدأ أعضاؤه التاسلية تستعد لأداء وظائفها ويعي الأمور التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة وتتصل بالزواج .

والإسلام العظيم بشرائعه المتميزه ونظمه المتفردة يضع الأحكام الشرعية التي تتناسق مع سنن الفطرة لتهذيب غريزة الجنس وتنظيمها قبل الزواج وبعد الزواج وذلك على النحو التالي : -

أولا : مرحلة ما قبل الزواج :

وهذه المرحلة تمر في طورين :

أ - من الميلاد حتى العام السابع .

ب - من العام السابع إلى العام الرابع عشر

المرحلة أ - حيث يستقبل الطفل الحياة فتستيقظ مشاعره وتتنبه حواسه ويدفع بوحي الفطرة والإلهام الإلاهي لما يحافظ على حياته واستمرارها فيتجه إلى ثدي أمه لا إراد يا ثم يؤدي الجسد الصغير وظائفه المختلفة وفق خلق الله البديع .

قال تعالى : (٢)

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾

---

(١) سورة غافر آية ٦٧

(٢) سورة النحل آية ٧٨

والطفل في هذه المرحلة لا يسأل عما يفعل حيث إنه غير مميز فيرفع عنه التكليف ولا حرج عليه حيث إن مناط الأحكام الشرعية يتوقف على البلوغ . قال ﷺ : (١)

« رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل » . والمراد بالإحتلام البلوغ .

وهذه المرحلة مع إنها غريزية وفطرية في الإنسان غير أن الإسلام العظيم بشرائعه المتميزة يستقبل المولود بين ظلال تشريعاته وسمو توجيهاته حيث شرع له في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يوقظ فيه سجايا الفطرة ومن ذلك :

أولا : أ - أن يؤذن في أذنه اليمنى وتقام الصلاة في أذنه اليسرى :

روى أبو داود والترمزي عن أبي رافع أنه قال :

« رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة » .

ثانيا : التسمية : حيث يسن اختيار الاسم الحسن فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » .

ثالثا : الرضاعة وما يعلق بأحكام النفقة والرعاية والحضانة قال الله تعالى :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ .

رابعاً : العقيقة : ولها آداب وأحكام في كتب السنة والفقه .

---

(١) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن والحاكم وهو صحيح على شرط الشيخين وحسنه الترمذي

خامساً :الختان :

إذا كنا بصدد الحديث عن تنظيم الإسلام للغريزة الجنسية فإن الختان هو أول مراحل هذا التنظيم وسوف نلقي الضوء على تعريفه وحكمة ومشروعيته وفوائده وكيفيته للذكر والأنثى لأن ختان الأنثي يتعرض لحملة ظالمة ومسعورة من أعداء الإسلام ومن بعض أبناء المسلمين الذين تربوا على موائدهم وفي نفس الوقت يجهلون الإسلام وحكمة شرائعه ولقد بلغت هذه الحملة ضرواتها إبان مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ وذلك حينما قامت شبكة ال cnn بتصوير عملية ختان بصورة فجة وقميئة لطفلة مسلمة في الدرب الأحمر بالقاهرة ونقلت عبر الأقمار الصناعية وظهرت الطفلة وهي تصرخ بينما والدها يساعد حلاق الصحة الذي يقوم بهذا والأم تزغرد وسط صخب وضجيج الحاضرين .

وقد أحدث هذا الفيلم تشويها للإسلام وعدوانا صارخاً على أمر من سنن الفطرة وحشد لهذا التشويه لفيف من الأطباء ورجال الإعلام والفن والقانون وتتعالى صيحات لدفع مجلس الشعب لإصدار تشريع يحرم الختان .

هذا ولقد كان الأزهر كالعهد به فوقف بشيخه وعلمائه يندّب هذه الحملة وينقد هذا التشويه ويبرز صورة الإسلام الواضحة النقية التي تحمي الفطرة وتصون العفاف .(١)

وسوف نعرض في ايجاز تعريف الختان وفوائده

١ ـ الختان ـ بالكسر ـ : (٢) ختن الغلام والجارية يختنهما ويختتنهما ختنا والإسم الختان والختانة وهو مختون .

وقيل الختن من الذكر وموضع القطع من نواة الأنثي

---

(١) يراجع بيان للناس من الأزهر الشريف النشرة كلية أصول الدين بالزقازيق العدد السابع ص ٦٦٧

(٢) يراجع لسان العرب ص ١٢١١

٢ ـ الخفض الخافضة هي الخاتنة ، وخفض الجارية يخفضها خفضا وهو كالختان للغلام (١)

فالخفض ختان الجارية قال ﷺ لأم عطيه

« إذا خفضت أي إذا ختنت الجارية فلا تستحتي

فالختان من الذكر هو قطع القلفة (أي الجلدة) على رأس الذكر

أما عن ختان الأنثى فله صور ثلاث منها لا يقرها الإسلام وهي :

١ ـ استئصال الشفرين الصغيرين .

٢ ـ استئصال الشفرين الصغيرين مع البظر .

٣ ـ استئصال الشفرين الصغيرين والكبيرين مع البظر .

وهذه الأنواع الثلاث تشكل خطورة على الممارسة الجنسية بعد الزواج كما تؤدي إلى البرود العاطفي وتحدث نوعا من النفور بين الزوجين وتعتبر موضلا لتعاطي المخدرات والمسكرات وما ينتج عن ذلك من المشاكل الأسرية البعيدة وهذا اللون من الاختتان كانت تمارسه الشعوب القديمة البعيدة عن وحي السماء ورسالات الأنبياء والإسلام العظيم يأباه ويحرمه لأنه يحقق خطرا على الغريزة الجنسية وعليه يمكن أن يحمل اعتراض المعترضين .

٤ ـ ما يقره الإسلام :

الخفض والإشمام : تهذيب جزء من البظر وهو الجلدة التي في أعلى الفرج ويسمى إشماماً وهو قطع القليل أشبه بإشمام الرائحة .

وهذا ما يتوافق مع الفطرة وأمر به الإسلام ووجه اليه الرسول ﷺ موضحا فوائده في حديث أم حبيبة التي عرفت بختان الجواري فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها . يا أم حبيبة هل الذي كان في يدك اليوم ؟ قالت نعم يا رسول الله إلا أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٢١١

يكون حراما فتنحاني في عنه فقال رسول الله ﷺ بل هو حلال « فادن » مني حتى أعلمك فدنت منه فقال ياأم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج .

هذا وإن إطلاق لفظ الختان فيما يوجب الغسل في أحاديث الرسول مما يرجح مشروعيته بالكيفية الشرعية فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إذا قعد بين شعبها الأربع ثم ألزق الختان بالختان فقد وجب الغسل » وهذا حديث حسن صحيح .

كما ورد الحديث عن أبي موسى الأشعري أنه سأل عائشه رضي الله عنها عن التقاء الختانين فقالت : قال رسول الله ﷺ

« إذا التقى الختانان أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

وقد أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون على أن الختان مستحب للأنثى وليس بواجب إلا في رواية للإمام أحمد بن حنبل حيث ذكر أنه واجب على الرجال والنساء .

هذا وإذا ما كنا بصدد بيان تنظيم الإسلام للغريزة الجنسية فإن ختان الذكر وخفاض الأنثي يحمل بين ثناياه العديد من الفوائد منها

١ - بقطع القلفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية ويتخلص من السيلان الشحمي المقزز للنفس ويحال دون إمكان النفخ والإنتان .

٢- بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

٣ - يقلل الختان إمكانية الإصابة بالسرطان وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث في الأشخاص المتضيقة قلفتهم بيد أنه نادر جدا في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان .

٤ - إذا شرع في ختان الطفل أمكن تجنبه الإصابة بسلس البول الليلي

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠٢ ص دار المعارف (٢) المرجع السابق ص ١٢١١

٥ - يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين .

٦ - وختان الأنثى يعود عليها بالفوائد الصحية والنفسية التي تهيؤها لحياة زوجية طبيعية ومستقرة بشرط أن يتم بما أمر رسول الله ﷺ .(١)

مما سبق يتضح أن ختان الذكر وخفاض الأنثى هما أول الطريق الصحيح لتنظيم الغريزة وتهذيبها وكبح جماح إثارتها وتهييجها ولا سيما في فترات ما قبل الزواج .

سادسا : توجيه الفتى والفتاه إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وإبعادهم عن المؤثرات الجنسية :

إن منهج التربية في الإسلام يختلف اختلافا كبيراً عن مناهج التربية الحديثة فبينما نجد رجال التربية والإعلام يركزون على نمط من السلوك معين لا يتجاوزونه فمقررات التربية والتعليم تربي العقول على فوائد التعليم نظرية أو عملية بينما تسقط من مقرراتها توجيه القلوب ولا تهتم به في مناهجها فهي تتعامل مع الدارسين من خلال عقولهم وحواسهم فقط أما تزكية القلوب وتنمية المشاعر إلى ينابيع الخير وتهذيب الغرائز ولا سيما الغريزة الجنسية فلا يلتفت إلى ذلك ونجد كذلك أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمنظورة تركز على تحريك المشاعر نحو الجنس واشباعه ولو بطرق غير مشروعه وتحاصر الإنسان إعلاميا بمشاهد الجنس المثيرة مما يحبس قضاء تلك الرغبة بعيدا عن إطار الزواج أمرا مباحا بل مظهرا من مظاهر التقدم والحضارة وكذلك الاهتمام بالتربية البدنية من خلال بعض الألعاب الجماعية .

واشباع صفات البطولة والنجومية على اللاعبين واغداق الأموال الطائلة عليهم فانتقلت المثالية والبطولة من ميادين الجهاد في سبيل الله وساحات المصانع والمعامل والمزارع إلى ساحات الأندية وقاعات اللهو وبرامج الهوى والغرام ومسلسلات الرعب مما أحدث خللا في السلوك وانهيار للقيم الإجتماعية

---

(١) شرح السنن الإمام البغوي ج ٢ ص ٣ باب ما يوجب الغسل . ج ٢ ١٤١٦

(٢) تربية الأولاد في الإسلام عبد الله ناصح علوان ج ١ ص ١١٧

ما الإسلام العظيم من خلال شرع الله الحكيم المنزل على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وعبر التطبيق العملي لسلوك الصحابة الذين تربوا على موائد القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فهو يتناول حياة المسلم في كل جوانب الحياة فوظائف الجسد لها في الإسلام توجيه منظم وانضباط لا تتجاوزه ، وقواعد السلوك الإجتماعي والآداب العامة لها في رياض الإسلام منهج يحترم وحدود لا يتخطاها المسلم فإذا تجاوزها فهناك العقوبات الشرعية ، وسخط الله عز وجل أكبر عقوبة ، ثم أن الإسلام بمنهجه الفريد الرائد المتميز لا يولي اهتمامه إلى جانب واحد من جوانب النفس الإنسانية ولكنه يهتم بكل دقائق الإنسان فالتشريعات والأوامر والنواهي والوعد والوعيد كلها مجتمعة في تناسق وتعادل وميزان دقيق لضبط سلوك الإنسان وتصرفاته وتهذيب غرائزه وتوجيه عواطفه وانفعالاته فحينما ينظم الإسلام الغريزة الجنسية في مرحلة ما قبل الزواج لا يصادمها مصادمة مباشرة ولا يواجهها مواجهة سافرة ولكنه يهذبها بالعديد من الآداب ويحوطها ببعض التشريعات ويوجه طاقة الإنسان ورغباته إلى آفاق وميادين أخرى تصرفه مؤقتا عن داعي الجنس وسوف نسوق اليك عزيزي القارىء تشريعات الإسلام العظيم لتنظيم الغريزة الجنسية من خلال توجيه الفتى والفتاة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وإبعادهم عن المؤثرات الجنسية الضارة ومن ذلك ما يلي

أولا التوعية العقائدية والأخلاقية :

فمنذ أن يدرك عقل الإنسان وتتنبه حواسه وتستيقظ مشاعره يجب أن يوجه إلى عقيدة الإسلام وأن نحيي في قلبه داعي الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها وأن تبرز بين حنايا نفسه العهد الذي أخذه الله على بني آدم في قوله تعالى : (١)

﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ..... ﴾

---

١ - سورة الأعراف آية ١٧٣

وتتم تلك التربية بأسلوب مبسط يتلائم مع عقل الطفل ومداركه روى الحاكم مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما :

عن النبي ﷺ قال « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » هذا بجانب أن يتعود الطفل منذ نعومه أظفاره أن يؤدي شعائر الإسلام روي الحاكم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع »

فإذا ما درج الطفل على أداء العبادات فإن هذا يغرس في نفسه حلاوة الطاعة وكراهة المعصية فتكبح جماح الغريزة الجنسية فالصلوات الخمس بأوقاتها خلال اليوم والليلة تجعل المسلم دائم الصلة بالله فلا يجد مجالا للإنحراف فإذا ما تحركت الغريزة الجنسية فإنه يجد من عبادته حافظاً ومانعاً . قال تعالى : (١)

﴿ أتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

كذلك الصوم فإنه يكسر حدة الشهوة ويحد في النفس رغبات الجنس وإثارته لهذا وضعه ﷺ علاجا للشباب الذين لا يقدرون على الزواج فقال ﷺ:

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٢) رواه الخمسة .

ويجانب قعود الفتى والفتاه أداء العبادات فيجب أن يتربيا على الفضيلة ومكارم الأخلاق وأن يتمرسا منذ نعومة أظفارهم على أن يعرفوا الحلال والحرام وأن يألفوا الصدق والأمانة والعفة والحياء أن يغرس بين عقولهم وقلوبهم المحافظة على

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥

(٢) أي قاطع لثوران الشهوة كالوجاء الذي هو قطع الخصيتين لمنع الشهوة فهو تشبيه بليغ من الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأعراض وألا يقترب منها إلا من خلال الزواج .

وآيات الذكر الحكيم والسنة النبوية الشريفة بنابيع فياضة توجه الشيء إلى معالي الأمور وتصرفه عن دنياها

ثانيا : البعد عن المؤثرات الجنسية :

الغريزة الجنسية في مرحلة ما قبل البلوغ وسن التمييز هادئة ساكنة أما بعد هذا السن أو ما يعبر عنه بمرحلة المراهقة فإن الغريزة الجنسية تستيقظ وتتنبه وتستجيب لأدنى إثارة وتتحرك لأتفه سبب فإن لم يكن لها عاصم من دين وخلق وعرف اجتماعي فإنها لا تلوي على شيء وينطلق الإنسان لإشباع رغباته الجنسية من طريق الحرام دون النظر لما يترتب عن ذلك من هتك للأعراض وانتشار للفاحشة واختلاط للأنساب وتعرض للأمراض وتزلزل للأسر والمجتمع لفقد أهم مقوماتها وهو صون العرض وقدسية العفاف وضياع النخوة بين الرجال وموت الحياء لدى الفتيات وهذا ما يهدف اليه اليهود ومن يدور في فلكهم من خلال نظرية فرويد وعبر ما تبثه شبكات الإعلام من ترويج للجنس ودعوة سافرة للدعارة لهذا فإن الإسلام يبعد الفتى والفتاة عن المؤثرات الجنسية بالتشريعات التالية :

١ - غض البصر وحفظ الفرج للذكور :

قال الله تعالى : (١)

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾

قال ابن كثير - رحمه الله - : (٢)

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم الله عليهم فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه

---

١ - سورة النور آية ٣٠ . ٢ - تفسير القرآن العظيم جـ ١٨ ص ٤٢ طبعة الشعب .

ولقد ساق رحمه الله العديد من الأحاديث الصحيحة التي تحث على غض البصر وعدم تتبع العوارث ومنها :

« عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي يا علي : لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة »

قال ﷺ :

« إياكم والجلوس في الطرقات قالوا يا رسول الله لابد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال صلى الله عليه وسلم إن أبيتم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟

قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركه مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه » .

وكما أمر الله الرجل بغض البصر وحفظ الفرج أمر المرأة بذلك وزاد في شأنها عدم ابداء الزينة كما ألزمها بعدم التبرج والسفور وأمرها بارتداء الحجاب كحد أدنى في عدم الإثارة أو ترتدي النقاب كمال تحفظ وبعد عن مواطن الإغواء وحدد القرآن الكريم لمن تبدي زينتها ومن لهم حق الدخول عليها ورسم لها طريقة مشيتها قال تعالى : (١)

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ..... الآية ﴾

---

١ - سورة النور آية ٣١ .

فهذه النصوص وغيرها من القرآن الكريم والسنة تصون المسلم والمسلمة عن المؤثرات الجنسية .

٢ - مشروعية الإستئذان :

على درب البعد عن المؤثرات الجنسية يشرع الإسلام آداب الإستئذان على القادم من خارج البيت قال تعالى :(١)

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ كذلك أوجب الإسلام الإستئذان داخل المنزل ولا سيما في الحالات التي قد يتجرد الزوج والزوجة من ملابسهما وقد يكونان في وضع لا ينبغي للطفل والطفلة أن تقع أعينهما عليه

قال تعالى : (٢) ﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات .....الآية ﴾

وكذلك يوجه الإسلام الوالدين إلى تجنب إظهار مفاتنهما أمام الأبناء تجنباً لإثارة الفتنة وحرصاً على القدوة الحسنة في المنزل .

٣ - البعد عن أصدقاء السوء :

للصداقة دور كبير في تحديد سلوك الإنسان وتصرفاته فالصديق قد يأخذ صديقه إلى معالي الأمور ومكارم الأخلاق وقد يدفع بصديقه الى منحدر الرذيلة والانحراف وما أدق وصف الرسول ﷺ لدور الأصدقاء في مضمار الفضيلة والرذيلة .

. قال صلى الله عليه وسلم : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك (٣) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبه ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحة خبيثة » رواه الثلاثة (٤)

---

(١) سورة النور آية ٢٧ (٢) سورة النور اية ٥٨ ، ٥٩

(٣) يحذيك يعطيك (٤) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول جـ ٥ صـ ٨٢

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » رواه أبو داود والترمزي باسناد صحيح .

وكم من شاب انحرف إلى منحدر الجنس المحرم وكم من فتاه زلت قدمها وهوت الى مستنقع الرذيلة بسبب غواية الأصدقاء والصديقات قال ﷺ « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمزي باسناد حسن .

هذا وإن أخطر ما يدمر الأسر ويلغ في الأعراض ما يطلق عليه صديق العائلة الذي يدلف إلى البيوت في غيبة أصحابها تحت المسمى المذكور حيث ينفرد بأصحاب المنزل أو يخرج بالعائلة هذا ولقد شهدت المجتمعات الإسلامية نمطاً من السلوك لا يقره دين ولا خلق ألا وهو التبرج والسفور والإختلاط على الشواطىء والأندية حيث أطلقت للغريزة الجنسية العنان ، ولذلك نهى النبي ﷺ دخول غير ذوي المحارم على البيوت أمنا من الفتن وصونا للأعراض .

جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : [1] « إياكم والدخول على النساء قالوا يارسول أفرأيت الحمو ؟ قال الحمو الموت » .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تلجوا المغيبات [2] فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا : ومنك قال : ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم » رواه الترمزي

وقال ﷺ : « لا يخلون رجل بإمرأة إلا مع ذي محرم » رواه الأربعة .

فهذه النصوص وغيرها تسد منافذ الفتنة وتهدىء من ثورة الغريزة الجنسية قبل مرحلة الزواج .

---

(١) أقارب الزوج .

(٢) لا تدخلوا على النسوة في غيبة أزواجهن

٤ - تحريم النظر للعورة والتفرقة بين الأولاد في المضاجع :

إن من العوامل التي تحول دون استثارة الغريزة الجنسية في مرحلة ما قبل الزواج هي :

عدم كشف العورة أو إبراز مفاتن المرأة أو استعراض عضلات الرجل كما يحدث في مسابقات الجمال أو المباريات الرياضية خاصة الملاكمة والمصارعة وكمال الأجسام .

ولهذا نجد الرسول ﷺ يوصد منافذ الفتنة ومواطن الإثارة فيحرم نظر الرجل إلى عورة الرجل كذلك تبصر الأنثى عورة غيرها . فقال ﷺ :

« لا ينظر الرجل إلى عورة لرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في توب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد » .

رواه مسلم .

فقد أشار الحديث بجانب ما سبق إلى التفرقة بين الأولاد أثناء النوم وإلى ألا يلتحفوا بغطاء واحد خشية أن تتحرك أعضاؤهم التناسلية دون أن يشعروا فتثار الغريزة الجنسية وما انتشار الشذوذ الجنسي بين الشباب والسحاق بين الفتيات بسبب التلاصق أثناء النوم لذا أمر الرسول « بالتفرقة في المضاجع وكذلك نهى الرسول ﷺ أن يكون الجنس حديث المجتمعات أو العلاقة بين الزوج وزوجته على الألسنة فعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » رواه الخمسة إلا مسلماً .

ثالثا : صرف طاقة الغريزة الجنسية إلى مصارف أخرى :

سبق أن أوضحنا أن الإنسان يولد وهو يحمل بين حنايا نفسه العديد من الغرائز وكلها تعمل في تعادل وتناسق وتعاون والطاقة الجنسية قبل الزواج قد تشكل خطرا إذا ما تعرضت للمؤثرات والدوافع لذلك يجب استنفاذ تلك الطاقة إلى مصارف أخرى كالصوم وكحفظ القرآن وطلب العلم والرياضة والرحلات والقراءة المفيدة أو القيام ببعض الخدمات للبيئة والمجتمع كمحو الأمية والتعاون في ميادين

الخدمة الإجتماعية والتربية ولقد وضع الإسلام منهجا متكاملا في إعداد النشىء من لحظة الميلاد وعبر أطوار الحياة بحيث لا تسيطر غريزة على أخرى ، ومع هذا الإنخراط والإنشغال بشتى أنواع الأنشطة فإن الغدد المفرزة للهرمونات الجنسية تؤدي وظائفها واستعدادها لما خلقها الله من أجله وحينما يشتد نشاط الحيوانات المنوية وتتدافع للخروج المقترن باللذة الجنسية فإن الله سبحانه الخالق المبدع جعل لها ميدانا تمارس فيه نشاطها وتؤدي وظائفها وتفرغ طاقتها ألا وهو الاستحلام بأن يرى النائم أنه يمارس الجنس أو تثور شهوته ويشعر بلذتها أثناء النوم يعقب ذلك الإنزال الشهواني الذي يرى آثاره في الصباح وهو يوجب الغسل على الفتى والفتاة.

قال ﷺ « الماء من الماء » (١) رواه مسلم وعن أم مسلمة رضي الله عنها : أن أم سليم قالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق . فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ قال : نعم إذا رأت الماء » رواه الشيخان .

رابعا : تعجيل الزواج وتيسير أمره :

لقد شرع الإسلام الزواج لمن يملك مقوماته وسبل استقراره وحث الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب بالإسراع للزواج فعن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن لفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه الخمسة .

والزواج بين ظلال الإسلام لا يمثل عائقا ولا مانعا يحول دون المبادرة إليه إذا ما بلغ الفتى والفتاه فلقد وضح القرآن الكريم أن الفقر ليس سببا في الإحجام عن الزواج .

---

(١) الماء من الماء : أي الإغتسال من الإنزال فالماء الأول للطهر والماء الثاني المني .

قال تعالى : (١)

« وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

وروى الترمزي والنسائي والحاكم أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله »

هذا بجانب تخفيف أعباء الزواج : فقلد سن رسول الله ﷺ عدم التغالي في المهور فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ص قال : إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة »

ولقد كان صداق المرأة في صدر الإسلام لا يشكل عبئا على الزوج فعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ جاءته إمرأة فقالت :

« يا رسول الله إني وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال : يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة فقال ﷺ : هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟

فقال ما عندي إلا إزاري هذا فقال النبي ﷺ :إن أعطيتها إزارك جلست ولا إزار لك فالتمس شيئا فقال : ما أجد شيئا فقال ﷺ :

التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال النبي ﷺ : هل معك من القرآن شيء قال : نعم سورة كذا وكذا يسميها فقال ﷺ قد زوجتك بما بما معك من القرآن » رواه البخاري ومسلم

هذا ولقد كان زواج الرسول ﷺ من أمهات المؤمنين نموذجا رائدا للبساطة وعدم التكلف والمغالاة .

---

(١) سورة النور آية ٣٢

فعن أبي سلمة رضي الله عنه سألت عائشة رضي الله عنها : كم كان صداق رسول الله ﷺ قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية ونشًا قالت أتدري ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم »

رواه مسلم وأبو داود والنسائي

ولقد تزوجت مرأة من بني فزازه على نعلين فقال رسول الله ﷺ : أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ؟ قالت نعم فأجازه رواه الترمزي وصححه .

وروى أبو داود أن الرسول ﷺ قال : « خير النكاح أيسره »

هذا بعض من أحاديث كثيره تحث على الإسراع في الزواج وعدم المغالاة في المهور والتيسير في إعداد منزل الزوجية وفي حالة تعذر الزواج فلقد أمر الإسلام بالعفة والصبر حتى يأذن الله بالزواج فقال تعالى (١)

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾

وهكذا يبدوا بوضح كيف ينظم الإسلام الغريزة الجنسية قبل الزواج ويضع لها الضوابط التي تحول دون إثارتها وليس كما يزعم فرويد أن كبت تلك الطاقة وحرمانها من رغباتها يولد العقد النفسية والإضطرابات العصبية ، وإنه يجب ممارسة الجنس قبل الزواج وهذا ما تتبناه الأمم المتحدة والدول الكافرة التي تطلق العنان للفتى والفتاه أو بين الذكر والذكر والأنثى والأنثى في سعار جنسي محموم ومسموم يؤجج ناره وسائل الإعلام وتحاول تقنينه المؤتمرات الدولية التي تدعوا إلى رفع سن الزواج وإباحة العلاقات الجنسية قبل الزواج . وصدق الله العظيم حيث قال : (٢) ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ .

---

(١) سورة النور آية ٣٢ (٢) سورة ابراهيم آية ٢٨ ، ٢٩

ثانيا تنظيم الإسلام للغريزة الجنسية بعد الزواج :

الزوجية من معالم الفطرة في الخلق والتكوين وما من كائن يولد على ظهر الأرض سواء كان إنسانا أو حيوانا أو نباتا إلا من خلا ل لقاء بين الذكر والأنثى قال تعالى : (١)

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾

وقال تعالى : (٢)

﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾

ولقد أقسم الله بالذكورة والأنوثة لإبراز دلائل العظمة وآيات القدرة .

فقال تعالى : (٣)

﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾

غير أن الذكورة والأنوثة في الإنسان تختلف عنها في سائر الموجودات فهي في الكائنات الأخرى للمحافظة على النوع واستمراره ، أما في الإنسان فهي مع المحافظة على نوع البشر وبقائهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهي [أي الذكورة والأنوثة] سكن ولباس ومودة ورحمة وتعاطف . قال تعالى : (٤)

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

« ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم فيدع غرائزه تنطلق دون وعي ويترك اتصال الذكر بالأنثي فوضى لا حافظ له بل وضع النظام الملائم

---

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ .
(٢) سورة يس آية ٣٦ .
(٣) سورة الليل آية ٣ .
(٤) سورة الروم آية ٢١ .

لسيادته والذي شأنه أن يحفظ شرفه ويصون كرامته فيصل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاها وعلى ايجاب وقبول كمظهرين لهذا الرضا وعلى اشهاد على أن كلا منهما قد أصبح للآخر وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة وحمي النسل من الضياع وصان المرأة عن أن تكون كلأ مباحاً لكل راتع » (١)

ولقد نظم الإسلام الغريزة الجنسية بعدالزواج على النحو التالي :

أولا : إن الممارسة الجنسية في الإسلام لا تتم إلا عن طريق الزواج .

قال الله تعالى : (٢)

﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾

وفي إباحة التعدد تشريع عظيم بأن لا تمتد عين الرجل إلى إمرأة ليشتهيها إلا في إطار الزواج .

ثانيا : أن أي ممارسة جنسية خارج العلاقة الزوجية من كبائر الذنوب المحرمة شرعاً في كل الأديان السماوية ، وتوجب في الإسلام إقامة الحد الجلد أو الرجم كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتناولته بالتقنين كتب السنة .

ثالثا : نظم الإسلام الغريزة الجنسية أثناء الإتصال على النحو التالي :

١ - التعوذ من الشيطان والتسمية : روى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا . رواه الخمسة .

٢ - الستر وعدم التعري : فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفض الرجل إلى أهله فاستحيوهم واكرموهم » رواه الترمزي باسناد ضعيف .

---

(١) فقه السنة الشيخ سيد سابق جزء ٢ ص ٥ . (٢) سورة النساء آية ٣ .

٢ - تحريم الاتصال بالزوجة في فترة الحيض :

قال تعالى : (١)

﴿ يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾

ولقدوردت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ توضح الأحكام الشرعية في هذا الشأن ولقد ذكر أئمة الفقه التشريعات المتعلقة بالمحيض وليس هذا مجال بحثنا .

غير أننا بصدد تنظيم الإسلام للغريزة الجنسية خلال الزواج ، لذلك فإننا نورد الآثار الضارة المترتبة على إتيان الزوج زوجه في فترة الطمس حيث يذكر الدكتور محمد كمال وصفي في كتابه « القرآن والطب العديد من النتائج الخطيرة نوجز أهما فيما يلي : (٢)

« إن الحيض والوطء أثناءه هو من أهم الأسباب المهيئة لتعفن الرحم فضلا عن إنه يسبب العقم فهو من أشد الأمراض إيلاماً للمرأة حيث تقاسي منه آلاماً في الحوض لا تطاق فضلاً عن ارتفاع درجة الحرارة والمضاعفات الأخرى الخطيرة التي تكون نتيجة لذلك التعفن ، ولعل أهمها إصابة ملحقات الرحم أما الأضرار التي تصيب الرجل فمن أهمها :

التهابات حادة تصيب أعضاءه التناسلية إذ تمتد الجراثيم إلى داخل القناة البولية ، بل قد تصيب المثانة والحالبين بل قد تمتد الإلتهابات حتى تصيب غدة كوبر والبروستاتا والحويصلتين المنويتين والبربخ .

وقال : إن الجماع في المحيض ينذر الرجل بخطر واهم فليست إصابة القناة البولية بالأمر الهين بل إن هذه الإصابة تجر عليه ما لا طاقة له به من الآلام

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ (٢) فقه المرأه المسلمة الأستاذ ابراهيم الجمل ج ٢٣ ٣٤

والمضاعفات إذا ما ولجت هذه القناة أحدثت التهابا شديداً يتعذر معه التبول الذي يحدث في الأحيان آلاما لا تطاق ومتاعب لا تحتمل وهذا الالتهاب يصحبها عادة إفراز « مذي » شديد يلوث عند اشتداد الحالة بالدماء ولا يخفي أن يكون مصحوبا بأعراض عامة مختلفة في جميع أجزاء الجسم كالحمى والقشعريرة وما يطرأ علي الضعف العام .

أما إذا امتدت الإلتهابات إلى المجرى الخلقي فهناك الطامة الكبرى حيث يكثر القيح الذي تتخلله خيوط من الدماء وتصيب التبول .....

وقد تحدث التهابات الحشفة والقلفة مما يؤدي إلى حدوث الغرغرينا فيهما وذلك يكون خاصة في حالة الانكماش والاختناق ، مما يدعوإلى وجوب القيام بعملية البتر (أي قطع الذكر) حتى لا يتسمم سائر البدن »

من هذا العرض الموجز للآثار الضارة للجماع أثناء فترة الحيض تتضح عظمة التشريع الإلهي المنزل على الرسول ﷺ في قوله تعالى :

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ...﴾الآية

٤ - تحريم الوطأ أثناء فترة النفاس :

لا يخفى على ذي علم ونظر ما يلحق بالمرأة قبيل الولادة وأثنائها وبعدها من الآلام والمتاعب والنزيف الدموي الذي يستمر إلى فترات ما بين الأربعين والستين يوما على خلاف بين الفقهاء ، وقد حرم الإسلام أن يأتي الزوج زوجه أثناء فترة النفاس حتى ينقطع الدم وتتطهر بالإغتسال ، وإن حذر الإتصال خلال تلك الفترة لا يقل خطراً عن الاتصال أثناء المحيض ، ولقد سبقت الإشارة إليه ، بل إن من الأخطار المحدقة بالزوجة وبالزوج أمر أكده الأطباء بما يحزر عظيمة التشريع الإسلامي في تنظيم الغريزة الجنسية وذلك بمنعها وتحريمها خلال تلك الفترة .

٥ - تحريم إتيان المرأة في الدبر :

سبق أن ذكرنا أن الغريزة الجنسية ليست غاية في ذاتها ، وإنما هي وسيلة إلى تكوين الأسرة وإعمار الكون وتحمل الأمانة التي ألقت على عاتق بني آدم ، ولذلك جعل الإسلام إتيان الزوج لزوجته في موضع الحرث حيث يلقي الحيوان المنوي للذكر ببويضة الأنثى فيكون الحمل إذا ما قدر الله ذلك .

ولقد حرم الإسلام أن يأتي الزوج زوجه في غير الموضع المحدد لقضاء الشهوة المتبادلة قال تعالى : (١)

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنون ﴾ .

وقال تعالي : (٢)

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾

هذا ، ولقد وردت أحاديث كثيرة تحرم إتيان الزوجة في الدبر ومنها قول الرسول ﷺ : (٣)

« ملعون من أتى امرأة في دبرها » وفي رواية أخرى « ملعون من أتى امرأته في دبرها »

أي مطرود من رحمة الله ، وهذا لا يأتي إلا من حرام فالوطأ في الدبر حرام .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر » . رواه الترمزي باسناد حسن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣

(٢) سورة المؤمنون . آيات ٥ ، ٦ ، ٧

(٣) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٣٠٩

ولقد أورد ابن كثير رحمه الله في تفسيره عدداً من الأحاديث في هذا الشأن فليراجع (١)

ويجانب النهي الشديد من هذا الشذوذ فلقد ظهر في هذا العصر الوباء الذي ينتج بسبب الإتيان في الدبر للرجل والمرأة ، وهو مرض الإيدز المعروف بمرض فقدان المناعة الذي وقف الطب عاجزاً أمامه حتى لقب هذا المرض بطاعون العصر وهكذا يفصح العلم كل يوم عن عظمة التشريع الإسلامي المنظم [illegible] أما اليهود والنصارى ومن سار في فلكهم وتربى على موائدهم فقد أصبحت الفاحشة علماً يدرس وفنا يشاهد وغدت العلاقات الأسرية أوهن من بيت العنكبوت ، وليتهم اقتصروا على ديارهم بل نقلوا هذا إلى ديار المسلمين إمعانا في التآمر والكيد للإسلام ولتحطيم مقومات البناء الإجتماعي في الإسلام الذي وقف صامدا في وجه أعداء الإسلام منذ فجر الإسلام ولقد نجحوا - للأسف - في اختراق جدار الأسرة واحدثوا بها تصدعاً بوسائلهم الشيطانية في الترويج للإباحية والجنس وصدق الله العظيم حيث قال : (٢)

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

ولقد أذاقهم الله العذاب الأليم في الدنيا وذلك بظهور الأمراض الفتاكة التي وقف الطب عاجزا أمامها كمرض الإيدز والزهري والسيلان فضلا عما تعانيه تلك المجتمعات من تصدع وانهيار مؤذن بزوال شمسها وأفول شمسها وما انهيار الإتحاد السوفيتي الشيوعي ببعيد وغدا إن شاء الله ستذوق أمريكا خاصة والدول الكافرة عامة التي تروج للمذاهب المنحرفه والأفكار الضاله ريال أمرها وعاقبة انحرافها .

---

(١) تفسير ابن كثير . المجلد الأول . ص ٣٨٥ . ط الشعب .

(٢) سورة النور . آية ١٩

قال تعالى : (١)

﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله ياأولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قدأحسن الله له رزقا » صدق الله العظيم .

٦ - تحريم إتيان الزوج لزوجه أثناء الصوم :

كذلك من الوسائل التي شرعها الإسلام لكسر حدة الغريزة الجنسية وضبطها تحريم جماع الزوجة في نهار رمضان وشرع الإسلام الكفارة المغلظة لمن يجامع زوجته وهو صائم فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال هلكت يا رسول الله قال : (٢)

وما أهلكك قال وقعت على إمرأتي في رمضان قال ﷺ : هل تجد ما تعتق به رقبه قال : لا قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال : لا قال : ثم جلس فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال تصدق بهذا .

فقال الرجل : أعلى أفقر منا يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لا يتيها أهل بيت أحوج إليه منا فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال :

إذهب فاطعمه أهلك » رواه الخمسة

مما سبق يتضح كيف نظم الإسلام الغريزة الجنسية قبل وبعد الزواج وبهذا تسقط دعاوى أعداء الفطرة الإنسانية الذين يريدون إطلاق العنان للغريزة الجنسية دون ضوابط من دين أو حماية من خلق ولقد كانت شرارة هذا الجنون الجنسي نظرية اليهودي فرويد في علم النفس .

---

(١) سورة الطلاق . آية ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١

(٢) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٦٧

الديمقراطية

من المذاهب السياسية الفكرية المعاصرة الديمقراطية . تلك الكلمة التى وفدت من أوروبا وحلقت فى سماء الكرة الأرضية يحوطها الإعلام الموجه بالتزيين والتحسين حتى غدت محط آمال الشعوب ، على محرابها سفكت الدماء ومن أجلها اشتعلت الثورات وتبارى المفكرون والساسة فى إبراز مزاياها وتقنين تشريعاتها وتنظيم أساليب القيام بها وتصارعت الأحزاب فى ساحاتها صراعًا عنيفًا استخدمت فيه شتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة للظفر بالأغلبية التى تؤهلهم لسدة الحكم وما إن وصلت بعض الأحزاب - ولاسيما فى دول العالم الثالث - إلى السلطة حتى كشّرت عن أنيابها وركلت المنافسين لها واستيقظت الشعوب تحوطها آمال عريضة وأمانى واسعة لتحقيق حلم الديقراطية فوجدتها كالسراب الخادع يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

هذا ولم يكن العالم الإسلامى بمنأى عن هذا الفكر السياسى بل انخرط ساسته وشعوبه يلهثون وراء حلم الديمقراطية فبعض حكام العالم الإسلامى يتفقون معها ويضيقون بها ويحرمون شعوبهم من ممارستها والبعض الآخر يمنى بها أممهم ويعتبرها هبة ومنة يمتن بها على رعيته حيث يطبقها وفق إرادته فيضع من النظم والأساليب ما يضمن له ولحزبه البقاء فى الحكم الى آخر رمق فى حياته .

وفى حمى هذا الصراع السياسى استبعد الإسلام بنظمه السياسية وفقهه العظيم الرائد فى « الشورى » عن ساحة الحكم بل اعتبر الفكر السياسى الإسلامى جريمه لاتغتفر وذنبًا لاتمحى آثاره بل يظل يلاحق صاحبه سجنًا واعتقالاً وفى الوقت

نفسه يسمح بالأحزاب الشيوعية الحدة والعلمانية السافره أن تمارس وتدعو إلى فكرها السياسي تحت مظلة الديمقراطية .

هذا وقبل أن نتناول تعريف الديمقراطية وتاريخها والأسس التى ترتكز عليها ومافيها من مزايا وماتحمل بين ثناياها من نقائص ومواجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين الإسلام أضع بين يدى القارئ موجزًا لبعض أنظمة الحكم المعاصرة .

أولا : الحكم الفردى (١)

هذا النمط من الحكم يتخذ عدة صور :-

أ - «ملكية استبدادية :-

لايتقيد فيها الملك بأى قانون ولايعترف بالخضوع لأية سلطة ولايقيم وزنًا للحريات » وفق نظرية الحق الإلهى المقدس الذى منحه الباباوات لملوك أوروبا وأباطرتها فى العصور الوسطى .

ب - ملكية مطلقة :-

حيث يتقيد فيها الملك بالقوانين القائمة . ولكن له الحق فى تعديلها أو إلغائها وهو يجمع كل سلطات الدولة فى يده ولايشاركه فيها أحد ولايوجد من يسأله عن ممارسة هذه السلطة فهو السيد المطلق التصرف وهو غير مسئول أمام أية هيئة .

جـ - النظام الدكتاتورى :-

وهو أن يستأثر فرد واحد بالسلطة ويؤازره فى ذلك حزب أو جماعة تؤمن به

---

(١) الحرية والسيوف أحمد على الشامى ص٦٦ .

وتدين بمبادئه ومذهبة وتتأثر باتجاهاته وتطمع فى الاستفادة من ورائه

وهذا النمط من الحكم وإن أقره الإسلام فى مسمى (الملك) أو (الزعيم) إلا أنه يختلف معه اختلافًا جوهريًا فى المضمون والأسلوب

فلقد ساد اعتقاد عبر التاريخ لدى بعض الأباطرة والملوك أنهم من سلالة خاصة أعلى من الجنس البشرى وأنه تجرى فى عروقهم دماء سامية لاتؤهلهم فقط للحكم ، بل لادعاء الألوهية ولقد ساق القرآن الكريم نموذجين لهذا النمط من الحكم ومن ذلك النمروذ الذى أرسل الله اليه إبراهيم عليه السلام وفرعون مصر الذى بعث اليه موسى عليه السلام . وظلت الحضارات القديمة قبل الإسلام كالفرعونية والأشورية والبابلية ثم الحضارة اليونانية والرومانية تُنزل ملوكها منزلةً أعلى من منزلة البشر لهم على شعوبهم الطاعة العمياء والولاء المطلق . وحينما انتشرت المسيحية فى الدولة الرومانية لم يحاول رجالاتها أن يصححوا تلك المفاهيم الخاطئة حول شخصية الملوك وسلطانهم المطلق بل على العكس من ذلك أصّلت هذا الفكر وقننته ومنح بابا روما ملوك أوروبا تفويضاً إلهيًا بالحكم . وأن الحاكم ظل الله فى الأرض .

وظهر إبان عصر النهضة فى أوروبا فلاسفة وباحثون يبررون الحكم المطلق ويقننونه من خلال نظرية العقد الاجتماعى بين الدولة والأمة .

« فجاء هوبز ليتملق ملوك عصره بأن لهم الحق فى سلطة مطلقة يستطيعون بها تنفيذ العقد الاجتماعى وكذلك جاء « جان مودان » ١٥٩٦م « ورجوتس » ١٦٤٥م يدافعان عن الحكم المطلق » (١)

---

١ العلمانية سفر الحوالى ص٢١٧

غير أنه خلال الثورة الفرنسيه أنزل الملوك من عليائهم وبرزت النظم السياسية ومن أبرزها النظام الديمقراطى إلا أن النظام الفردى الديكتاتورى ظلت رموزه قائمة وتسببت فى إشعال نار الحرب العالمية الأولى والثانية ومن هؤلاء هتلر فى ألمانيا وموسولينى فى إيطاليا وكمال أتاتورك فى تركيا والجنرال فرانكو بأسبانيا .

وقد سار على دربهم فى الحكم الفردى الاستبدادى بعض حكام المسلمين خلال القرن العشرين .

مساوئ النظام الفردى الديكتاتورى :

١ ـ يقوم هذا النظام على تقديم الجماعة على الفرد ويظل الفرد مسخرًا لخدمتها ويصبح كالترس فى الآلة لاينبغى له أن يتوقف تفرض عليه الواجبات قبل أن تمنح له الحقوق بدعوى الصالح العام الذى يقرر النظام الفردى المقصود به ولقد شهد القرن العشرون نماذج عديدة للأنظمة الفردية الديكتاتورية كلنين وستالين فى الاتحاد السوفيتى وهتلر فى ألمانيا وموسولينى فى إيطاليا .

ولقد تهاوت تلك الأنظمة وتجرعت شعوبها وشعوب غيرها ـ التى اكتوت بلظى الحكم الفردى ـ مرارة الهزيمة فى ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد .

٢ ـ الحكم الفردى الديكتاتورى . يقضى على حريات الأفراد وحقوقهم ولايصغ السمع لرأى ناصح أو ناقد أو معارض ويحظر نشاط الأحزاب السياسية ويضرب بيد من حديد كل من يناوؤه الأمر وقد يسمح ـ إرضاءً للأمة أو امتصاصًا لثورتها ـ ببعض الأحزاب أو المنابر السياسية المستأنسة التى تولى وجهتها حيثما توجه .

٣ ـ النظام الفردى :

لايؤمن باللامركزية الإدارية بل يتسم نظامه بالمركزية المطلقه حيث يكون هو وحده مصدر القرارات والتوجيهات ينمى هذا النمط ويغذيه بطانة من المنتفعين الذين يحولون بينه وبين نبض الأمة فيؤدى هذا الى شلل الأجهزة الإدارية وعجز الأداة التنفيذية فى اتخاذ القرار فى الوقت المناسب حيث يحجم الجميع عن إصدار الأمر إلا بعد تلقى التعليمات والتوجيهات .

٤ ـ يتجه النظام الفردى من خلال الأجهزة الإعلامية المقروءة والمسموعة والمنظورة إلى توجيه مشاعر الأمة واهتماماتها إلى أمور مضيعة للوقت تَصْرِفُها عن معالى الأمور وتتلهى بها لتنسى آمالها التى لم تحقق وحرياتها التى نكبت فنرى اهتماماً زائداً عن الحد فى تشجيع الأندية الرياضية وخاصة كرة القدم وإشعال نيران التنافس بين رواد الأندية ومشجعى كل فريق لنقل حلبة الصراع الفكرى والسياسي من ميادين السياسة والعمل والإنتاج إلى ميادين الرياضة .

كذلك المحاصرة الإعلامية بالفن الساقط وقصص الهوى ومسلسلات الغرام وأفلام الرعب التى تلاحق الأمة وتتفط على مشاعرها خلال عرض متتابع آناء الليل وأطراف النهار مما أحدث خللاً فى عواطف الأمة واضطرابا فى سلوكها وفشلاً ذريعاً فى تقييمها للأمور وعجزاً فى تطلعها إلى سلم المجد ومنافسة الدول المتقدمة فى ميادين العلم والإنتاج .

٥ – من معالم النظام الفردى أنه يدفع بالأمة إلى الأزمات المتتابعة نتيجة لسياسة المغامرة والمخاطرة التى ينتهجها لتحقيق أحلامه ومطامحه وبسبب سد

الأذن عن الرأى الناصح والمشورة الصادقة من أهل العقد والحل،والعالم الإسلامى المعاصر يشهد بالألم والمرارة بعض الأنظمة الفردية والاستبدادية التى جرت على شعوبها الدمار والخراب وتسببت قراراتها الهوجاء الرَّعناء فى احتلال الأرض وانتهاك العرض وموت الأبناء .

٦ - أن النظام الفردى يوطد أركانه ويقوى دعائمه بالأخذ ببعض وسائل النظم الديمقراطية كالانتخابات العامه والاستفتاءات الشعبية التى تكون نتائجها معروفة مسبقا لصالح الزعيم بنسبة ٩ر٩٩٪ ويتبع كل انتخاب أو استفتاء المزيد من التشريعات التى تطلق يد الحاكم فى اتخاذ مايريد من القوانين التى تدعم نفوذه وتقوى سلطانه والحيلولة دون تداول السلطة بين الزعماء من أبناء الأمة . وإن سمح بتعدد الأحزاب فالحزب الحاكم له اليد الطولى والأغلبية المطلقة إن طوعا أو كرها .

هذه - عزيزى القارئ : بعض مساوئ الأنظمة الفردية .

الديمقراطية

تعريف الديمقراطية :- (١)

« كلمة مشتقة من نقطتين يونانيتين Demos (الشعب) و Kratos (سلطة) ومعناها الحكم الذى تكون فيه السلطة للشعب .

وتطلق على نظام الحكم الذى يكون الشعب فيه رقيبًا على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين .

تاريخها :

يرجع تاريخ الديمقراطية إلى الحضارة الإغريقية القديمة والتى كانت مدينتى أسبرطة و أثينا : (٢) مهدًا لها .

« أما أسبرطة فيرجع تاريخها الحضارى إلى القرن التاسع قبل الميلاد حينما وضع مشرع أسبرطى اسمه ليكرجوس دستورًا حدد فيه العلاقة بين الأشراف والأحرار ، والملِكَين اللذين كانا يحكمان أسبرطة ، فنظم توزيع السلطات بين هذه الجهات الثلاث ، وجعل لكل من الأشراف والأحرار مجلسًا له دورٌ معين فى النهوض بالحكم وبذلك حقق نوعًا من الاستقرار السياسى وأما أثينا فقد ازدهرت حضارتها فى القرن الخامس قبل الميلاد ويرتبط هذا الازدهار بمشرع اسمه (سولون) وضع دستورًا شاملاً لأثينا أصلح به أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية » وظهر الاتجاه الديمقراطى قويًا واضحًا فى مجلس العامة أو الأكليزيه وهو المجلس الذى

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص١٧٨ .

(٢) أوروبا والعصور الوسطى جـ١ صـ٨ د. سعيد عاشور .

صارت له من السلطات وقوة التمثيل الشعبي ما جعل منه رقيبًا فعليًا على أجهزة الحكومة وموظفيها .

وكذلك سن « سولون » تشريعات اجتماعية أخرى تتعلق بنظام الوراثة وعلاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض وسلطة الآباء على الأبناء .

هذا ولقد بزغ فجر الديمقراطية فى تلك المدينتين حيث كانت تقوم فى كل مدينة حكومة يطلق عليه اصطلاحًا حكومة المدينة . حيث كان أفراد الشعب يجتمعون فى صورة جمعية عمومية يتشاورون فى كل أمور الحكم فينتخبون الحاكم ويصدرون القوانين ويشرفون على تنفيذها ولكن هذه الصورة من الديمقراطية فى مهدها الأول لم تدم طويلاً فما لبث أن دب صراع بين أسبرطة وأثينا ونشب قتال بين المدينتين انتهى بالقضاء على حضارتهما وحلت محلهما مدينة مقدونيا بقيادة الملك فيليب عام ٣٨٢ - ٣٣٦ ق . م ثم ابنه الإسكندر الأكبر المقدونى ٣٣٦ - ٣٢٣ ق . م ومنذ ذلك التاريخ طويت صفحة الديمقراطية . وحينما اعتنقت أوروبا الديانه المسيحية بالصورة التي رسمها بولس والمجامع المقدسة والذى مارس من خلاله رجال الدين النصرانى صنوفاً من الطغيان الروحى والعقلى والانحراف الجنسى والفساد المالى هذا مع تحالف الكنيسة مع الملوك وأمراء الإقطاع فتلاشت صورة الديمقراطية تماماً وإن ظلت حية فى ذاكرة أوروبا تنطق بها كتبها وتاريخها حتى قامت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وما أعقبتها من ثورات عصفت بسلطان الكنيسة وسطوة الإقطاع ولقد اتجهت أوروبا إلى تراثها الإغريقى القديم ولاسيما النظام الديمقراطى وطورته ونظمته وسنت له القوانين والتشريعات حتى وصل الى ماعلية الحال فى هذا العصر .

ولقد اختارت أوروبا الديمقراطية للأسباب التالية :

١ ـ إن الشعوب الأوربية التى رزحت طوال ستة عشر قرنا من الزمان تحت نير ملوك مستبدين يحكمون بمقتضى التفويض الذى منحتهم إياه الكنيسة ، وهو (الحق الإلهى المقدس) وأن الأباطرة والملوك هم (ظل الله فى الأرض) هذا بجانب ما أصبغه رجال الدين على أنفسهم من قداسة تصل إلى درجة العصمة من خلال نصوص محرفة .

هذه الشعوب المكبوتة المسحوقة رأت من حقها بعد هذا الظلم والظلام الحالك أن تشارك فى الحكم وإدارة شئون بلادها فوجدت فى الديمقراطية خير معبر عن آمالها وطموحاتها التى فجرتها الثورات المتلاحقة .

٢ ـ طبقة الرأسمالية التى ظهرت على الساحة السياسية مع النهضة الصناعية والتوسع الاستعمارى فى قارتى آسيا وأفريقيا ، وجدت فى الديمقراطية غايتها المنشودة فتقنعت بها لتخفى أطماعها وتحافظ على مكاسبها من خلال مجالس نيابية تختار هى مرشحيها وتنفق الأموال الطائلة لفوزهم فى الانتخابات وبذلك يتحقق التعادل والتوازن بين الرأسمالية التى تملك وتحكم وبين الشعب الذى يحلم ويمنى نفسه أنه من خلال نافذة الديمقراطية سيكون له رأى يحترم وإرادة تنفذ .

٣ ـ الشعارات التى وضعها اليهود من خلال الماسونية العالمية إبان الثورة الفرنسية:ـ الحرية ـ الاخاء ـ المساواه . وماصدر من إعلان حقوق الإنسان وبروز منظمات دولية كعصبة الأمم والأمم المتحدة ومجلس الأمن وهيئات محلية فى كل وطن وبروز القوميات والأعراق والجنسيات تعلن عن نفسها وتزاحم لتجد متنفسًا

لحريتها وتحقيق آمالها فكانت الديمقراطية هى الساحة التى يتبارى الجميع فى مضمارها واستخدمت كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول الى مقعد البرلمان وفوز حزب الأغلبية بسدة الحكم هذا وقد أزكى اليهود أوار حرب التنافس بين الأحزاب ولعبت أموالهم ومؤمراتهم فى الولايات المتحدة وأقطار أوروبا لبسطت نفوذهم وتحقيق أغراضهم تحت ستار الديمقراطية .

٤ - إيحاءات الفكر الإغريقى القديم عبر العصور المتألقة للدوله اليونانية والرومانية من خلال فلسفة سقراط وأرسطو وأفلاطون وغيرهم ومانقله التراث الإغريقى عن مجتمع المدينة الفاضلة فى كل من أثينا وأسبرطة . مما جعل أوروبا تولى وجهتها نحو هذا التراث والتى كانت الديمقراطية هى درة العقد فيه .

وقد برز سؤال :

لماذا اتجهت أوروبا الى ماضيها السحيق ولم تتجه صوب الإسلام ولاسيما وأن الإسلام قد أشرقت أشعة شمسه عليها من خلال بلاد الأندلس وجزر البحر الأبيض المطله على سواحلها ، ووقفت بنفسها على حضارة الإسلام ونظمة العظيمة إبان الحروب الصليبية .

وقد سبق الإشارة الى ذلك فى صدر هذا الكتاب غير أننا نوجزه هنا إتماما للفائدة فيمايلى : -

١ - أن الإسلام يقف ضد طموحات الحكام ويحول دون استبداد شخص أو حزب كما لايقر الإسلام مذهب (ميكافيلى) فى السياسة (الغاية تبرر الوسيلة) حيث أصبح هذا المبدأ دستور الحياة السياسية وانتقل هذا المبدأ الى بعض أقطار

العالم الإسلامي حيث تشهد الساحة الانتخابية تجاوزات لايقرها الدين من التزوير والبلطجة وتزييف إرادة الأمة تحت مظلة الديمقراطية لهذا لم ترض أوروبا الإسلام كنظام سياسي واكتفت بالنظام الإغريقي كذلك انتقلت عدوى إبعاد الدين عن مضمار السياسة إلى دول العالم الإسلامي طوعًا أو إكراهًا حتى وإن اخترق دعاته الستار الحديدي المضروب عليهم ودلفوا إلى البرلمان بإرادة الأمة التي تجد في الإسلام طوق نجاة لها فما تلبث أن تقوم قيامة الدنيا شرقًا وغربًا كما حدث في الجزائر حينما فازت الجبهه الإسلامية للإنقاذ ١٩٩٠ وكما حدث في تركيا عام ١٩٩٦ حينما فاز حزب الرفاه الاسلامي .

٢ ـ ذلك الفل الدفين والحقد القديم الذي يمتلئ به صدر أوروبا منذ تقويض الاسلام للدوله الرومانية وانتزاع مصر والشام وشمال أفريقيا وكذلك القسطنطينية عاصمة دولة الروم الشرقية للأبد كذلك أضريت صفحًا عن الاسلام ونظمه بل أصبحت تلاصقه في دياره وتضربه في قواعده بموازرة بعض أبناء المسلمين الذين رضعوا ألبان الفكر الغربي وتربوا على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار .

٣ ـ الصورة السيئة التي رسمتها الكنيسة للإسلام من خلال الحملات والدعايات التي روج لها رجال الدين النصراني لتبرير الحروب الصليبية حيث تركت في النفوس صدًا وإعراضًا عن الاسلام هذا بجانب تخلف المسلمين وتقهقرهم إلى ذيل الدول المتخلفة فلم تجد أوروبا لدى المسلمين ماتأخذه منهم ولاتبصر الإسلام المحقق وإنما في عينها رمد وفي قلبها مرض فلاترى فيه سوى الإرهاب والتخلف وقهر شعوبه واستبداد بعض حكامه قديمًا وحديثًا .

٤ - توقف دولة الدعوة الإسلامية التي شعارها قول الله تعالى : (١) ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

هذه الدولة تطبق الاسلام على أممها وتعرضه على غيرها من الأمم بالحكمة والموعظة الحسنة وترسم سياستها الداخلية والخارجية من منظور إسلامي هذا النمط من الحكم تلاشى تماماً في ديار المسلمين واستبدلت به أنماط غريبة ومن ذلك الديمقراطية حتى وإن وصلت الى ديار المسلمين فتصبح ديمقراطية عرجاء لاتفي بالغرض ولاتحقق المقصود .

هذه بعض الأسباب التي حدت بالعالم أن يتجه إلى التراث الإغريقي ويقتبس الديمقراطية كمذهب سياسي .

الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية

يرتكز النظام الديمقراطي على دعائم ثلاث وإن اختلفت صور التطبيق وفق ظروف كل دولة فإنه لايتعدى تلك الأسس التالية :

أولا : مبدأ سيادة الأمة (٢)

حيث انتقلت السياده من الملوك إلى الشعوب عقب الثورات في أوروبا والتي بدأت بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ومبدأ سيادة الأمة يتخذ عند التطبيق ثلاث صور هي :

١ - حكم الديمقراطية المباشرة :

---

(١) سورة الأنعام آيه ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) الإتجاهات الفكرية المعاصرة د . على جريشة ص ١٣٦ دار الوفاء .

وهو أن يكون الحكم إلى الشعب كله فيشارك فى سن القوانين وإصدارها وهذا نظام عسير المنال صعب التحقيق ولم يطبق إلا فى أسبرطة وأثينا ولاوجود له إلا فى خيال الفلاسفة وأحلام الأدباء والشعراء .

٢ ـ حكم الديمقراطية شبه المباشرة :

وهى أن يشارك الشعب برأيه من خلال الأساليب التالية :

ا ـ الاقتراح الشعبى : لتقديم مشروع قانون أو فكرة أو رغبة إلى البرلمان .

ب ـ الاعتراض الشعبى : ويكون للشعب أن يعترض على قانون يصدره البرلمان فيوقف القانون ويلغى .

ج ـ الاستفتاء الشعبى : فى موضوع سياسى أو دستورى أو تشريعى وينفذ مايقرره الشعب خلال الاستفتاء .

د ـ الحل الشعبى : أى حل البرلمان .

هـ ـ عزل رئيس الدولة باستفتاء من الشعب .

٣ – الحكم النيابى :

وهو أن يختار الشعب نوابًا عنه يمثلونه فى البرلمان وهؤلاء النواب إما تابعون لحزب من الأحزاب أو من ذوى النزعات الاستقلالية الذين لاينضوون تحت لواء حزب أو جماعة ، ويكون لهؤلاء النواب .

ا ـ سن التشريعات والقوانين التى تنظم دولاب العمل فى الدولة .

ب ـ الرقابة على السلطة التنفيذية وحق استجواب الوزراء وطرح الثقة بالحكومة وإقالتها .

هـ - مناقشة ميزانية الدول ووجوه الانفاق وحق إقرارها أو الاعتراض عليها .

ويصدر مجلس النواب قراراته بالأغلبية المطلقة التى تزيد على النصف ولو بصوت واحد أو الأغلبية الساحقة وهى تكون بالحصول على ثلثى الأعضاء .

ثانيا : سيادة القانون : (١)

« وهو خضوع الحاكم والمحكوم للقانون على السواء .

وقد ظهر مبدأ الشرعية مع حاجة المجتمعات إلى الحماية فى مواجهة افتئات السلطه وتجاوزاتها ..... وذلك أن السلطة تغرى بإساءة استعمالها وبالتعسف فى استعمالها أيا كان البشر الجالس على كرسيها إلا أن يعصمه الله أو أن تقف فى وجهه الحواجز ..... تحجزه عن ظلمة أو تقصيره » .

هذا ولما كان المجتمعات الغربية ومن دار فى فلكها من الاتجاهات العلمانية تنظر الى (الله - الدين) نظرة هامشية . فلا يحدان من سطوة الحاكم وظلمه لذا اتجهت التشريعات القانونية الأوروبية لإسباغ صبغة القداسة والشرعية على الدساتير والقوانين حتى تظل ثابته ومستمرة ولاتتغير إلا وفق

ظروف طارئة كحدوث انقلاب وثورة فى نظام الحكم ولتحقيق الشرعية الدستورية وسيادة القانون فلقد وضعت عدة ضمانات منها مايلى :

١ - جمود الدستور والقانون واستمرارهما ليحول دون التغيير الكثير والمفاجئ

(١) الإتجاهات الفكرية المعاصرة د. على جريشة صـ ١٣٩

حيث أن التغيير يلزم له أغلبية خاصة لاتتوافر كثيرا .

٢ ـ الفصل بين السلطات :

فى النظام الديمقراطى يتم الفصل بين السلطه التشريعية والقضائية والتنفيذية بحيث يتحقق التوازن والتعادل بين تلك السلطات فلاتطغى إحداهما على الأخرى فإن تركيزها فى يد الحاكم وسيطرته عليها وتدخله فى اختصاص كل من هذه السلطات لاتؤمن عواقبه حيث يصبح الحاكم هو المشرع والقاضى والمنفذ .

٣ ـ الرقابة القضائية (١)

بإعمال دستورية القوانين وشرعية اللوائح أو إلغاء أو على الأقل الإمتناع عن كل نص يخالف النص الأعلى منه .

ثالثا : الحقوق والحريات العامة :

منذ قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وحتى إعلان حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ وماتلا ذلك حتى الآن من قرارات وتوصيات تصدر من المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن ويبرز من خلال المؤتمرات العالمية وما تتصدر به دساتير الدول وقوانينها من إعلان عن حقوق الفرد وحريته وهى تتضمن :

ا ـ المساواة :

وهى تنحصر بإيجاز فى المساواة بين أبناء الأمه أمام

١ ـ القانون ٢ ـ القضاء ٣ ـ الوظائف ٤ ـ الضرائب .

---

(١) الإتجاهات الفكرية المعاصرة ص ١٤٠

ب ـ الحرية : وهى تشمل :

أولا : الحرية الشخصية ويندرج تحتها :

ا ـ الحرية المادية وتشمل :

١ ـ حق الحياة .

٢ ـ حرية التنقل .

٣ ـ حق الأمن .

٤ ـ عدم جواز استرقاق الإنسان .

٥ ـ حرية المسكن .

٦ ـ سرية المراسلات .

ب ـ الحرية المعنوية وتحتوى على :

١ ـ حق التفكير العلمى .

٢ ـ حرية العقيدة .

٣ ـ حرية التعبير .

٤ – حرية الشكوى .

٥ ـ حرية التعليم .

جـ - الحرية الاجتماعية وتتضمن :

١ - حرية عقد الاجتماعات .

٢ - حرية تكوين الجمعيات

د - الحرية السياسية وهـ[illegible]

١ - حق الانتخاب .

٢ - حق الترشيح .

٣ - حق التشريع .

٤ - حق عزل رئيس الدولة .

٥ - حق تولي الوظائف العامة .

٦ - حق تكوين الأحزاب السياسية .

هـ - الحرية الاقتصادية وتدور حول :

١ - حق

٢ - حق العمل .

٣ - حق الأجر .

٤ - حق الراحة .

ولقد أحدث دعاة الديمقراطية عدة ضمانات لاستكمال بنائها وتدعيم أساسها ومن هذه الضمانات : (١)

١ ـ ضمان حق الاتهام .

ومقتضى هذا الحق ألا يؤخذ الناس بالمظنة أو التهمة ولايحبسون ولايعتقلون إلا بموجب تهمة حقيقية تستوجب ذلك .

٢ ـ ضمانة التحقيق .

والتى بمقتضاها أن لايستخدم مع المتهم أى وسيلة من وسائل الضغط لحمله على الاعتراف بمالايريد أن يعترف به سواء كان التهديد وعدا أو وعيدا .

٣ – ضمانة الحكم :

وهى أن لايحكم على متهم إلا بالعقوبة المقررة فى القانون بلازيادة ويكون المحكوم عليه حق استئناف الحكم ونقضه إذا رأى أنه مجحف عليه .

٤ – ضمانة التنفيذ .

وهى أن تنفذ العقوبة التى قررتها المحكمة بلازيادة ويكون للمحكوم عليه حق الاحتجاج على أية زيادة يرى أنها وقعت عليه بغير وجه حق .

هذه فى إيجاز معالم الديمقراطية وتلك هى بعض الحقوق والواجبات التى حصلت عليها أوروبا والعالم العربى بعد كفاح دام ومرير وثورات متعاقبة استمرت زهاء قرنين من الزمان حتى تمخضت على مايرى الآن فى ميادين السياسة العالمية

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب صـ١٩٧ دار الشروق

مع وجوب التوضيح أن هناك تفاوت فى التطبيق بين ماهو مكتوب ومقروء وبين الواقع والممارسة كما أن هناك بون شاسع بين الديمقراطية فى العالم الغربى والديمقراطية فى دول العالم الثالث ولاسيما الدول العربية والإسلامية حيث يطلق عليها الدول النامية وحينما يقسى فى التعبير يقال الدول المتخلفة حيث يكمن التخلف فى الميادين التالية

١ - ضعف العقيدة الدينية التى تؤمن بها أو تهميشها وعدم الاكتراث بها .

٢ - التفاوت الطبقى بين فئات الأمة حيث تتركز السلطة والثروة بين جماعة واحدة تترابط مصالحها فى استمرارية النظام وإن إكتسى برداء الديمقراطية .

٣ - تبذير موارد الأمة وإهدار طاقاتها .

٤ - ضعف التصنيع حيث لاتقوى على منافسة الصناعات الأوروبية والأمريكية واليابانية ولاسيما بعد توقيع إتفاقية « الجات » والتى بمقتضاها تدخل الدول النامية حلبة المنافسة غير المتكافئة مع الدول الصناعية الكبرى .

٥ - التبعية الاقتصادية حيث يخضع النظام الاقتصادى والمصرفى فى تلك الدول للنظام العالمى الذى لايأبه بالشعوب الضعيفة ولايحكمه دين أو أخلاق .

٦ - إزدواجية الاقتصاد حيث تتأرجح تلك الدول بين النظام الإشتراكى والنظام الرأسمالى فهى تتذبذب بين هذا وذاك مما يؤثر على التوجه السياسى للدولة فلاهى تأخذ بالنظام الديمقراطى الذى يقوم على التعددية الحزبية وتداول السلطة ولاتسفر عن الأخذ بنظام الحزب الواحد أو الحكم الفردى الديكتاتورى فهى بين هذه وتلك حائرة مترددة خائفة وجلة مما يؤدى الى عدم الاستقرار

٧ - [illegible] سمات النظام الحزبي أن الفرد حينما يؤمن بمبادئ الحزب ويقتنع بها يظل على ولائه لذلك الحزب والأحزاب العريقة في أوروبا ولاسيما في انجلترا يتوارث الآباء والأبناء والأحفاد الانتماء لحزب واحد فقط . غير أن الظاهرة السياسية في دول العالم الثاني هي ضعف الولاء السياسي وأن التوجه الحزبي لايرتبط بالمبادئ وإنما بالمصالح ، ولقد رأينا خلال التاريخ المعاصر [illegible] عربيا كان يرأس حزبا حاكما ثم تراه له أن يغير لافتة الحزب وإذ بجميع المنتمين للحزب القديم يسابقون الريح للإنضواء تحت راية الحزب الجديد .

ورأينا خلال المعارك الانتخابية الكثير من المرشحين يتقدمون لدوائرهم مستقلين عن الأحزاب فما أن يعلن فوزهم إلا وقد سارعوا في اليوم التالي للانخراط في حزب الأغلبية الحاكم وهؤلاء وغيرهم على استعداد أن يغيروا ولاءهم في اليوم والليلة عشرات المرات طالما هذا يحقق المنفعه الذاتية .

هذه - عزيز القارئ - المناخ الذي تَنَفَّس فيه الديمقراطية وهي كما ذكرت سابقا تتراقص أمام الشعوب اللاهثة وراء الحرية وتبدي بعض ممارستها للأمم فتركض وراءها حتى تتقطع أنفاسها فلاتجد شيئا وصدق الله العظيم في قوله تعالى : (١)

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾

(١) سورة النور آيه ٣٩ ، ٤٠

الجوانب السلبية في الديمقراطية

سبق أن أوضحنا أن الديمقراطية نظام سياسى غربى تمتد جذوره الى الحضارة الإغريقية القديمة فى كل من أثينا وأسبرطة وقد طورتها أوروبا وقننتها وجملتها وزينتها فى أعين الأمم والشعوب ومما لاريب فيه أن أى نظام من وضع البشر يحمل بين ثناياه بعض الجوانب الإيجابية والسلبية وقد أشرنا فى البحث السابق الى بعض المزايا فى النظام الديمقراطى والتى من خلالها ازدهرت أوروبا والعالم الغربى علميا واقتصاديا ولقد كان الطريق الى ماوصلت إليه محفوفاً بالمصاعب والمشاق مكتوبا بالثورات والدماء والأشلاء ولقد كانت الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية والأحداث المتلاحقة منذ الثورة الفرنسية ثم استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عقب حروب أهلية طاحنة دافعا قويا لتلك الشعوب للتمسك بالديمقراطية كبديل عما عانته من وطأة الكنيسة والإقطاع أما فى الإسلام العظيم فالأمر يختلف تماما فلم تعان شعوبه وأممه ماعانته أوربا من رجال الدين النصرانى ولم يذق أتباعه سطوة الإقطاع وبطر الأغنياء وسطوة الحكام لأن الإسلام بنظامه الدينى والسياسى صمام أمن للشعوب التى تدين به وتنضوى تحت لوائه وما حدث من بعض التجاوزات عبر التاريخ الاسلامى القديم والمعاصر إنما هو بسبب غياب الفهم الصحيح للإسلام وانعدام التطبيق السليم لشرع الله الذى يضبط موازين المجتمع بميزان دقيق أمر الله به ودعا اليه فى قوله تعالى : (١)

---

(١) سورة الرحمن آيه ١ - ٩

﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ .

والإسلام له نظامه السياسى المستقل ولقد أبرز علماء الفقه فى صدر الإسلام ورجال القانون فى هذا العصر جوانب العظمة والتألق فيه مما يدفع المسلمين إلى عدم التطلع لما فى أيدى الآخرين من نظم سياسية أو اجتماعية . بل إن الواجب الشرعى والأمانة العلمية تستوجبان أن يوزن أى نظام سياسى بميزان الإسلام وأن يحكم عليه من خلال منظور إسلامى يصدق القول ويصحح المفاهيم .

هذا وإذا نظرنا إلى الديمقراطية عبر نظرة الاسلام إليها وحكمه عليها لوجدنا أنها تحمل الجوانب السلبية التالية :

أولا : النظام الديمقراطى يرتكز على مبدأ : (سيادة الأمة) أى أن الأمة هى مصدر السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وأن سيادتها لاتعلوها سيادة وأن سلطاتها فى هذا الشأن لاتسمو فوقها سلطة . ولقد ظهر هذا المبدأ أثناء الثورة الفرنسية وبعدها وتصدرت به الدساتير فى دول العالم وانقادت له دول العالم الإسلامى إنقيادا أعمى دون روية وتدبر .

(١) « فالمراد بكلمة « شعب » أو « أمة » فى الديمقراطية الحديثة كما هى معروفة فى عالم الغرب : أنه شعب محصور فى حدود جغرافية . يعيش فى إقليم واحد تجمع بين أفراده روابط الدم والجنس واللغة والعادات المشتركة والديمقراطية الحديثة مقترنة لامحاله بفكرة « القومية » ، أو العنصرية . وتسايرها نزعة التعصب

(١) النظريات السياسية الاسلامية د. محمد ضياء الدين الريس ص٣٨٢ مكتبة دار التراث

أو العصبية . ولا كذلك الاسلام فالأمة عنده ليست هي التي تربط بينها وحدة المكان أو الدم أو اللغة فهذه روابط صناعية ولكن الرابطة - أصلا - هي الوحدة في العقيدة فكل من اعتنق فكرة الإسلام من أي جنس أواون أو وطن فهو عضو في دولة الإسلام فنظرة الإسلام إنسانية وأفقه عالمي » .

هذا ويترتب على مبدأ سيادة الأمة مايلي :-

١ - إستبعاد شرع الله المنزل على رسله عبر مسيرة الجنس البشري وختمت برسالة محمد ﷺ قال تعالى : (١)

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

فالحكم الديمقراطي بنظرية « سيادة الأمة » يعزل الدين تماما عن شئون الحكم ويستبعده عن شئون المجتمع وإن كان هذا مستساغا في العالم الغربي لما لاقاه من النصرانية المحرفة فإنه لايجوز أن ينشر هذا الفكر في العالم الإسلام الذي تتناسق نظمه وتشريعاته ومع بيئة الفطرة .

فالسيادة في النظام الاسلامي تختلف عن مفهوم السيادة في النظم الديمقراطية الغربية فهي سيادة ذات محورين . (٢)

الأول : سيادة مطلقة لشريعة الله أي لنصوص الشرع المحكمة التي لايجوز للأمة

---

(١) سورة الشورى آيه ١٣

(٢) الخلافة الإسلامية بين أنظمة الحكم المعاصرة د.جمال المراكبي صـ٢٩٦

أن تحيد عنها قيد أنملة .

الثانى : سيادة محدودة لجمهور المسلمين فيما دون النصوص وهى محدودة لأنها مرتبطة بنصوص الشرع فلايجوز لجمهور المسلمين التشريع فيما يخالف الكتاب والسنة أو ما يخرج عن الروح العامة لنصوص الكتاب « السنة » .

٢ ـ إن الالتزام بأن الشعب مصدر السلطات دون الالتفات لشرع الله [١]

« يجعل الدساتير والقوانين والتشريعات خاضعة لأهواء الكثرة من الشعب ، أو لأهواء الذين انتخبهم الشعب ليعبروا عن إرادته أو يكونوا وكلاءه .

فنجم عن ذلك تشريعات إباحة نشر الإلحاد والكفر بالله فى الدول الديمقراطية لأن أكثر الشعب أو أكثر المنتخبين من قبل الشعب يرغبون فى ذلك وتشريعات إباحة الزنا القائم على تراضي الطرفين ولو كان ذلك فى الشوارع العامة والحدائق وعلى ضفاف الأنهر دون توار أو تستر وإباحة اللواط وجعله عملا يحميه القانون حتى أقرت بعض النظم أن من حق الذكر أن يعقد عقده على ذكر آخر وإباحة سائر المشروبات الكحولية لأن أكثرية الشعب ترغب بذلك وإقرار الربا وكثير من الحريات المهلكة لأن أكثر به الشعب تريد ذلك ... فمبدأ الديمقراطية أن الشعب هو الذى يُحكم نفسه بنفسه فهو صاحب السلطة فى وضع الدستور وكل القوانين والشرائع والنظم » .

٣ ـ أن النظام الديمقراطى يقوم على مبدأ « تعدد الأحزاب » وهذا يؤدى الى

---

(١) كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية الشيخ عبد الرحمن الميدانى صـ ٦٩٥ دار القلم دمشق دار ابن تيمية

الآثار السلبية التالية

ا - إنقسام الأمة الى أحزاب يحتدم الصراع بينها للوصول إلى الأغلبية التى تؤهلها لتقلد زمام الأمور وفى سبيل الفوز بمقعد فى البرلمان يستباح كل شئ ولعل فضائح الحملات الانتخابية فى معظم دول العالم تزكم الأنوف وتصك الأذن ومن أشهرها فضيحة « وترجيت » التى أطاحت بالرئيس الأمريكى نيكسون .

ولقد ذكرت جريدة الأهرام فى عدد الصادر فى ١٩٩٦/١/٢٥ :

« أن رئيس كولومبيا تلقى تمويلا لحملته الانتخابية للرئاسة عام ١٩٩٤ من بارونات المخدرات مقداره ستة ملايين من الدولارات » .

ب - ضعف الولاء للوطن حيث يطغى الولاء للحزب ومبادئه على أية أهداف وطنية أو قومية وكثيرا ما كانت الأحزاب الاشتراكية والشيوعية تتلقى تعليماتها من موسكو قبل انهيار الشيوعية عام ١٩٨٩ أو تمول تمويلا خارجيا لزعزعة الاستقرار والأمن .

جـ - إن تعدد الأحزاب يخلق جوا من الخصام والتربص والحقد بين الأحزاب المشاركة فى العمل السياسى مما يبعثر جهد الأمة ويمزق شملها وصدق الله العظيم القائل : (١) .

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ .

---

(١) سورة المؤمنون آيه ٥٤ ٥٥

٤ - إن الرأسمالية الغربية والديمقراطية وجهان لعملة واحدة فالنظام الرأسمالى يرى فى الديمقراطية قناعا يتقنع به ومن خلالها وعلى منبرها حققت مطامعها واستطاعت بما تملك من وسائل الإثارة والتأثير من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمنظورة أن تصوغ الرأى العام وفق إرادتها وأن تكون الجماهير طوع بنانها .

إن المعارك الانتخابية تحتاج الى مبالغ طائلة يتبارى رجال المال والصناعة فى الإغراق على مرشح الرئاسة ليستطيعوا من خلاله الإبقاء على النظام الرأسمالى وحينما تجد فيمن أزرته ونصرته خروجاً عما رسم له فإنها تسارع للإجهاز عليه كما حدث فى اغتيال « جون كنيدى » عام ١٩٦٢ .

إن الرأسمالية والديمقراطية قد مسختا الانسان الغربى وجعلتاه إنسانا بغير عقيدة وكيانا لاهم له إلا إشباع نزواته وشهواته وهما فى هذا المجال لا تقلان خطرا عن الشيوعية التى أنكرت الخالق وجعلت شعوبها كالسائمة ولم تطق شعوبها صبرا عليها فركلتها بأقدامها .

ولايخفى عن أعين الباحثين دور اليهود فى الحملات الانتخابية فى العالم الغربى ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وكيف أن رؤساء أمريكا يخطبون ود اليهود على حساب المسلمين وأن اللوبى اليهودى فى الكونجرس الامريكى صاحب الأصابع الخفيفة فيما يتخذ من قرارات .

هذا ويوضح الاستاذ محمد قطب فى كتابه مذاهب فكريه معاصره [١]

---

(١) ص٢٣٠ ، ٢٣٧ - دار الشروق

من المعبود فى النظام الديمقراطى إنها آلهة كثيره تعبد من دون الله

« الدولار إله ، والانتاج إله ، والصالح القومى إله ، والمجتمع إله ، والرأى العام ، والعقل ، والعلم ، والإنسان ، الآلة ، والمودة ، والشهوات ، والهوى كلها تعبد مع الله أو من دون الله » .

وكما يوضح حقيقة الإنسان الذى نشأ وترعرع فى ظل النظام الديمقراطى فيقول

« وأما إنسانية الإنسان فأين هى على وجه التحديد فى الدوامة الوحشية التى يعيشها الانسان الجاهلى المعاصر .

أهى فى مباءة الجنس المتدنية الى أدنى من بعض أنواع الحيوان . ؟

أهى فى إدمان المخدرات والخمر ؟

أهى فى الجريمة التى تتزايد نسبتها على الدوام ؟

أهى فى شريعة الناب : القوة هى الحق والقوى يأكل الضعيف .

أهى فى المواثيق التى تبرم لتنقض والعهود القائمة على الخداع .

أهى فى هذا المسخ المشوه الذى فقد إشراقة الروح وعاطفة الانسان » .

هذا عزيزى القارئ الجانب المظلم فى النظام الديمقراطى . وهى لاتتجاوز الحياة الدنيا بزخرفها وشهوتها أما عن اليوم الآخر والسعى إليه والعمل الصالح من أجله فأمور لا ينظر اليها ولايلتفت لها بل أن التندر بها والتهكم عليها لون من ألوان حرية الفكر يجب أن توضع لها الضمانات وتقنن لها القوانين للنيل من رسالات السماء ووحى الأنبياء وماقضية سليمان رشدى وغيره كثيرون لفظهم العالم الاسلامى

لانحرافهم العقائدى والفكرى

فتلقفتهم أوروبا وأمريكا تحت مظلة الديمقراطية لتظل ألسنتهم تنهش فى الإسلام وأقلامهم تقطع كالحراب فى شرائعه ونظمه

وصدق الله العظيم حينما أخبر عن سقوط تلك النظم وغيرها التى تتنافى مع الفطرة ولاتتلاءم مع وحى السماء وأنه مهما بالغوا فى تزيينها والدعاية اليها فسوف تسفر الأيام عن هذا الزيف وسيكون أهله ودعاته هم أول من يكتوون بناره وهاهى المجتمعات الغربية الرأسمالية وبقايا النظام الشيوعى المنهار تدب فيها عوامل الهلاك والدماء قال تعالى (١)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولئك الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيات رَبِّهِمْ وَلِقَائه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لهم يَوْمَ الْقِيامةِ وَزْناً . ذَلك جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّم بِمَاكَفَرُواْ واتَّخذوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴾

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦

الشورى فى الإسلام

الإسلام دين واضح ذو كيان مستقل ونسيج متفرد فى العقيدة والعبادات والتشريعات يقود الإنسان ويهديه وفق سنن الفطرة وينظم شئون المجتمع فى كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بنظم رائدة تحقق الغاية من خلق الإنسان والهدف من استخلافه فى الأرض وائتمانه على بعض أسرار هذا الكون .

والإسلام بهذه الخصائص يرفض التقليد ويأبى التباعية لأى نظام سياسى أو تشريع اجتماعى يفد إليه من الشرق أو الغرب .

والدولة فى الإسلام برزت معالمها ووطدت أركانها وظهرت كقوة دينية وسلطة سياسية حينما بايع النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار فى بيعتى العقبة الأولى والثانية قبل الهجرة فنصوص البيعتين توضحان أسس الدولة فى الإسلام .

ومنذ أن وطئت قدما المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة وتشرف ثراها به وطابت أجواؤها بمقامه صلى الله عليه وسلم حيث ظهرت إلى العالم من بين ثنايا الجزيرة العربية دولة الإسلا، ألفتية بتشريعاتها فى العقيدة والعبادة والأخلاق وبنظامها السياسى فى الحكم فعقد الرسول صلى الله علي وسلم المعاهدات ونظم الجيوش وعقد الألوية واستقبل الوفود وأرسل السفراء وعين الولاة واستشار أصحابه فى مهام الأمور ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كمل الدين ورسخت دعائم الدولة ونظمت شئونها وسار على هذا الدرب

الخلفاء الراشدون والصحابة الأخيار فدانت لهم الأمصار واستبشرت بفتوحاتهم الشعوب وسادو العالم بالعدل وحكموا بين الرعية بالقسط

ثم خلف من بعدهم خلفٌ ولا سيما فى هذا العصر تربى الكثير منهم على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار فعملوا جاهدين على إضعاف عقيدة الإسلام فى قلوب المؤمنين وتوهين صلة الخلف بالسلف بل وصل الأمر إلى إنكار البعض أن الإسلام دين ودولة ثم تجاوز الأمر إلى مصادرة وتجريم الفكر السياسى فى الإسلام

فنشأت أجيال خلال عقود من هذا العصر أفرغت عقولها من الإسلام عقيدة وشريعة ودينا ودولة وألقى فى روعها أن التدين رجعيه والإسلام جمود وأن الإلحاد تحرر والعبث بالمقدسات انطلاق والانغماس فى الرذيلة مدنية وتطور وأريد بالمسلمين أن ينضووا تحت مذاهب فكرية ملحدة ونظما سياسية مستوردة غير أن ما ألقي فى روعهم من تلك المذاهب والنظم كان سراباً خادعاً لم يسفر عما كان يجيش فى صدورهم من آمال عراض وما زين لهم من طموحات فها هى الأوطان تحتل والهزائم فى معترك السياسة أو ساحات الوغى تتوالى والحرية تسجى والوحدة العربية والإسلامية تنفصم عراها والأزمات الاقتصادية تشتد وطأتها ولم يحصد المسلمون من المذاهب الغربيه سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية سوى الندامة وخيبة الأمل

هذا وإذا ما كنا بصدد الحديث عن الديمقراطية كمذهب سياسى وقد عرضنا للجوانب الإيجابية والسلبية منها .

فإننا نقدم الشورى كنظام سياسى إسلامى متصل بوحى السماء ورسالات الأنبياء وسلوك الأتقياء ، نقدمها لا كمفاضلة ومناظرة بينها وبين الديمقراطية إذ ليس ثمت مقارنة أو مفاضلة إذ أن المناظرة والمقارنة تكون بين ندين أو نظريين .

والشورى فى الإسلام أسمى منزلة وأرفع مكانة من أن تقارن بنظام صاغته عقول كافرة وقلوب مظلمة وإذا كان يوجد توافقاً بين الديمقراطية والشورى من بعض الجوانب .

فإن الشورى هى أقدم فى الوجود وأسبق فى التطبيق من الديمقراطية الحديثة وأطيب فى النتائج ثم هى أولاً وأخيراً قبس من الذكر الحكيم وسنة من سنن سيد المرسلين وسمة من سمات المؤمنين نذكرها فى إيجاز - بين يدى القارئ - ليقف على عظمة الإسلام وسمو تشريعاته ومن ثم يؤمن به عقيدة وشريعة ديناً ودولة ، ويفتخر به ويحافظ عليه ، ويدافع عنه . وحينذاك يلفظ من عقله ويركل بقدمه كل مذهب ضال وفكر منحرف كتب قوم لم يعرف الإيمان طريقاً إلى عقولهم ولم تقشعر قلوبهم وأبدانهم يوماً بذكر الله فالأخذ عنهم ضياع وحسرة .

قال تعالى [1] :

" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ".

١- سورة النور آية رقم ٣٩ ، ٤٠

تعريف الشورى

الشورى ، والمشورة ، والمشورة : بمعنى [1]

شاورته فى الأمر ، واستشرته أى طلبت منه المشورة والاستشارة مأخوذة من قول العرب : شُرْتُ الدابة وشوّرتها إذا علمت خبرها بعرض أو غيره ويقال للموضع الذى تركض فيه مشوار.

وقد يكون من قولهم : شُرْتُ العسل واشْتَرْتُه فهو مَشُورٌ ومُشَارٌ إذا أخذته من موضعه .

الشورى فى القرآن الكريم

جاء فى القرآن الكريم التناصح فى الأمر والتشاور فى الحكم فى آيات عديدة بعضها واضح وصريح فى الأمر بالشورى وبعضها يستنبط منه أهميتها ووجوب الالتزام بها فى النظام السياسى للإسلام ومما جاء صريحاً ما يلى :

١- قال تعالى : [2]

" فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين "

١- لسان العرب جـ ٤ ص ٢٣٥٨ ط دار المعارف

٢- سورة آل عمران آية ١٥٩

٢- قال تعالى :[١]

" فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون "

فلقد ذكرت الشورى ضمن صفات المؤمنين وإن ترتيبها بين فريضتى الصلاة والزكاة يدل على أهميتها كما أن نزول سورة من القرآن الكريم تحمل اسم الشورى مما ينبئ على أنها قاعدة أصيلة وركيزة من ركائز الدولة فى الإسلام .

الشورى فى الإسلام ليست قاصرة على تقديم الرأى للحاكم فقط ولكنها تشمل الأسرة وما يتعلق بحقوقها وواجباتها .

٣- قال تعالى :[٢]

" فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما "

٤- هذا ولقد جاء فى القرآن الكريم بعض القصص الذى يحمل بين ثناياه مدلول الشورى وأنها أحد أركان الحكم الذى يتناسق مع الفطرة والطباع السليمة فموسى عليه السلام وهو يتأهب للقاء فرعون يرجو الله تعالى أن يجعل له وزيراً من أهله يكون بجواره يشد أزره ويقدم له المشورة فى الرأى والمشاركة فى الأمر .

١- سورة الشورى آيات ٣٦ - ٣٩

٢- سورة البقرة آية ٢٣٣

قال تعالى: [1]

" واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى "

٥- وفرعون مصر مع طغيانه وجبروته يشاور الملأ من قومه بشأن موسى عليه السلام .

قال تعالى [2] :

" قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون "

ويلاحظ فى شأن فرعون أنه لم يطلب المشورة الصادقة وإنما أراد أن يحمل قومه على رأيه فى موسى ومساندته فى القضاء عليه ولقد بادروا إلى التصديق على رأيه فى موسى عليه السلام بأنه ساحر وأشاروا عليه بحشد سحرة مصر له .

قال تعالى [3] :

" قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم "

٦- وملكة سبأ تشاور قومها بشأن سليمان عليه السلام .

قال تعالى [4] :

" قالت يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون "

وفى إجابة الملأ من قومها ما يشير إلى بعض مظاهر الحكم فى المجتمعات غير المؤمنة بأن الديمقراطية مظهر شكلى فقط وأن الأمر ما يقرره الحاكم وليس فى وسع نواب الشعب سوى التصديق والموافقة .

١- سورة طه آيات ٢٩ - ٣٢

٢- سورة الشعراء آية ٣٤ . ٣٥

٣- سورة الشعراء آية ٣٦ . ٣٧

٤- سورة النمل آية ٣٢

قال تعالى : [1]

" قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين "

فهم أيضاً كقوم فرعون لم يقدموا النصيحة الصادقة بل أعلنوا أن الأمر مفوض للكتهم بلقيس وأنه ليس في وسعهم إلا تنفيذ الأمر دون مناقشة أو مراجعة .

٧- أوجب القرآن الكريم وجوب التشاور فيما ينزل بالأمة من أحداث وما تواجهه من صعاب في الحرب والسلم ، والأمن والخوف والعسر واليسر .

قال تعالى [2] :

" وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم "

وتحديد القرآن الكريم أن أهل الشورى هم الذين لديهم القدرة على فهم الأمور واستنباط الأحكام وسن الشرائع والقوانين وأن ينتقون وفق الشروط التي وصفها الفقهاء في أهل الحل والعقد .

١- سورة النمل آية ٣٣

٢- سورة النساء آية ٨٣

الشورى في السنة

السنة النبوية الشريفة القولية والفعلية تحفلان بالآثار الخالدة والأقوال الحميدة والأفعال المجيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما ينبىء عن أهمية الشورى ووجوب الالتزام بها وأن تحرص الأمة عليها وأن يتسع صدر الحاكم بها فمن أقواله صلى الله عليه وسلم ما يلى :

١- عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[١]

" ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله "

رواه البخارى

٢- عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]

" إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعينه "

رواه أبو داود بإسناد جيد

٣- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]

" المستشار مؤتمن "

١- رياض الصالحين صـ٢٨٩ـ

٢- المرجع السابق صـ ٢٨٩

٣- سنن ابن ماجة كتاب الأدب

٤- عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] :

" إذا أستشار أحدكم أخاه فليشر عليه "

٥- روى سهل عن سعد السعدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] :

" ما شقى قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأى "

٦- روى الترمزى أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال [٣] :

" إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض لكم خير من ظهرها "

أفعال النبى صلى الله عليه وسلم وآثاره العملية فى ممارسة الشورى وتقبلها من الصحابة

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال [٤] :

" ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم " رواه أحمد والشافعى

ولقد ذكر ابن كثير مواطن الشورى الذى استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وأخذ رأيهم ومن ذلك [٥] :

١- شاورهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى الخروج للاقاة العدو ، وكذلك فى مواطن النزول وفى شأن الأسرى .

١- المرجع السابق

٢- القرطبى صـ ١٤٩٥ ط الشعب

٣- الترمزى كتاب الفتن جـ ٣ صـ ٣٦١ قال . حديث غريب

٤- نيل الأوتار للشر كانى جـ٧ صـ ٢٣٨

٥- تفسير بن كثير جـ ٦ صـ ١٢٨ ط الشعب

٢- شاورهم صلى الله عليه وسلم يوم أحد فى الخروج للاقاة العدو أو البقاء فى المدينة ونزل على رأى من يرى الخروج .

٣- شاورهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فى مصالحة بنى غطفان على ثلث تمر المدينة ونزل على رأى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

٤- وفى قصة الإفك قال : " أشيروا علىّ معشر المسلمين فى قوم أثنوا أهلى (أى اتهموهم) " ورموهم وأيم الله ما علمت على أهلى بسوء وأتهموهم بمن - والله - ما علمت عليه إلا خيراً " .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشاور مع أصحابه وينزل على رأيهم فى بعض الأحيان .

ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما الخلفاء الأربعة وكذلك كبار الصحابة من العشرة المبشرين بالجنة وأصحاب بيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم أهل الحل والعقد بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حيث كانوا يتبادلون الرأى ويتشاورن فى الأمور التى لم يروا فيها نص من كتاب أو سنة .

قال البخارى :[1]

" كانت الأئمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بها " .

١- صحيح البخارى ص ١٤٩٣

وقد جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة – وهى أعظم النوازل – شورى ، وقبل ذلك تشاور الصحابة فيمن يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم فى سقيفة بنى ساعده .

أهل الشورى

يضع الإسلام شروطاً خاصة وضوابط محددة لمن يستشار ويأخذ برأيه فبينما نرى فى الديمقراطية الغربية أن الحزب ينزل بمرشحه إلى ساحة المنافسة الانتخابية بمن يرى فيه مصلحة الحزب فقط دون اعتبار لخلق أو دين أو نرى بعض الأنظمة المعاصرة تدفع بطبقات مهنية وحرفية لا شأن بها بالتشريع ولا علاقة لها بقواعد الاجتهاد وأصول الاستنباط فتكون عبئاً على الحياة البرلمانية إذ ينحصر أمر الكثير منهم على الموافقة أو التصفيق .

أما أهل الشورى فى الإسلام فهم يمثلون صفوة عقول الأمة فى شتى المجالات ويضعون إلى ذلك التقوى والأمانة " فالمستشار مؤتمن "

قال سفيان الثورى :

" ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ومن يخشى الله "

قال العلماء : " وصفة المستشار إذا كان فى الأحكام أن يكون عالماً بالدين وقل ما يكون ذلك إلا فى عاقل "

قال الحسن البصرى :

" ما كمل دين امرئ ما لم يكتمل عقله فإذا استشير من هذه صفته واجتهد فى الصلاح وبذل جهده فوقعت الإشارة خطأ فلا غرامة عليه .

وصفة المستشار فى أمور الدنيا : أن يكون عاقلاً مجرباً ومن حكمة الشعراء [1] :

إذا كنت فى حاجة مرسلا ... فأرسل حكيماً ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيباً ولا تعصه

ومن عيون الشعر عن مواصفات أهل الشورى قال بشار بن برد :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عين غضاضة ... فإن الخوافى قوة القوادم

هذا ولقد وضع الفقهاء شروطاً لأهل الحل والعقد الذين يستنار برأيهم ويسترشد بنصائحهم وقد حددهم الشيخ محمد عبده فى تفسير المنار [2] :

" المراد بأولى الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة "

٢- المنار صـ ٥٨٥٧

١- تفسير المنار للشيخ رشيد رضا جـ٥ صـ١٤٧

كيف يُختارون :؟

لم يحدد الإسلام كيفية اختيار أهل الحل والعقد وإنما ترك ذلك وفق رغبة كل أمة وظروف كل عصر فقد يكون بالتعيين من قبل الحاكم لمن يراهم محل ثقته وأهل مشورته وقد يكون بالانتخاب العام كالنظم الديمقراطية الحديثة أو كل جماعة أو مهنة أو نقابة ترشح من بين صفوفها من تراهم أهلاً لتحمل الأمانة وتوصيل آمالهم إلى أذن الحاكم فليس ثمت خلاف فى كيفية الاختيار ولكن أهم من ذلك نوعية من يختارون وكيفية أداء المستشارين ومدى الأخذ برأيهم وعدم الحجر على نصائحهم ، أو تقديم أهل الثقة والولاء دون تقديم أهل العلم والصلاح .

فخلاصة القول أن الشورى فى الإسلام نظام يتلاءم مع الفطرة ويتمايش مع ظروف كل زمان ومكان ، وأن الفرق بينها وبين الديمقراطية فرق شاسع وكبير ورحم الله إمام الدعاة فى هذا العصر ومجدد الفكر الإسلامى فى هذا القرن الشيخ محمد الغزالى حينما قال :

"إن الفرق بين الإسلام ونظمه وتشريعاته وبين الأديان والنظم والتشريعات الأخرى كالفرق بين جبال الهمالايا وأكوام السباخ "

ومع هذا الفرق الشاسع نجد بعض المسلمين يعرضون عن الإسلام العظيم وشرائعه الخالدة ويولون وجهتهم نحو النظم غير الإسلامية يلتفون حولها ويحتفون بها ولا سيما

الديمقراطية الغربية ولم يحصد المسلمون من ذلك سوى مزيد من التبعية والتخلف وصدق الله العظيم حينما قال في شأن من يزين فاسد الأعمال ويروج لكل مذهب ضال وفكر مستورد:

" قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا " [1]

صدق الله العظيم

---

[1] سورة الكهف آيات ١٠٣ - ١٠٦

الختام

وبعد فهذا عرض ونقد لبعض المذاهب الفكرية المعاصرة التى وفدت إلى العالم الإسلامى على أجنحة الاحتلال العسكرى والغزو الثقافى والإعلامى والاقتصادى الذى التف حول عنق هذه الأمة ولقد أردت من هذه الدراسة المتواضعة أن أضع أمام أمة الإسلام ذلك الخطر المحدق من تلك المذاهب على الإسلام وأهله ومن خلال كشف أستار هذه الأفكار قدمت الفكر الإسلامى العظيم الرائد الذى يجتث هذا الزرع الخبيث من عقل الأمة وسلوكها وقد ذكرت منها على سبيل المثال لا الحصر أكثرها شيوعاً وأشدها خطورة وإلا فساحة الفكر الهدام تحفل بالآراء المسمومة والمعتقدات الباطلة والاتجاهات الفاسدة التى تتطمس فطرة الإنسان وتطفىء فى قلبه نور الإيمان فهناك الشيوعية التى انهارت بعد قرابة قرن من التزيين والتزييف وقهر الشعوب وإبادة الأمم ووأد الحريات وعلى الساحة أيضاً الرأسمالية العالمية التى تبسط سلطان القهر والتسلط على الدول والشعوب تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية حيث يحتضن الجميع الصهيونية العالمية ويقفون وراء مساندة إسرائيل وضمان بقائها وأمنها على حساب الأمة الإسلامية التى تندب كل يوم أرضاً تضيع وتخسر كل حقبة من الزمان موقعاً يسقط ثم هناك دعاوى العلمانية والقومية وأنصار التقريب وأتباع كل ناعق وناعق من الذين تربوا على موائد الاستعمار والاستشراق والتبشير ورضعوا لبان الفكر الغربى كل هؤلاء هم مكامن الخطر وأذرع الفساد

فى كيان أمة الإسلام وإن فضحهم وكشف نواياهم يحتاج إلى جهود مجتمعه وأيد متعاونة من العلماء المسلمين والدعاة الصادقين كما أن الأمر يحتاج إلى تتضافر الهيئات القائمة على أمر الدعوة فى أقطار العالم الإسلامى وتوحيد صفوفها وجمع كلمتها للمشاركة فى درء هذا الخطر الذى سرى فى عقل الأمة سريان الدماء فى الشرايين .

ولعلى فى هذا البحث أكون قد وفقت فىكشف زيف بعض هذه المذاهب وبيان أثرها المدمرة أما عن غيرها ولا سيما ما ظهر بأقلام وألسنة عربية اللسان ولكنها أعجمية الفكر والقلب . فلن أتوانى بحمد الله وتوفيقه ومدده من طعنها بسنان قلمى وسيف لسانى فأنا جندى من جنود كتائب الدعاة عاهدت الله أن لا يؤتى الإسلام من قبلى .

والله تعالى أسأل أن يوفر لى من الجهد والوقت والتوفيق ما يعيننى على مواصلة تلك الأبحاث :

« الدعوة الإسلامية فى مواجهة المذاهب الفكرية المعاصرة »

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار

د. محمد عبدالعزيز داود

أستاذ الدعوة المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

بلبيس – شرقية

مراجع الكتاب

#	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
١.	القرآن الكريم		
٢.	البداية والنهاية	ابن كثير	دار المعارف
٣.	الاتجاهات الفكرية المعاصرة	د. على جريشة	دار الوفاء
٤.	التحليل النفسى	سيجموند فرويد ترجمة د. عزت راجح	
٥.	التاج الجامع للأصول فى حديث الرسول	الشيخ منصور على ناصف	دار إحياء التراث بيروت
٦.	الحديث والبحوث	أ. أحمد على الشامى	
٧.	الخلافة الإسلامية بين أنظمة الحكم المعاصرة	د. جمال المراكبى	مطابع ابن تيمية - القاهرة
٨.	الخراج	أبو يوسف	المطبعة السلفية
٩.	الأقليات المسلمة فى أوربا	د. سيد عبد المجيد بكر	مطبوعات رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة

١٠.	البث المباشر	د. ناصر العمر	
١١.	الشخصية اليهودية والروح العدائية	د. رشاد عبدالله الشامى	
١٢.	العرب فى أوربا	د. على الخربوطلى	
١٣.	الفلسفة اليونانية	د. عبدالرحمن بيصار	دار الكتاب اللبنانى بيروت
١٤.	الفكر الاسلامى الحديث	د. محمد البهى	مكتبة وهبة
١٥.	أفكار ورجال قصة الفكر الغربى	جيرين برنتن – ترجمة محمود محمود	
١٦.	أطلس الكتاب المقدس	هـ.هـ. رولى	دار النشر المعمدانية بيروت
١٧.	الكيد الأحمر	الشيخ عبدالرحمن الميدانى	دار القلم دمشق
١٨.	المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية		مطبوعات الأزهر
١٩.	المسيحية	د. أحمد شلبى	مكتبة النهضة المصرية
٢٠.	النظريات السياسية الإسلامية	د. محمد ضياء الدين الريس	مكتبة دار التراث
٢١.	العلمانية	د. سفر الحوالى	دار السلفية للنشر الكويت

٢٢	النصرانية	الشيخ محمد أبو زهرة	
٢٣	أوربا فى مواجهة الإسلام	د. محمد المطعمى	
٢٤	أوربا العصور الوسطى	د. سعيد عاشور	مكتبة الأنجلو المصرية
٢٥	بروتوكلات حكماء صهيون	ترجمة محمد التونسى	
٢٦	بين العلم والدين	ترجمة اسماعيل مظهر	
٢٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	د. يوسف كرم	دار القلم
٢٨	تاريخ الطبرى	محمد بن جرير الطبرى	
٢٩	تدهور الحضارة الغربية	ترجمة أحمد الشبيانى	دار مكتبة الحياة
٣٠	تربية الأولاد فى الإسلام	عبدالله ناصح علوان	دار السلام للطباعة والنشر
٣١	تفسير القرطبى	أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى	دار الشعب
٣٢	تفسير القرآن العظيم	الحافظ إبن كثير	دار الشعب
٣٣	تفسير الكشاف	محمد بن عمر الزمخشرى	دار الريان للتراث
٣٤	تفسير المنار	الشيخ محمد رشيد رضا	مكتبة المنار

٣٥.	جاهلية القرن العشرين	أ. محمد قطب	مكتبة وهبة
٣٦.	جريدة الأهرام		
٣٧.	جريدة الشعب		
٣٨.	جغرافية العالم الإسلامى	د. أحمد شقلية	مكتبة السوادى جدة
٣٩.	حقيقة اليهود	فؤاد سيد عبدالرحمن	
٤٠.	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدى	
٤١.	سنن ابن ماجة	أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى	عيسى البابى الحلبى
٤٢.	سيرة إبن هشام	إبن هشام	
٤٣.	صحيح مسلم	شرح النووى	المطبعة المصرية
٤٤.	فتوح مصر	إبن الحكم	
٤٥.	قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام	د. توفيق الطويل	
٤٦.	قصة الحضارة وول يورنت	ترجمة محمد بدران	
٤٧.	كواشف زيوف المذاهب المعاصرة	الشيخ عبدالرحمن الميدانى	دار القلم - دمشق

٤٨.	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟	أبو الحسن الندوى	
٤٩.	مذاهب فكرية معاصرة	أ. محمد قطب	دار الشروق - بيروت
٥٠.	معالم تاريخ العصور الوسطى	محمد رفعت ومحمد حسونة	
٥١.	مقدمة بن خلدون	عبدالرحمن بن خلدون	المطبعة الأميرية بيروت
٥٢.	مكائد يهودية	الشيخ عبدالرحمن الميدانى	دار القلم دمشق
٥٣.	نظرية التحليل النفسى	د. سعدالدين صالح	دار الأرقم
٥٤.	نيل الأوطار	الإمام محمد بن على الشوكانى	دار التراث

فهرس

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة الكتاب
٣	الباب الأول
	الجزور الحضارية لقارة أوربا
١٤	أولاً الحضارة اليونانية
٢٢	ثانياً الحضارة الرومانية
٢٥	ثالثاً : النصرانية
٤٢	أوربا والنصرانية
٦٢	اتصال أوربا بالإسلام
٧٧	معابر أوربا بمذاهبها الفكرية إلى العالم الإسلام
٨٤	دور اليهود في انتشار المذاهب الفكرية
٨٩	الباب الثاني
	التعريف ببعض النظريات والمذاهب الفكرية
١٠١	نظرية داروين
١٢٧	مذاهب التحليل النفسي
١٤٣	نظرية فرويد
١٦١	آثار مذهب فرويد
١٨	الاسلام والجنس
١٨٧	كيف ينظم الإسلام الغريزة الجنسية
٢١١	الديمقراطية
٢٢٢	الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية
٢٣١	الجوانب السلبية في الديمقراطية
٢٣٩	الشورى في الإسلام
٢٤٢	تعريفها
٢٤٢	الشورى في القرآن والسنة
٢٤٩	أهل الشورى
٢٥٣	الختام
٢٥٥	المراجع
٢٦٠	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ١١٢٩٥ / ٩٤